الحافلة الليلكية

تأليف : مايف بينشى

ترجمة : منى الدروبى





المشروع القومي للترجمة



المشروع القومى للترجمة

الحافلة الليلكية

(روايـة)

تأليف : مايڤ بينشى

ترجمة : منى الدروبى



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٩١
- الحافلة الليلكية (رواية)
- مايف بينشى
- منى الدرويى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة لرواية :
Lilac Bus
تأليف : Maive Binchy
الصادرة عن : Ward River Press
Ltd. Dublin - 1984

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E.Mail:**asfour@onebox.com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة

ثمانى حكايات متضافرة مفعمة بالفطنة والضحك، دارت فى حافلة خلال أسبوع، حيث يعيش ركابها الثمانية حياة منفصلة فى دبلن- عاصمة أيرلندا- ويجتمعون خلال رحلة العودة إلى بيوتهم فى راثدون، فى عطلة نهاية الأسبوع.

تبتدئ خطواتهم بالالتقاء بطرق مدبرة أو بالمصادفة، وتلجأ الكاتبة الأيرلندية «مايف بينشى» إلى الفكاهة واللمسات الحاذقة لتشير إلي طبيعة النفس البشرية التى تتسم بالحماقة والطيبة فى الوقت ذاته.

وتنقسم الرواية إلى ثمانية أجزاء أو فصول يحمل كل منها اسم راكب من ركاب الحافلة الليلكية (نسبة إلى زهرة الليلك الجميلة).

فى نسيج يفيض بالفطنة تتكشف لنا الطبائع والحوار الداخلى لنماذج بشرية أجادت الكاتبة فى وصفها وتحليلها عن طريق السخرية والضحك.

أسماء الشخصيات أو الفصول : نانسى - دى - ميكى - جودى - كيف - روبرت - سيليا - توم - وقد نشرت للمرة الأولى سنة ١٩٨٤ وأعيد طبعها عدة مرات.

ومـايف بينشى ولدت فى ضـواحى «دبلن» فى أيرلندا وأمـضت دراستها الأولى فى مدرسة تابعة لدير الطفل المقدس، كيلينى وتابعت دراستها فـى جامعة دبلن ونالت شهادة فى التـاريخ وعملت مدرسة للبنات فى عـدة مدارس وكـانت تتفـرغ فى العطلة الصـيفـية لكتـابة مواضـيع خاصة بالرحـلات وانضمت لجـريدة «التـايم» الأيرلنـدية سنة ١٩٦٩ . ومازالت تكتب مقالاً من حين لآخر. .

نشرت روايتها الأولى سنة ١٩٨٢ وهى: «اشعل شمعة بقرش» أو (ضوء الشمعة).

وكانت فاتحة لإنتاج أدبى وافر، سخى ومستمر وصل إلى خمسة وستين كتابًا ما بين الرواية والقصة القصيرة والمقالات الأدبية، رواياتها الخمس الأخيـرة تحتل المركز الأول فى قائمـة الكتب الأكثـر مبـيعًا. أُخرج العديد مـن رواياتها فى مسلسلات تليـفزيونية وأفلام سيـنمائية وأشهرها فيلم عن روايتـها: «دائرة الأصدقاء» والذى أنتج سنة ١٩٩٥ ونال نجاحًا وشهرة.

ومايف بينشى متزوجة من الكاتب والمذيع جوردون سنيل.

(١) نانسى NANCY

وصلت نانسي إلى موقف الحافلة، مبكرة كعادتها مع أنها لا تحب أن تصل قبل الموعد بكثير وتبدو كما لو إنه ليس عندها شيء آخر تفعله.

يصل الآخرون مسرعين، لاهثين وخائفين أن تفوتهم الحافلة؛ فتوم يدير مفتاح التشغيل فى تمام الساعة ٦,٤٥ ، وينطلق بالحافلة ليصلوا بيوتهم قبل الساعة العاشرة. فلا معنى لإجازة نهاية الأسبوع إن لم يصلوا إلى الحانة حوالى العاشرة: هذه فلسفة توم، وإن لم تكن فلسفة نانسي ولكنها كعادتها مبكرة وملتزمة فى كل أمورها. دخلت إلى محل بيع المجلات والبطاقات، نظرت إلى البطاقات التى حفظتها عن ظهر قلب لكثرة دراستها لها مساء كل يوم جمعة. لديهم أيضًا صحف المنطقة ولكنها لا تفكر أبدًا بشراء واحدة، ستعرف كل شيء حين تصل.

تفحصت نانسي تسريحتها الجديدة فى المرآة الكبيرة المستديرة يبدو أن الغرض منها توسيع المحل، فقد علقت عاليًا بزاوية خاطئة أو هذا ما تأمل به نانسي وإلا فلابد أن لفائف شعرها تبدو غريبة فعلاً.

أمعنت النظر ثانية فهى بالتأكيد لا تشبه هذا الحيوان الصغير القلق ذا الشعر الأكرت والعينين الجاحظتين المذعورتين.

هذا ما عكسته المرآة، ولكنها بالقطع ليست ما يرى الناس الواقفون بجانبها من المؤكد أنهم كلهم سيبدون بلهاء لو نظروا من هذه الزاوية.

سوت لفائف شعرها التى تبدو كتصفيفات شعر أمها القديمة وهى على شكل تجاعيد ولفائف تتسع لتصبح كوميض البرق أو الصدمات الكهربائية مع مضى الأسابيع، بالرغم من أن مصففات الشعر فى المحل أكدن جنونها لتفكيرها بهذا الشكل فتسريحتها عصرية جدًا. أحدث ما ظهر فى السوق. يكفى أن تفكر بالتكلفة لو كان عليها أن تدفع، وابتسمت **نانسي** مكشرة تدفع للتسريحة؟ نانسى موريس لا ترضى أن تدفع لا نصف ولا حتى ربع المبلغ المطلوب. **نانسي موريس** قطعت **دبلن** من أولها لآخرها إلى هذا المحل بعدما علمت أنهم بحاجة لزبائن يتمرنون عليهم «عارضات» هكذا كان الإعلان **ونانسي** واقعية فهم بحاجة لرؤوس مكسوة بالشعر وزبائن أذكياء مثل **نانسي** يجدون مثل هذه الصالونات الغاصة بالعاملات تحت التمرين، وموعد دروسهم الليلية. فهى لم تدفع سوى مرتين لتصفيف شعرها خلال ست سنوات أمضتها في **دبلن**. وهذا ليس سيئًا، وابتسمت بزهو. والآن لا معنى لحملقتها وقلقها والأفضل لها أن تعبر للجانب الآخر نحو الحافلة. لابد وأن بعضهم قد وصل؛ فالساعة تشير إلى السادسة والنصف.

كان **توم** يجلس فى الحافلة يقــرأ صحيــفة المساء، نظر باتجــاهها مبتــسمًا «مســاء الخير يا آنسة مــاوس» قال بمرح رافعًــا حقيبة سـفرها الكبيرة إلى سطح الحافلة بيسر. . ركبت الحافلة غاضبة تكره أن يناديها آنسة **ماوس**، ولكن من الأصل كان هذا خطؤها عندما هاتفته لتحجز مكانًا فى حافلتــه أعطته اسمهــا الآنسة موريس اعتادت بحكــم عملها كموظــفة استقبــال أن تتعامل بشكل رســمى ومن أين لها أن تعلم أنه كان عليها أن تعطيه اسمها الأول وأنه لن يسمع اسمها الأصلى صحيحًا ولكنه استمر وبضغينة مصرًا على مناداتها آنسة **ماوس** ورافضا مناداتها **نانسى** كما يفعل مع العجوز السيدة **هيكى** ويناديها **جودى** وهى بعمر أمه. قال **توم** بمرح: «خفيفة جدًا هذه الحقــيبة الكبيرة» أومأت **نانسى** برأسها لم ترغب أن تقول إنها الحقيبة الوحيدة التى تملكها وليس بنيتها صرف خمــسة جنيهات علــى حقيبة نايــلون خفيفة كــالآخرين، وهى بحاجــة لحقــيبة كــبيرة تحــمل بها أشــياء كثــيرة فى رحلة العــودة مثل البطاطس والخضروات، أو أى شئ كستائر صديقة أمها التى أرادت أن تتخلص منــها فأخــذتها **نانسى** وزينت بها الشــقة، جلست فى وسط الحافلة بعــد أن سوت تنورتهــا حتى لا تتكرمش، وأخــرجت سكاكر الجلوكــوز فهى تأخــذ مابدا لهــا منهــا من المستــشفى، وهى عــادة لا تأكلها. ولكنه شىء ظريف فى رحلة الحافلة أن تتسلى بشىء، يشترى الآخــرون السكاكــر والكراملة ولكــن ما الــداعى لإهدار النقــود على مسكرات بمتناول اليد، أمسكت بالصحيفة التى تركها المريض وراءه فى

غرفة الانتظار، فهى تظفر بالكثيـر من مواد قراءتها بهذا الشكل، عادة ما ينسى الزبائن المنتظـرون للأطباء المتخصـصين صحفهم ومـجلاتهم ونادراً ما تمر أمسية لا تجد فيـها ما تقرأه. شيء جميل أن تكون عندك قراءات مختلـفة ومتنوعة وكما لو إنهـا مفاجأة: **ميرياد** لا تفهم هذا المنطق، تعتم جبين **نانسي** لذكرى **ميرياد**. ما حصل بينهما شيء غير منتظر وغـير عادل. فـتحت الصحـيفة هـكذا سيظن **توم** أنها تقرأ. دخلت **ميرياد** يوم الأربعاء، وهى تلف وتدور تلتقط أشياء وترمى بها ثانية. والأمـر لا يتطلب أن تكون عبـقريًا لتحـدس أن هناك شيئًـا ما يدور فى ذهنها، ظنت **نانسى** أنها ستسألهـا ثانية عن التلفاز، لديهما جهاز ممتاز أبيض وأسـود، من آن لآخر تظهر الصورة كعاصـفة ثلجية ولكنه بوجه عام يبث إرسالاً رائعًـا ما الداعى بالله عليك لإنفاق ثروة لاستئجار جـهاز ملون؟ أو حتى فيديو؟ طلبت **ميرياد** هذا مرة كما لو إنهمـا من أصحـاب الملايين كانت تنظر إلـى التلفاز وهى تعـترف أن الإرسال كان فى لياليه السيئة، وعليك أن تخمن الأحداث من سماعها ولكن يظهر أن **ميرياد** تريد أن تتحدث فى شىء أهم:

«طوال الأسبـوع وأنا أعمل، كنت أفكر كـيف سأبدأ يا **نانسى**، ولم أتوصل لطريقة سليمة ولذا سأقولها بصراحة أريد أن أشارك الشقة مع شخص آخر وأطلب منك أن تتـركيها، طبعًا سأعطـيك فسحة من

الوقت فـأنا لا أنوى رميك فى الشـارع» وأطلقت ضـحكة عصـبيـة.
أصيبت نانسي بذهول منعها من المشاركة فى الضحك.

«كما ترين» تابعت ميرياد «لم نتفق بالأصل على الاستمرار، كان الاتفاق لنرى كيف تسـير الأمور، هكذا كان التـرتيب والاتفاق» ظهر التأثر والشعور بالذنب واضحًا على صوتها.

ردت نانسي: «ولكن ها نحن نتشارك منذ ثلاث سنوات مضت»، «أعلم ذلك» ردت ميرياد ببؤس.

«إذن لِمَ؟ ألا أدفع الإيجار وفاتورة الكهرباء بالوقت؟

وأشارك بالطعام الـذى أجلبه من البيت ، وجئت بسـتائر لنوافذ المدخل و. . .».

- «طبعًا يا نانسي. لا أحد ينكر هذا».

- «إذن لـماذا؟».

- «الأمـر فقط لا، ليس هناك أى سـبب، هل يمكن أن تنفـصل بلطف وسهولة بدون خصـام أو أسئلة، ألا يمكنك أن تجدى سكنًا آخر ونبـقى على صـلة من آن لآخـر نذهب إلـى السيـنما تـزورينى هنـا أزورك؟ كفاك يا نانسي ولنتصرف كالبالغين.

احترقت **نانسي** قهراً، **ميرياد** العاملة فى محل الـزهور تعلمها كيف يتصـرف البالغون، **ميرياد** التى لم تحظ بأية شهـادة تقدير تطرد **نانسي** من شقتها، صحيح أنها هى التى عثرت عليها واقترحت عليها عمتها سيدة **كازى** صديقة أم **نانسي** مشاركتها، والآن من أين جاءت **ميرياد** بهذه الظنون؟ والأهم ما السبب؟ من الشريك الجديد؟ وأسوأ ما فى الأمر أن **ميرياد** لا تريدها أن تعرف أو أن تهتم كل مـا ذكرته أنها تريد التغيير. وهنا أغلقت **نانسي** التلفاز المرتعش وهيأت نفسها لحوار من القلب إلى القلب تحدثها **ميرياد** عن النجم الذى غزا قلبها ولكن لا، ميرياد مشغولة بالنظر إلى النتيجة هل نقول فى خلال شهر. فى منتصف أكتوبر مثلاً؟ هذا سيعطيها متسعاً من الوقت لتجد شيئًا.

- «ولكن من الذى سأتشارك معه؟» ناحت **نانسي**، هزت **ميرياد** كتفيها. لربما ستجد **نانسي** مكاناً للمبيت فقط، فهى لا تطبـــخ، ولا تدعو أحداً ولكن هذا يكلف ثروة هزت **ميرياد** كتفيها لا ثانية. هذا لا يعنيها.

فى صباح اليـوم التالى، كانت **نانسي** تحتـسى الشاى فى المطبخ فهى لا تـهتم بالفطور طالما هناك أكل فـى المستشـفى، ما الفـائدة أن تكون موظفة استقبال لثلاثة أطباء استشارين إن لم تحظ ببعض الدلع؟ مثل الأكـلات الجاهزة وسكاكر الجلوكـوز. أسرعت **ميرياد** بالدخول متأخرة كعادتها وسألتها **نانسي** إن كانت سامحتها.

- «أسامحك يا **نانسي**؟ بحق السماء عن ماذا؟

- «حسنًا، لابد وأنى فعلت ما كدَّرك وإلا لما طلبت منى مغادرة شقتنا».

- «هذه شقتى وكفى تهريجًا، فنحن لسنا متزوجات يا **نانسى**، جئتِ لهذه الشقة لتشاركينى الإيجار، والآن الاتفاق بيننا انتهى هذا كل ما فى الأمر» كانت تبتلع سلطانية من (الكورن فلكس) وتحاول أن تشد جذاءها. كانت **ميرياد** تحب هذا الحذاء الذى يبعث الرعب فى قلب **نانسى**؛ فثمنه يساوى أجرة أسبوع، كل هذا المبلغ من أجل زوج من الأحذية؟

- «وبِمَ سأخبرهم فى **راثدون**؟» تساءلت **نانسى** بوقار.

- أجفلت **ميرياد** وتساءلت بحيرة «عن ماذا؟».

- «عن انفصالنا نحن الاثنين».

- «ومن ذا الذى يهمه أن يعلم؟ من الذى يعلم بالأصل أننا نتشارك الشقة».

- «كل الناس. أمك، أمى، عمتك السيدة **كازى** كل الناس».

- «ماذا تعنين بم ستخبرينهم؟» شعرت **ميرياد** بدهشة فعلية.

- «ولكن أمك، ماذا ستظن؟ ماذا سأقول لها؟».

وهنا فقدت **ميرياد** أعصابها فجأة، ومازالت **نانسى** للآن تعانى من صدمة ما سمعت.

- «أمي امرأة طبيعية، وهي كغيرها من الأمهات بمن فيهن أمك، لن يخطر على بالهـا شيء، ما يهمـها هو أنني لست حـاملا، أو أنني لا أتعاطى المخدرات، وأنني أذهب بانتظام إلى القداس. هذا كل ما تريد أن تعـرفه أي أم في الهند في روسـيـا، في كل مكان. لربما لا يكون القداس ولكنه شيء من هذا القبيل. أمهات الناس لا يعطين أية أهمية لمن يشارك بناتهن الـشقة، أو فيـما لو كن على اتفـاق أم أنهن يقذفن ببعضهن عرض الحائط كما حصل معنا فهن يرغبن أن نخبرهن بالمهم».

- «ولكننا لا نقذف ببعضنا عرض الحائط» أجابت **نانسي** بهدوء.

- «حسنا. نزعج بعضنا، وما الفرق لم تزعـجين رأسك بالتفسير والأقوال وردود الفعل؟ فالناس لا تهتم إطلاقًا».

- «هل أضايقك؟».

- «نعم».

- «كيف».

- «أوه. . **نانسي** أرجوك» صعقت **ميرياد** «ألم نتفق مساء البارحة أن نتصرف كراشدين؟ وأن لا يكون بيننا شغب لا داعي له ولا عتاب؟ لقد اتفقنا والآن انظري، ها أنت بدأت من جـديد، طبعًا تزعج الناس بعـضهـا البعض وأنا على الأرجح أفـقدك عـقلك اسمـعي، عليَّ أن أذهب».

أمضت نانسى يومًا مرعبًا بحثت عن أسعار الشقق، وإيجار غرفة للنوم وكانت فى **السماء العالية**. صحيح كلما تطرف المكان هبط السعر ولكن عليها أن تكون على مسافة معقولة من المستشفى تقطعها على دراجتها فليس من المعقول أن تنفق نقودها التى تتعب فى تحصيلها على أجرة المواصلات، عادت للتفكير بكلام **ميرياد** لاتجد مبررًا لضيقها فهى لا تدخن ولا تدعو الأصدقاء المشاغبين كما تفعل **ميرياد**، ولا تستمع لموسيقى صاخبة فهى لا تملك تسجيلات، وتعمل ما بوسعها للمساعدة، تقص من الصحف إعلانات عن خدمات خاصة تأخذ عن طريقها مأكولات منظفات مجانًا، تقترح على **ميرياد** أن تمضى عطلة نهاية الأسبوع مثلها فى **راثدون** وتوفر على نفسها تبديد ثروة فى دبلن. هذا الصباح عادت وسألت **ميرياد** لو أن الأمر نهائى، هزت ميرياد رأسها ولم تنطق. قدمت لها عرضًا أن تعيد النظر خلال عطلة نهاية الأسبوع وبصوت ناعم ومنخفض لا صلة له بذلك الصوت الجهورى الذى صدح فى الصباح، ردت **ميرياد** لن تكون هناك إعادة نظر وعلى **نانسى** أن تتعاون وتبدأ على الفور فى البحث عن سكن آخر..

نظرت باتجاه الأصوات «دى يورك» وصلت وكانت تلبس وشاح الكلية مع إنها تخرجت منذ سنتين وتحمل حقيبة قماش رشقتها على سطح الحافلة.. ضحك «توم» قائلاً: «هل تنوين دخول بطولة رمى الجلة؟».

«كلا فـقط لأثبت تحرر المرأة، بالإضـافة إلى أن الحقـيبة فـارغة باستثناء لباسين وبعض كتب القانون، سأمضى الوقت فى الدراسة».

شعرت نانسى بالدهشة لأن **دى** ابنة الطبيب **يورك** التى تعيش فى هذا البيت الكـبير الجـميل المغطى بالعرائش يمكـنها أن تتحـدث بهذه البساطة والاسترخاء مع توم فـيتزجرالد عن اللباس الداخلى ولا تبدو مع هذا وقحـة أو مبتذلة، فـهى القانون بذاته، بإمكانها اقتنـاء سيارة خاصة، ولكنها تقـول إنها لا تكسب كثيراً من عملها كمـحامية تحت التمرين.

نانسى تظن أن هذه الحافلة الصـغيرة أقل من مسـتوى آل يورك، فهم من الطبقـة الراقية فى راثدون، لابد وأنهم يستغربون سـفر ابنتهم مع أى شخص كـان من الناس ولكن دى لا يظهر عليـها أنهـا تهتم. لطيـفة مع الجـميع حـتى مع هذا الولد السبـاك «كيف كـيندى» الذى يجعلك تهرب للهجة الأخـرى من الشارع، أو مع هذا المتهور اليائس «ميكى بورنز» ونكاته القذرة.

ولكنها لطيفة بشكل خاص مع **نانسى** تجلس بجانبها وتسألها عن عملها وأحوالها والغريب أنها تتذكر أسماء الأطباء الذين تعمل **نانسى** معـهم وتعلم أن أحدهم اخـتصاصى فى طب الـعيون والآخـر جراح عظام والأخيـر متخصص فى الأنف والأذن والحنجـرة، فهى تعلم أن هناك السيد **بارى** والسيد **وايت** والسيد **تشارلز** حتى أم **نانسى لا** يمكن

أن تعرف ذلك فما بالك بميرياد التى تكاد تتذكر اسم مديرها، ونانسى تظن أن دى لطيفة وظريفة ومهذبة ولها أسلوبها المميز فى إبداء الاهتمام بالآخرين.

- «يا إله الرحمة يا روبرت هل هذه إيطالية؟ هل هى الأصلية؟».

سألته دى وهى تتحسس الكم بمجرد دخوله.

- «نعم، فعلا» أشرق وجه روبرت الشاحب بالسعادة.

- «كيف عرفت»؟

- «ألم أجهد نفسى وأنا أتفحصها فى المجلات. إنها رائعة».

- «نعم، فهى صنف ثان أو ما شابه ذلك، جاء لى بها صديق من إيطاليا» بدا روبرت سعيداً لأن سترته سببت كل هذه الإثارة.

«حسنا لابد وأنها صنف ثان وإلاً لكان على أبيك أن ينفق كل ما يكسبه من ربحه فى تمرين المحامين لشرائها» وضحكت دى. فعن طريق المحامى السيد جرين أبو روبرت توصلت دى للعمل كمحامية تحت التمرين. نظرت نانسى نحوهما بحسد فهما يتبادلان الحديث بسهولة ويسر.. طريقة تحترفها العائلات المحترمة وشعرت بالضيق أن أباها الذى توفى منذ زمن كان ساعيًا للبريد ولم يكن محاميًا، والشعور بالضيق تبعه شعور أكبر بالذنب فقد عمل أبوها جادًا، وكان سعيدًا لنجاحهم الدراسى وعملهم كموظفين.

جلس روبرت فى المقعد الخلفى، وخلفه تمامًا كما لو إنهم فى طابور، وصلت السيدة هيكى مصبوغة بحمرة الشمس حتى فى الشتاء، تظهر عليها الصحة والقوة لا يمكن أن تحدس عمرها، نانسى تعلم أنها فى أواخر الخمسينات، بعد أن سألت الناس وجمعت الأجوبة. تعمل جودى فى محل لبيع الأعشاب المعالجة والحبوب والمسكرات وتزرع بعض المنتجات بنفسها وهذا سبب عودتها فى نهاية الأسبوع إلى بيتها لتشرف على مزروعاتها وتعود بإنتاجها إلى المحل فى دبلن الذى هو أشبه بمأوى للمجانين لم تذهب نانسى قط إليه، دى أخبرتها أنه رائع وعلى كل إنسان أن يزوره حتى للخبرة والمعرفة، ولكن نانسى تحترم مكانتها كموظفة استقبال لثلاثة من الأطباء الاستشارين فى دبلن، وتأخذ الأمر بكل جدية واعتبار، وليس من الأصول أن يراها أحد داخلة أو خارجة من أحد متاجر الدجالين.

جلست جودى بالخلف إلى جانب روبرت وحشر «ميكى بورنز» نفسه فى الكرسى الأمامى ضاحكًا داعكًا يديه ومطلقًا إحدى نكاته البذيئة، ابتسم الجميع واستراح ميكى بعد أن أفرغ ما فى جعبته وتطلّع باشتياق «هل سيحالفنى الحظ وأحظى بالجميلة سيليا إلى جانبى أم السيد كيندى؟ يا لحظك يا ميكى ها هو ذا السيد كيندى».

انسل كيف كيندى إلى الحافلة يسترق النظر من وراء كتفه كما لو إنه يخشى انقضاض العسكرى عليه قائلاً: «دقيقة من فضلك» كما

يفعلون فى الأفلام، لم تقابل نانسى شخصًا مثله يظهر عليه الخوف ويقفز قدمًا فى الهواء إن تحدثتَ إليه، ولذا لم يعد يكلمه أحد.

كانت **سيليا** آخر من وصل، ضخمة وجذابة مع أن **نانسى** لا تحب هذا الشكل، كثيراً ما ترتدى أحزمة ضيقة اعتادتها كما يبدو من مجال عملها كممرضة وهنَّ يبرزن مفاتنها ولكن قطعًا يقسمن جسمها بشكل لافت للنظر، النصف الأعلى بارز إلى الأمام وبروز كبير فى النصف الأدنى من الخلف، **ونانسى** تظن أن من الحكمة أن ترتدى ثيابًا أكثر براحًا.

جلست **سيليا** إلى جانب **توم**، آخر شخص يجلس دائمًا بجانب السائق. الساعة السابعة إلا عشرين دقيقة، انطلقت الحافلة وقد كسبوا خمس دقائق فى اليد.

«نجحتُ فى تمرينكم» قال توم ضاحكًا وهو يدخل ببوز الحافلة الصغيرة فى زحمة سير مساء الجمعة.

- «حقًا فعلت لا نريد وأوأة حتى نعبر **شانون**» قال **ميكى** ينتظر استحسانا وعندما لم يسمع شيئًا أعادها ثانية واغتصب البعض ابتسامة.

أعطت **نانسى دى** أخبارًا عن الأطباء الثلاثة بالتفصيل الممل، سألت **دى** عن رأى الناس بالأطباء وهل يمدحونهم؟ وأخبرتها **نانسى** أن

المرضى يشعرون بالامتنان لمساعداتها ويمنحـونها هدايا صغيرة فى أعياد الميلاد، واستهجنت **نانسى** سؤال **دى** فهى طبعًا لا تزور عائلة الأطباء فالتميز الطبقى مازال موجودًا ولا يمكنها أن تتورط فى حياتهم العائلية تعلم أن زوجة مـستر **بارى** كندية وله طفـلان، وزوجة مسـتر **وايت** مدرسة وله أربعة أطفال ومستر **تشارلز** بدون أطفال وهن لطيفات على التليفون.

غـرقت **دى** فى النوم **ونانسى** تشـرح مـطولاً مـشكلة شـبكة التليفونات فى المستشفى، مما أشعر **نانسى** بالحرج فهى تتحدث طويلاً عن أشيـاء تافهـة، حتى أمـها تتـركهـا وتذهب للنوم وهم فى وسط المحادثة، ولكن **دى** تصر على مـعرفة تفـاصيل عملهـا وتحرص على معرفة كل شىء، فلا يمكن أن تكون مملة على الأقل ليس بالنسبة لدى وسرعان ما كبت وهى تتابع النظر للحقول الطائرة.

كانت الحافلة مريحة ودافئة ومالت قليلاً نحو **دى**، لم تكن لتترك نفسها تغفـو لو كـانت بجانب أحد الرجـال أو بجانب **جـودى** التى لا تستريح لها، وغرقت **نانسى** فى النوم.

كانت أمـها جـالسة أمام طاولة المطـبخ تكتب رسالة لابنتـها فى أمريكا لم يبد الفـرح أو الترحيب على الأم فهم عـائلة غير معبرة، لا عناق أو قبلات أو تواصل بالأيدى.

سألتها أمها: «كيف كانت الرحلة؟».

- «كالعـادة غفوت قليلاً ولذا عندى تقلص فى الرقـبة» ودعكت نانسى رقبتها مفكرة.

- «شىء عظيم أن تنامى وسط كومة من المجانين الصارخين».

- «الأمر ليس بهذا السوء ما الأخبار» هل من جديد؟

- «لا شىء جديد، ألم تكونى هنا السبت المـاضى؟» عادت الأم لرسالتها متنهدة ثم أضافت.

- «ألا يخطر عـلى بالك الكتـابـة لأخـتك ديردر؟ الدين أمـر بالوصل، أختك تحب أن تعرف أخبارنا الصغيرة».

- «وكذلك أنا . ولكنك لا تخبرينى شيئًا» تذمرت نانسى.

- «كفـاك، هذا كلام فارغ فأنت هنا طوال الوقـت بينما المسكينة ديردر على الجانب الآخـر من المحيط الأطلنطى ديردر عندها زوجها وأولادها وثلاجة وعلبة مثلجات ورشاش مـياه فى الحديقة فعلاً ديردر مسكينة!!».

- «يمكن أن يكون عندك كل هذا كفى حقدًا على أختك وأظهرى بعض الطيبة».

- «أنا فعلاً طيبة» شعرت نانسى بشفتها ترتجف.

- «إذن توقـفى عن الشكوى وخـذى قطعـة من الورق، ضـعى رسالتك مع رسالتى سأوفر عليك الطابع».

رمت الأم بدفتر الرسائل **ونانسى** لم تجلس بعد، وحقيبتها الضخمة مازالت فى منتصف الغرفة، وفكرت إنه فعلاً استقبال دنىء ولكنها إنسان عملى ستخربش صفحة **لديردر** وتوفر على نفسها مشقة كتابتها يومًا ما، وتسعد أمها التى لربما ستقدم لها فطيرة التفاح، كتبت لأختها متمنية أن يكونوا بخير، وأنها تحب أن تزورهم ولكن أسعار التذاكر تبعث على اليأس، وهذا بسبب الجنيه الإسترلينى والدولار، وحدثت ديردر عن سيارة مستر **بارى** وأن مسز **بارى** اشترت حقيبة يد جديدة مصنوعة من جلد طفل التمساح كلفتهم ما لا يمكن تصديقه. وأضافت: جميل أن أعود كل عطلة نهاية الأسبوع إلى **راثدون** لأنه، وتوقفت عن الكتابة، نظرت نحو أمها العابسة، لا ليس هذا سبب عودتها فأمها لا تسعد بوجودها، عندها التليفزيون، والسيدة **كازى** ونصف دستة من الاهتمامات الأخرى، فكثيراً ما تعود **نانسى** فى ليالى الصيف إلى البيت لتجده فارغًا، وهى لا تعود من أجل حفلات الرقص مثل **سيليا**، أو **كيف** أو **ميكى** من ركاب الحافلة، لا يوجد لديها أصدقاء فى **راثدون**، وأنهت رسالتها: جميل أن أقضى كل عطلة نهاية الأسبوع فى **راثدون** لأنى أحب ركوب الحافلة الليلكية، ولأنى سأصرف ثروة فى **دبلن** خلال الإجازة دون أن أشعر، ونهضت أمها للنوم دون أن تقدم لها فطيرة التفاح أو أن تتمنى لها ليلة سعيدة.

كان يوم سبت فى أيام سبتمبر المشمسة والمضيئة، رحل السائحون ولم يبق إلا بعض من لاعبى الجولف، تجـولت نانسى فى الطرقات بدون هدف، يمكنها شـراء صحيفـة والذهاب للفندق لاحتساء الـقهوة ولكن إلى جانب بعشرة الفلوس لا تريد أن تكون محط شفقة.

شاهدت أم سيليا تغسل سلالم الحانة، تغضن وجهها وظهر عليها العجز، حـيتها نانسى ولكنها استـمرت فى الدعك، تعود سيليا كل أسبـوع لتساعد أمـها فى الحانة والبـيت، لابد وأن أمها تدفع لهـا ما يعوضها عن وقوفها طوال العطلة بعد عملها كممرضة طوال الأسبوع، ولكن سيليا حريصة على عدم إعطاء أية معلومة.

كان حوارها مع توم البارحـة فى الحافلة أمـراً غريبًا فـهى عادة تجلس صامتـة ووجهها القمـرى نحو النافذة، دى على النقيض منها مليئة بالحياة ومـهتمة بكل شىء، تمنت نانسى أن تهاتف دى وتخرج معها ولكنها لا تحلم بالارتفاع لمستوى آل يورك، ولا بعد مليون سنة، أطباء الجراحة شىء آخر، وهى تعرف مستواها.

مرت أمام كوخ جودى هوكز ورأت علامات النشاط فى الخلف، علب كبـيرة معـبأة ومرصـوصة، وجودى بسروالها القـديم وشعرها المقصوص إلى الخلف بمنديل.

البيت قديم ومتسخ ولكن الحديقـة بغاية النظافة والإتقان، غريب أمرها كثير من الناس يساعـدونها بالسقى والزراعة والنقل مع إنها قلما

تذهب لقداس يوم الأحد ولا تذكر زوجها وأولادها أبدًا، رحل الأب وولداه ولم تحاول الأم استرجاعهم عن طريق المحكمة، لابد وأن هناك سرًا خطيرًا، حتى عملها فى محل الدجل هذا، ومع هذا يظهر أن أصدقاء **جودى** أكثر من قليل، يساعدها الآن اثنان من إخوة **كيف كيندى** والأسبوع الماضى كان **ميكى بورنز**، وعلى الأرجح **روبرت** الشاب كان ضمن الفريق لولا مرض والده، راودتها فكرة الدخول للمساعدة، وأزاحتها بسرعة.. ما الذى يجبرها على الحفر وتوسيخ نفسها فى حديقة جودى بدون مقابل، عندها أشياء أفضل تقوم بها، ولكنها عندما عادت للبيت ووجدت مذكرة من أمها بانتظارها تساءلت ما الأشياء الأفضل التى كانت تقصدها؟ تركت أمها خربشة تفيد أن السيدة **كازى** ستصحبها فى زيارة، تعلمت السيدة **كازى** القيادة مؤخرًا، وعندها الآن سيارة قديمة أسعدت بها قلوب الكثيرين بمن فيهم أم **نانسى**، كانوا يخططون للسفر إلى **دبلن** والإقامة فى الشقة فالسيدة كازى عمة **ميرياد**، والآن لم يعد هناك لا **ميرياد** ولا شقة، انقبض قلب **نانسى** لهذه الذكرى.

لا تذكر أمها شيئًا عن الغذاء، ومتى ستنتهى الزيارة، لا يوجد طعام فى الثلاجة، سلقت حبتين من البطاطس وعبرت الشارع نحو بقالة كيندى: «من فضلك أريد قطعتين صغيرتين من السجق».

هل قلت باندين (نصف كيلو جرام).. السيد كيندى لا ينصت لطلبات الزبائن فهو يستمع دائمًا إلى الراديو.

- «لا فقط قطعتين».

- «هاه». . قال وهو يلتقط قطعتين ويزنهما.

- «كما ترى، فأمى لم تتسوق بعد، وأنا لا أعلم ماذا تريد».

- «لم ترتكبى ذنبًا كبيرًا بقطعتين من السجق». . وافقها السيد كيندى متنكدًا وأضاف «لن تتهمك أمك بتوريط العائلة بالدَّيْن».

سمعت قهقهة، وانتبهت أن **توم فيتزجرالد** فى المحل، ولم يعجبها استهزاءه بها قائلاً:

«لا تخف، الآنسة **ماوس** لا تورط نفسها فى الخطر».

رسمت **نانسى** ابتسامة ومضت.

- طالت فترة بعد الظهر، لا تسلية بالراديو، لا شىء للقراءة، غسلت قميصيها ونشرتهما، تذكرت بضيق أن تسريحة شعرها لم تلفت نظر أحد حتى ولا أمها، لحسن الحظ أنها لم تتكلف شيئًا.

سمعت صوت تغلق أبواب السيارة.

- «أوه. . ها أنت يا نانسى». . تبدو الدهشة دائمًا على أمها كلما رأتها «السيدة **كانزى** وأنا قمنا بجولة طويلة».

- «أهلاً سيدة **كانزى** هذا لطيف». . قالت **نانسى** متأففة. .

- «هل أحضرت لنا شيئًا على العشاء؟». . ظهر الترقب فى صوت الأم.

- «لا. . لم تطلبى شيئًا، كما أنه ليس هناك أى شىء بالمنزل».

- «أوه، كفى يا مورا، نانسى تمزح، لابد أنك أحضـرت شيـئًا لأمك».

تكره نانسى صوت السيدة كازى الشاذ، وتكره معاملتها لها كما لو أنها متخلفة فى الخامسة من العمر.

- «لا، لم أحضر، شيئًا ولمَ؟. . افترضت أن أمى ستحضر معها شيئًا». . حل صمت مطبق، قطعته نانسى.

- «لم يكن هناك ما يؤكـل على الغداء أيضًا». . قـالت فى نبرة متكدرة «ذهبت إلى بقالة كيندى واشتريت سجقًا».

- «حسنًا، سنأكل سـجقًا». . وأشـرق وجه السيـدة موريس من جديد. ردت نانسى: «ولكنى أكلتهم».

- «كلهم» لم تصدق مسز كازى.

- «إشتريت قطعتين فقط» حلّ الصمت ثانية.

وأردفت السيدة كازى: «انتهى الأمـر، طلبت من أمك أن تأتى لعندى، أصرت على العودة حتى لا تصابى بخيبة بعد أن هيأت الشاى

لنا جميعًا، وبناء على ما سمعته عنك قلت لها هذا بعيد الاحتمال، ولكنها لم تصدق، كانت فى منتصف الطريق إلى الباب «تعالى يا «مورا» واتركى الشباب يتصرفون على هواهم، لابد أن عندهم أشياء أهم من تحضير الشاى لمن هم مثلنا». . نظرت «نانسى» نحو أمها الذى ارتسم على وجهها مزيج من الخجل وخيبة الأمل.

- «استمتعى بأمسيتك يا «نانسى». . ومضت السيارة بعد مجموعة من القفزات والحشرجات.

ما الذى سمعته السيدة «كازى» عنى، لابد أنها «ميرياد» ، ماذا تقول: «نانسى» مزعجة؟».

لا تريد أن تعودا وتجداها فى البيت، ولكنها لم تتفق مع أحد ولا تحب أماكن الرقص واللهو، يمكنها الذهاب إلى حانة **ريان**، الموجودون من أهل بلدتها وهى الآن فى الخامسة والعشرين ويمكنها أن تفعل ما تريد، لبست واحدًا من قمصانها المغسولين والمكويين بحرص، وقررت أن تسريحة شعرها جميلة، ومضت، لم يكن الجو سيئًا فى الحانة، تجمع الزبائن حول البار يتصايحون ويمرحون، رأتها **سيليا** من وراء البار وبادرتها «ليس من عادتك المجىء إلى هنا».

- «ألسنا فى بلد حر، كما إن عمرى يزيد على الواحد والعشرين». . ردت «**نانسى**» بحدة ومرارة. .

- ردت «سيليا» «لا تحتدى، فما زال الوقت مبكراً للقتال».

لاحظت وجود «**دى بروك**» تتكلم فى التليفون، لابد أن تليفونهم بالمنزل معطل، لوحّت لها «**نانسى**» ولكن **دى** لم ترها، كانت **بيدى** «**برادى**» زميلتها فى المدرسة تحتفل بخطوبتها مع صديقاتها، مرّ خاتم الخطوبة على الجميع، وأبدين إعجابهن، أشرن **لنانسى** ومضت نحوهن بدلاً من أن تجلس وحدها.

قالت إحدى الفتيات مشجعة: «يضع كلٌّ منا مبلغًا فى هذا الكأس وهكذا يشارك الجميع فى المشروب».

- «ولكن لا أنوى البقاء طويلاً».. ردت **نانسى** بسرعة.

تبادلت الفتيات النظرات ورأت **نانسى ميكى** يحمل كأسين ويتجه نحو الزاوية.

- «ما آخر نكتة».. أمله أن تشد النكتة انتباه البنات، لم يتجاوب ومضى فى طريقه، «**ميكى**» الذى يمكن أن يفعل أى شىء ليجذب الانتباه، اتجه نحو الزاوية حيث تجلس امرأة تنكس رأسها، يبدو أنها زوجة أخيه «**بيلى**» الذى يملك الشكل الجميل والعقل المدبر والحظ كما يقول الناس.

شعرت «**نانسى**» بالدوخة بعد أن شربت كأسى حين بالبرتقال اشترتهما لنفسها وكأسين فى احتفال «**بيدى برادى**»، وخصوصًا أنها لم

تتناول طعامًا منذ الغذاء، قررت أن تستنشق الهواء الرطب مع البطاطس المقلية، جلست على السور بقرب محل بيع البطاطس المقلية وأكلتها ببطء، من هنا تشرف على القرية بالكامل، ترى وسط الظلام «دى تميل» خارج نافذة بيتها تدخن، وبعدها مصنع أقمشة عائلة **«توم فيتنرجرالد»** الأب وأخواه وزوجاتهم يعملون فيه، ملحق به مصنع الصناعات اليدوية، يصنعون التنانير من التويد الأيرلندى للسياح.

تعيش السيدة **«كازى»** على بعد ميل لا تستطيع أن تنظر داخل النوافذ من هنا ولكنها تتخيل منظر أمها وهى تأكل شرائح اللحم وتشاهد التلفاز وتخطط مع السيدة **«كازى»** لرحلة **«دبلن»** لحضور آخر عروض الصيف، **«ميرياد»** كتبت لهم عن البرنامج والعروض المتاحة وأما **نانسى** فاعتبرت الفكرة كلها نوعًا من الجنون.

برد الجو، وأنهت آخر قطعة بطاطس، عادت إلى البار، فكرت بدخول حمام السيدات وكادت تقع على مسز ريان الجالسة على السلالم.

- «آه هذه أنت آنسة **«موريس»**. . أطلقت السيدة ضحكة مستهزئة.

- «مساء الخير سيدة **ريان»**. . ردت **نانسى** بعصبية.

- «آه، يا آنسة **«موريس»**، آنسة موريس البخيلة، أبخل من فى الكون كل الناس يقولون هذا».

لم تكن سكرانة، كان صوتها جادًا وباردًا.

- ردت «نانسى» «من الذى يقول هذا؟».

- «أى شخصُ يذكرُ اسمك أمامه، كل صديقات «بيدى برادى»، بدون ذكر أسماء، جلستِ معهن وأخذتِ كوبين وهربت».

- «ولماذَا تنادينى الآنسة موريس؟».

- «لأنك هكذا تعرفين نفسك، ستظلين عانسًا إلى الأبد، لن يقبل بك أى رجل، فليس هناك أسوأ من امرأة بخيلة».

- «سأذهب الآن يا سيدة ريان».

- «شربت البنات عدة كؤوس، إن لم تدخلى، وتشاركى بخمستين فى هذا الكأس، فمن الأفضل لك فعلاً الهروب».

- «أضع ماذا؟؟». . ردت «نانسى» مصعوقة.

- «أوه، اهربى يا آنسة نانسى، أتوسل إليك».

شعرت «نانسى» بالدماء تغلى فى عروقها، تخطت المرأة مندفعة باتجاه الحرارة والدخان وصرخت بصوت عال.

- «آسفة يا بيدى، لم أكن أحمل نقودًا، جئت بها من المنزل، هل بإمكانى وضع هاتين فى الكأس، وسأشرب معكم الجين بالبرتقال» نظروا نحوها غير مصدقين شاعرين بالذنب والخجل خصوصًا من تطاولهم ونعتها بالبخل المدقع.

ونادت إحدى الشاعرات بالذنب: «كأس كبير من أجل نانسى».

رفعت «سيليا» حاجبها تعجبًا وقالت: «ولكن هذا يكلف مبلغًا وقدره يا نانسى».

- «أوه، بالله عليك طلبت منك مشروبًا ولم أطلب موعظة».

ردت **«نانسى»**، وانفجر الجميع ضاحكين.

كن يغنين ويرقصن متشابكات الأيدى، و **«نانسى»** تردد الكلمات وتصرخ: «بخيلة.. بخيلة.. بخيلة..» هذا ما تظنه **«ميرياد»**، هذا ما قالته لعمتها وأمها، لهذا طلبت منها ترك الشقة، هذا رأى السيدة **«كازى»** وما أخجل أمها، هذا ما كان يرمى إليه السيد **«كيندى»** فى محل البقالة مستهزئًا متندرًا، وهذا ما عنته **«سيليا»** الآن عن المشروب هذا ما آثار جنون السيدة **«ريان»**.

بخيلة.. ولكنها ليست بخيلة فهى حريصة وحساسة ولا ترى داعيًا للإسراف، ستصرف فلوسها على ما تريد، والذى هو... الذى هو... حسنًا لا تعرف الآن، قطعًا، لن تصرفها على ثياب جديدة أو رحلة ترفيهية، أو لشراء سيارة، أو مفروشات ثمينة تفرش بها شقتها، طبعًا ولا على الديسكو والملاهى، أو حتى الفنادق ذات الأسعار الوهمية، ولا حتى على تسريحات شعر جميلة أو أحذية إيطالية أو شراء قطعة لحم معتبرة، طبعًا ولا راديو مع إستريو وسماعات.

تشابكت أيدى الفتيات بالفتيان وتأرجحن، وقفت السيدة «ريان» ممسكة بعصا الجولف كأنه ميكرفون، فى الوسط تشاركهم الغناء. سيليا فى الخدمة تنظر إلى أمها كالآخرين لا تشعر بإحراج أو زهو، كان «توم» يتحدث معها كم هما ثقيلين هما الأثنان.!!

تدفق الدمع على وجه نانسى لذكرى كلمات السيدة ريان، المرأة الحقيرة فهى ليست بخيلة أبدًا، ولكن بما إن الناس يظنونها كذلك فهى إذن كذلك، أختها «ديردر» قالت يومًا إنها ضيقة فى معاملاتها المالية، وظنت أن «ديردر» تأمركت وأصبحت تتهم الناس وجهًا لوجه، نصحها أخوها بشراء بيت خاص فى «دبلن»، فدخلها جيد ولا تصرف سوى الملاليم كل أسبوع على إيجار الشقة وأجرة الحافلة، وذكّرها أنها تستعمل الدراجة فى تجوالها وتأكل ثلاث وجبات مجانية فى المستشفى، تيقنت الآن أنه يعنى أنها بخيلة.

لنفرض أن الناس يظنونها بخيلة، هل عليها أن تفسر أن هذا ليس بخلاً بل حرصًا، لا فهو اعتقاد لا يمكن زحزحته، وعليها أن تضع نفسها على الجانب الآخر.

ستقترح على أمها وتأخذها وصديقتها إلى غداء يوم الأحد فى الفندق كمشروع لوليمة، فات أوان عمل أى شىء «لميرياد»، لا مجال أن تعدها أن تكون أكثر كرمًا، لربما وجدت بعض المطبوعات عن أيرلندا تبعثها لأولاد ديردر من خالتهم نانسى فى أعياد ميلادهم. وللأخ الصامت بعض كتب صيد السمك وبطاقة دعوة.

كل هذا سيأتي بنتيجة كما يحصل الآن فى حفل «**بيدى برادى**»، ابتهجوا جداً ولم لا، وضعت الجنيهات العشرة بكاملها.

لا أثر للسيدة «**ريان**»، لابد وأنها ذهبت بعد الاستعراض، تود أن تشكرها، فبعد أن لعقت مشاكلها تستطيع أن تتفهم أكثر، ومع قليل من الحرص لن تتكلف شيئًا، تأخذ كمية من سكاكر الجلوكوز وتضعهم فى علبة وتقدمهم هدية أسبوعية لأمها، ويمكنها استخدام ثقالات الورق التى تأخذها من شركات الأدوية كهدايا بالكاد يُلاحظ اسم الدواءُ المعلن عليها، وقد أحسنت عملاً فلم تخبر أحداً بالعلاوة التى أخذتها عن جدارة، وهكذا لن يعرف أحد بالأمر.

(٢) دي DEE

كثيرًا ما تلتقى «دى بسام» فى الحانة المجاورة للمكتب، فى مساء يوم الجمعة، قبل ركوبها الحافلة الليلكية.

تأخـذ معــه كأسًـا ولو لمدة نصف الساعـة فقط، فـهى تعلم أن الحافلة تنطلق فى موعدها المحدد، كما إنها تعلم أن عودتها الأسبوعية إلى بيتها فى «راثدون» تثير الدهشة والأقاويل؛ فالمسافة بعيدة، والمغريات للبقاء فى «دبلن» كثيرة. هل صحـيح أن سبب عودتهـا إحساسـها بالواجب والانتـماء لأهلها؟ لا.. أبدًا إنه مـحض أنانية، فـهى تعود لتنعم بالهـدوء والاسترخـاء الذى يساعدها علـى الدراسة. ولكن.. كتب القانون التى تلف معها أيرلنـدا من أدناها إلى أقصاها تبقى قابعة فى الحقـيبة لا تـفتح. تمضى «دى يورك» معظم ساعـات عطلة نهاية الأسبـوع أمام النافذة سـارحة النظر فى «راثدون» حتى يحين مـوعد عودتهـا ثانية إلى «دبلن» فى مسـاء يوم الأحد، هذه العـودة المنتظمة أسعـدت والديها. تنزل من الحافلة عـلى ناصية نادى الجـولف ملوحة بمرح لركاب الحافلة المتجهين نحو البلدة.

لا تذكر «دى» منذ وعت الدنيا إلاً ووالديها مساء يوم الجمعة فى نادى الجولف، وفى الحالات الطارئة كـالولادة أو الوفاة، فأهل البلدة يعرفون أن الطبيب فى النادى يتصلون به عند اللزوم.

أصـيب أهلها بالدهشـة لانتظامـها بالمجىء إلى البـيت مع بداية الصيف، ولكنهم سعدوا لوجودها بينهم ثانية، «فدى» كانت دائمًا أمرح وأظرف فرد فـى العائلة، مـا إن يروا وجههـا الصبـوح يطل من باب النادى فى مساء الجمعة حتى يقفزوا لملاقاتها فرحين مرحبين لتشاركهم الجلسـة مع أصحـابهم فى البار، يطلب لهـا والدها شريحـة مسـخنة ويحيط كتـفيها بذراعـه إن جلست بقربه، وتنظر الأم نحوهمـا فرحة بهما، عـودتها الأسبوعية أدخلت البـهجة والسرور إلى قلبيـهما وإلى البيت. كانت دى تشعر بالغصة ويتقلص فى المعدة لبراءة أهلها ورحابة استقبالهمـا، وتساءلت عن مصيرها لو لم يكن عندها آل بروك لتلجأ إليهما فى أزمتهـا، لربما أصابها مس من الجنون، وما البديل؟ الذهاب إلى الديسكو؟ عليها أن تتماسك فلن يهتم بأمرها أحد سوى أهلها.

لاحظت للمرة الأولى أن سائق الحـافلة «توم فيتـزجرالد» شاب وسيم لم تعـره انتبـاهًا فيمـا مضى لاحظت ذلك وهو يمازحـها وهى ترمى بحقيبتـها على سطح الحافلة، ضحكته محببة، غريب أمره فلا يمكنك أن تحظى منه بإجابة واضحة ولا تعرف عنه شـيئًا، صحيح أنها تربت على بعـد عشـرين ياردة من بيتـه ولكن لا تعلم ماذا يعـمـل؟

سألت أمها يومًا وردت أمها لم لا تسـألينه بنفسك وأنت تسافرين معه كل أسبوع وأجابت «دى»: «أوه. . ليس من السهل سؤاله».

«إذن فالأفضل أن تبقى جاهلة» ردت الأم ضاحكة وأضافت «فى هذه المرحلة من العمـر لن أذهب إلى مصنع النسيج حـيث يعمل أبوه وأخواه لأسألهم عن عمل ابنهم».

هاهى «**نانسى موريس**» تجلس فى مكانها المعتـاد فى الحافلة تبدو مختلفة اليوم، أهو قميص جديد أم تسريحة شعرها الغريبة؟ لن تسألها **دى** وإلا ابتدأت بالندب على ارتفـاع أسعار كل شىء، مع إن «**سام**» أخبرها أن **نانسى** تتقاضى راتبًا معتبراً أكبر بكثير من موظفى الاستقبال الذين يعملون فى مكتب المحاماة الذى تعمل «**دى**» به.

لن تجلس بجوارها، ولكن مـن غيرها يعرف أخـبار «**سام**»؟ من سيعطيها تفصيلاً عن أخبار «**سام بارى**» اليومية غير «**نانسى**»؟ من كان يتصور أنها تجلس كل أسبوع بجانبها فى الحافلة تتحدث معها عن «**سام**» كما لو إن هناك جزءًا من «**سام**» مسافر معها. يكفى أنها تتحدث عنه ولو بطريقة غـير مباشـرة. حتى ولو أن هذا يعنى استـماعها لأخـبار السيد «**وايت**» المملة، وأخبار السيد «**تشارلز**» الأكثر مللاً، لا يجب أن تشعر «**نانسى**» إطلاقًا أن اهتمامها منصب فقط على السيد «**سام بارى**».

بإمكان «**نانسى**» أن تتكلم إلى ما لا نهاية، بالتفصيل الممل عن كل أنواع المشاكل التى تواجه الأطباء الاستشاريين مثل صعوبة إيجاد سرائر

للمرضى بسهولة، و عن تعقيدات التأمين الصحى، كل أشكال وأنواع الناس الذين يصعب التفاهم معـهم، ولكنها لا تعلم شيئًا عن أسلوب حيـاة الأطباء خارج المستـشفى إلاَّ ما يخـبرونها به أو مما تسمـعه من الممرضات، وهو شيء لا يذكر.

- «هل تتصل زوجـات الأطباء بهم فى العـمل؟» تساءلت **«دى»** وهى تشعر كما لو إنها تقتلع ضرسًا منخورًا، وهى تعلم أن هذا سؤال مباشر وعليها ألا تسأله.

- «أوه.. نعم تتصلن فى بعض الأحيان» أجابت **نانسى** مندهشة.

- «كيف يبدين».

- «كلهن لطيفات جدًا، يناديننى باسمى».

وهذا مـا أدهش **«دى»**، **فنانسى** من النوع المتـزمت والمحـافظ والعملى ولا تتصور أنه بالإمكان التباسط معها.

- «نعم، كلهن يبادرن بالتحية أهلاً آنسة **«موريس»**.

إذن هذا ما تعنيه بأنهن ينادينها باسمها.

- «وهل تظهر اللكنة الكندية فى حديث السيدة **«بارى؟»**.

- «رائعـة ذاكـرتك يـا دى، تذكـريـن كل شـىء عـن أطبـائى، لا أستغـرب فأنت ذكية جـدًا وستـصبحين محامية ماهرة، لا فلكنتها غير ملحوظة، ولكن تخمينى أنها من هناك صوت أمريكى.

تستـغرب «نانسى» أنى أتذكر أنهـا كندية، وكيف لى أن أنسى؟ أستغرب لو نسيتُ هذا:

«المسكينة تشعر بالغربة، ليس لديها أصـدقاء وبعيدة جدًا عن بلدها، الأمر مختلف لو إنها من هنا ومحاطة بالأهل والأصدقاء، تحتاج لفترة لتتأقلم للاعتماد على نفسها وعلينا أن ننظر حتى تعتاد الحياة هنا».

لا تستطيع دى فهم منطق «سام»، إن كانا سينتظران حتى تتأقلم السيدة «كاندى» بارى على العيش بالطريقة الأيرلندية فهذا يعنى أنهما يراكمان المشاكل فوق رأسيهما، ثم لِمَ لا يقذفون بها إلى حيث تنتمى إلى كندا قبل أن تشعـر بالغربة أو العزلة عن جذورها الأصلية وبيـئتها هناك؟ طبعًا فهو لا يطيق البعد عن ولديه، نسخة طِبق الأصل منه فى السابعة والخامسـة من العمر، لن يتركهما يبعـدان عنه أربعة أو خمسة آلاف ميل ليزورهما مرة فى السنة.

ولكن ألا يخطر بباله أنه سـينجـب منها، وإجـابتـه الغـريبة هذا أمرمختلف - رائع ولكنه مختلف - فهو لن يرمى بولديه الحبيبين لأنه ينوى بناء عـائلة جديدة مـع إنسان آخـر، طبعًـا هذا طلب غيـر طبيعى ويدل على مدى قلة نضوجها وتفهمها.

تعمد «سام» استعـمال هذا التعبـير - عدم النضوج - ليـشعرها بالمهانة، قال إن النضوج لا عـلاقة له بالسن، هناك من هم أصغر من «دى» بكثير ولكنهم أكثر نضوجًا، وهناك من هم أكبر بكثير ولن يصلوا

أبدًا للنضوج، لم يعجبها التفسير فهو يتلاعب بالمعانى ويغيرها على هواه.

يقول «سام» إن «كاندى» لا تتصل به بالعمل، وها هى نانسى تقول العكس. لربما تريد «نانسى» أن تتظاهر بمعرفتها بهن جميعًا، وتتفاخر بمعرفتها كل التفاصيل، وها هى الآن تشرح مطولاً تعقيدات أنظمة التليفونات، ولا تعلم دى لِمَ تسأل «نانسى» عن عمل «سام» فهى لا تحظى منها بجديد ولكن هذا يبدو كرؤيتها لصورة منظر طبيعى حفظته عن ظهر قلب ولكنها تود رؤيته من جديد من زاوية أخرى، استرسلت «نانسى» بالشرح وأغمضت «دى» عينيها واستسلمت للنوم العميق، حلمت أنها تستلم شهادة التخرج من رئيس العدل، وسام يشد على يدها مهنئًا، ومصور من صحيفة جريدة المساء يصورهم هم الثلاثة ويكتب أسماءهم فى دفتر مذكرات، تحلم «دى بسام» كما لو إنه جزء من حياتها، وهذا يعنى أنها تحاول الهروب من الشعور بالذنب لوجوده فى حياتها، تقنع نفسها أن ما بينهما طبيعى وعلى المكشوف، طبعًا ليس واضحًا ومكشوفًا تمامًا، ولكنه كذلك ليس تحت الأرض أو فى الركن، وعلى سبيل المثال فشريكتها فى الشقة تعلم عن علاقتها بسام، وتلتقى به أحيانًا، كذلك صديق «سام توم» يخرج معهما لتناول الطعام فالأمر ليس سريًا تمامًا، تساءل سام عن رأى أهلها فى علاقتهما وأجابته بأنه لن يخطر على بال أهلها ما بينهما وأنها تحاول

أن تمهد الطريق وتهيئهما للحقيقة، ولكنها الآن تصر على نفى وجود أية علاقة عاطفية فى حياتها حتى يحين وقت إعلان ارتباطهما، وتوحى لهما أنها على الأرجح ستقع فى علاقة غير سليمة، هذا التعليق جعلها تنفجر بالضحك وأحزن «سام» الذى بدا هادئًا وهو يقول «لا تتأملى كثيرًا، لا أرى سعادة فى المستقبل».

- «هذا حال معظم الناس» ردت بمرح ولكن عليهم الاستمرار فى الأمل وإلا فقدت الحياة طعمها، استعاد بعضا من مرحه ولكنه كان أهدأ من عادته.

لا تعلم دى سبب عودتها إلى بيت أهلها فى «**راثدون**»، نصحتها صديقتها «**أيدين**» بعدم السفر حتى يتمكن من لقائها أو محادثتها هاتفيًا، فهو لن يستطيع الاتصال بها فى بيت أهلها. هذا صحيح، ولكن واقع الأمر أن وقته الحر أصبح نادرًا، وتنوعت المبررات فأهل « **كاندى**» جاءوا من تورنتو وعليه أن يفسحهم ويلف بهم معالم دبلن، أحد الصبيين وقع عن دراجته وأصيب فى جبهته وعليه اصطحابه إلى المستشفى والعناية به، وهناك الإجازة العائلية والرحلة بالباخرة على نهر شانون، والمهاتفات السريعة المقتضبة يلجأ إليها مدعيًا الذهاب لدورة المياه أو لشراء مشروب، ومؤخرًا نفدت الحيل والمبررات ولم يعد يقدم تفسيرًا لغيابة ولندرة مخابراته وهكذا فذهابها إلى راثدون يسهل عليها الأمر، فهو لا يستطيع مكالمتها فى بيت أهلها، فأبوها سيعرف

اسمه وسيشك فى الأمر فآلة الهاتف فى المدخل لربما هذا هو سبب هروبها لأن أى شيء أرحم من جلوسها منتظرة لمكالمة لا رجاء منها يمكنه القيام بها ولا يفعل.

تنصحها صديقتها «أيدين» بالدفاع عن حبها والمحاربة لنيل مناها، وتجبره على التخلى عن زوجته «كاندى»، ففى البداية كان مهتمًا جدًا بها وعلى استعداد أن يفعل المستحيل لإسعادها، والحقيقة فهى التى ساعدته على الشعور أن بإمكانه الاحتفاظ بهما كليهما، وفكرت دى لربما هذا ما تريده هى أيضًا، فهى لا تريد فضيحة كبيرة لا تريد أن تتخلى عن دراستها وعملها وتنتهى نصف زوجة، نصف مؤهلة دراسيًا ومهنيًا وتبنى زواجًا مخزيًا، و«أيدين» تقول إن هذا كلام فارغ فأهل دى سيرضخون للأمر الواقع كما رضخوا وقبلوا بوضع أخيها. فهو يعيش مع صديقته بدون زواج، ولكن دى ترى أن الحالة مختلفة فصديقة أخيها «فرجيل» مرتبطة مع شاب أعزب أما علاقتها بالطبيب الاستشارى وإرغامه على التخلى عن زوجته وولديه للزواج بها فهذا قطعًا أمر مختلف، ولا توافقها «أيدين» فى الرأى وتعتقد أن كلا العلاقتين خاطئة وغير محترمة.

ولكن الأمر لم يعد بيدها فقد برد «سام» ولم يعد متلهفًا كسابق عهده معه، . يتهرب بأعذار ومبررات كالتى كان يقدمها لزوجته على الهاتف منذ سنة مضت مثل : «عفوًا ياحبى حاولت التملص ولكن لا فائدة،

هناك هذا الاجتماع الهام، تهربت المرة الماضية ولا يمكننى هذه المرة».
اعتذار سمعته يقدمه لزوجته الكندية وهو معها ويخيفها جدًا أن تسمعه الآن بالأسلوب نفسه، يقدمه لها حبيبته الصغيرة المتيم بها؟ أم إن هناك حبيبة صغيرة أخرى؟ أصغر من الثالثة والعشرين. واحدة لا تتذمر وتتأفف لإلغائه موعدًا، واحدة لا تقترح عليه أن يقذف بزوجته «كاندى» إلى حيث تنتمى فى تورنتو.

ومع هذا كانت «دى» هادئة ولم تأخذ احتمال وجود منافسة لها مأخذ الجد، فهو طبيب مشهور ومشغول جدًا وجاد فى عمله، وقائمة المرضى والزبائن لا تنتهى والضغط فى ازدياد عليه، ووقته يكاد يسمح له بعلاقة أو اثنتين فما بالك بثلاثة، هذا مستحيل وليس باستطاعته الاستهتار بعدة علاقات غرامية.

شعرت «دى» بالراحة لتوقف الحافلة، أعطاهم توم عشر دقائق تمامًا للنزول وتحريك أقدامهم، بينما يملأ خزان الحافلة بالوقود، عادة يتناول الرجال كأسًا وتدعو دى كلا من «نانسى» و «سيليا» على كأس وتطلب لنفسها زجاجة براندى علها تدفىء البرودة فى معدتها وتعالج شعورها بالتوتر والقلق، ولكنها اليوم بالذات تشعر بالراحة فهى تعلم أن «سام» سافر للندن لحضور مؤتمر هاتفها من المطار لتوديعها وليخبرها عن مدى حبه ولهفته للقائها فى مساء يوم الاثنين بعد عودته من لندن، وأنه سيخبر زوجته كاندى أن المؤتمر سيستمر حتى يوم الثلاثاء،

وهكذا سيمضون الليلة سـويًا، وهذه فرصة رائعة فمنذ زمن طويل لم تتح لهمـا مثل هذه الفرصـة، وستحاول أن لاتتـشابك معه ولا تحـتد ويستمتعا ببعضهما كسابق عهدهما.

عادوا ثانـية إلى أماكـنهم فى الحافلة، يصـر المسكين بواب البنك «ميكى بورنز» على ترديد نكته البذئيـة ويعمد إلى إعادتها ليـتأكد أن جميعهم استوعبها وضحك منها، قالت «دى» «للنانسى» لا يصح أن أنام كثـيرًا فى الحـافلة لأنه يسبب لى تقلصًـا عضليًـا فى الرقبة والـكتفين وردت «نانسى» هناك عـلاج ناجح للتخلص من آلام الشـد العصـبى بالرقبـة، عليك أن تنزلى برأسك إلى الأسـفل كمـا لو أنه ثقل كبـير وتؤرجحيه بشكل دائرى، وافقتها «جودى هيكى» وشاركت فى الحوار على غير انتظار. وأكـدت أن هذا التمرين وأحد من مبـادىء اليوجا، فكرت دى أن هذا الرد ألزم نانسى الصـمت فهى لاتحب أن تدخل فى حديث مع «جودى» وخصوصًا فى مناقشة عن اليوجا.

لابد وأنه الآن فى لنـدن يقـيم فى هذا الفندق الـضـخم بقـرب السفارة الأمريكـية، كانت أمضت معه مرة عطلة نـهاية الأسبوع تحت اسم السيدة «بارى»، كانت خائفة أن تلتقى بأحد المعارف من راثدون مع إن هذا أمر بعيد الاحتـمال، أخبرها أنه سيحضر حـفل الاستقبال الذى سيقام فى الثامنة والنصف، لابد وأن الحـفل قد ابتدأ الأن، كما أخبـرها أن كل واحد منهم سـيضع إشارة تحـمل اسمـه على صدره،

شعرت بالرغبة للتحدث عنه ثانية، فهذه فرصتها الأخيرة مع «**نانسى**» طالما أنها لن تستطيع التحدث عنه فى البيت.

وبادرت «**نانسى**» قائلة يبدو أن الأطباء يُدعَون للعديد من المؤتمرات هذه الأيام، وأجابت «**نانسى**» بغموض: «من حين لآخر، ليس كثيراً. أخذوا إجازاتهم فى أغسطس الماضى، وهذا ما يربك المواعيد. فالناس لا تتصور أن الأطباء بحاجة لإجازة مثلهم، بينما هم أكثر حاجة» أضافت «**نانسى**» مؤكدة.

لم ترغب «**دى**» أن تسير فى درب الشهداء هذا وتستمع لكل هذا اللغو، كل ما أرادت معرفته هو إن كان السيد «**بارى**» مدعواً لهذا المؤتمر المعتبر فى لندن، كما تريد أن تسمع من «**نانسى**» عن عودته من المؤتمر يوم الثلاثاء. سألت «**دى**»: ولكنك قلتِ إن أحد الأطباء غائب من أجل هذا المؤتمر؟

شعرت «**نانسى**» بالحيرة وقالت: «كلا.. لاقطعًا لا».

- «لربما أنهم يذهبون دون أن يخبروك» خفق قلب **دى** بنبضات مضطربة.

- «لا أظن ذلك» بدت «**نانسى**» مترفعة وأضافت ولكن على أية حال فلن يسافر أى منهم فى عطلة نهاية الأسبوع هذه. لأننى أعلم أين هم، هناك مناسبة كبرى السيد و السيدة «**بارى**» - وهى كندية كما

تعلمين - يحتفلون بالذكرى العاشرة لزواجهم ويقيمون حفلة شواءكبيرة غداً والكل مدعو إليها وطلب منى السيد «بارى» أن أصلى حتى لا تمطر؟.

لم تستمع «دى» لأى شىء آخر بقية الرحلة، ولكن يبدو أنها استطاعت أن تهز رأسها وتبتسم لأنه لم تبدُ الحيرة على قسمات نانسى أو بدا عليها أنها شعرت بقلقها واضطرابها.

شعرت «دى» كما لو إن أحداً فتح حلقها وصب فيه ماءً مثلجًا تحت دلاية حدوة الحصان الذهبية التى أهداها لها حينما كانا فى لندن. لِمَ كل هذا العناء فى التلفيق والكذب المتقن، هذا الكذب الملىء بكل هذه التفاصيل على الإشارات التى تحمل أسماءهم، أسماء الأطباء الأمريكيين والفرنسيين والألمان، هل هناك أى وجود حقيقى لهؤلاء البشر؟ هل التقط الأسماء من دليل الهاتف أو من كتب الأدب؟ لماذا؟ إن كان زواجه ناجحًا بهذا الشكل ويحتفلان به علنًا ويقيمان حفلة شواء كبيرة فما حاجته لها. ولِمَ يُصر عليها؟

استعادت أحداث علاقتها به منذ البداية، لقاءهما يوم الاحتفال بلعبة الرجبى العالمية، كان الناس مدعوين لحفل غذاء كبير قبل المباراة وأمضوا أوقاتًا بهيجة لدرجة أنهم آثروا البقاء فى الحفل وقرروا مشاهدة المباراة عن طريق التلفاز، شعرت «دى» وقتها بالذنب لأنهم لم يستعملوا بطاقاتهم وأرادت إعطاءها للشباب الذين يأملون بالحضور ولا تذاكر

عندهم، استطاع **«سام»** أن يجمع نصف دستة من البطاقات من الحضور إرضـاء لها، وأسـرع إلى الطريق ليوزعـهـا على الشبـاب المنتظر فى الطريق الذين تلـقوها بـفرح والحـمـاس ظاهر على مـحـيـاهم وهم يتدافعون ملوحين نحو الملعب.

ضحكت مع **«سام»** كثيرًا فى ذلك المساء، كانت زوجته **«كاندى»** تجلس فى الناحيـة الأخرى من الغرفـة تتحدث عن وصفـات الطعام، وساعة الانصراف قال لها **«سام»** يجب أن أراك ثانية.

ودوت ضحكتها مـفعمة بالبهجة وأجابتـه: «إنها طريقة هوليودية صرف»، وأعـجبه أن تنـعته بهـذه الصفة، شـعرت به ودودًا ولطيـفًا وأعطته رقم هاتفـها فى العمل والبيت، واتصل بهـا فى اليوم اللاحق وأخذ يتعقبها، نعم يتعقبـها فهذا ما فعل وهى لا تتجنى عليه، أكدت أنها لا تريد أن تتورط مع رجل متـزوج، وأجابها أنه يعلم أن إصراره يجعله كهـوليودى أو كزوج لعوب ولكن واقع الأمـر أن زواجه فاشل وخطأ كبيـر كان عليه أن يتجنـبه، كان فى كندا وحيدًا وبـعيدًا، وهو حتى إن لم يلتق بها سينفصل عن زوجـته ويذهب كل منهما إلى حال سبيله متى وصل أولادهما للسن المعقولة. . ووعد أن يحبها ويرعاها. والآن ما الدافع لكل هذا الكذب؟ إن كان يحبها فعلاً ويظن أن علاقته بزوجته متهدمة فلمَ يقيم هذا الحفل الكبير مع الأخرى احتفالاً بذكرى زواجهـما العـاشر، كمـا إنه يعبـد الولدين الصغيـرين، ولِمَ كل هذه

الأقـاصيص الكاذبـة عن مؤتمر فى لنـدن والأسمـاء الوهمـية لأطبـاء وأشخـاص لاوجود لهم؟ شعـرت دى برأسها يـكاد ينفجر من كـثرة التفكيـر ومحـاولة تحليل الأمور، وضـعت رأسها بين يديـها وانحنت قليلاً إلى الأمام لاحظ توم حركتها وانزعاجها فسألها:

- «هل أنت على مايرام يا «دى»؟».

- وأجابته «تمامًا».

- «خمس دقـائق ونصل لناصية النادى» ظن توم أنها مـرهقة من طول الطريق.

- «هل صحيح أننا وصلنا؟» أجابت مندهشة، بدا لها أن أمامهم على الأقل سبعين ميلاً ليصلوا إلى رائدون.

وعلقَّت: «عليكَ أن تحاول قيـادة طائرة كونكورد». متظاهرة بالمرح والرغبة فى المزاح.

«ستكون كلعـبة أطفال مقـارنة بالحافلة الليلكية». أجـابها «توم» ضاحكًا، تحـيرت هل تذهب إلى البيت أم تنزل إلى النادى كعـادتها. ولكن هذا لن يصلح حـالها، تعود إلى بيت فـــارغ، من الأفضـــل أن تقابـل أهلها وأصحـابهم، تلتقـى بمن يهتم بهـا ويحادثهـا ويفرح للقائها.

فتحت حقيبة يدها وأخرجت مرآتها، لم تصدق عينيها لم تكن تبدو سيئة بوجهها المشرق والملوح بالشمس، بعد كل هذه العطلات الأسبوعية فى البيت. وشعرها المنسدل على كتفيها، «سام» يقول شعرها المنسدل الجميل ويريقه يصلح كإعلان عن صابون للشعر (شامبو). سرها قوله واعتبرته مديحًا، نظرة عينيها عادية وغير مضطربة، ستنزل إلى النادى وإن سألوها لمَ يبدو عليها التعب والإرهاق ستدعى أن معدتها مقلوبة. وهكذا ستتمكن من طلب كأس براندى فقد سمعت أن هذا المشروب يعالج معظم الأمراض.

سعد أهلها بلقائها كالعادة، إضافة إلى أنهم كادوا ينفجرون بالأخبار ولم ينتظروا وصول المشروب لديها ليشربوا نخب النبأ السعيد، تلقوا مخابرة من أخيها يزف إليهم أنه وصديقته أعلنا ارتباطهما واشتريا خاتمى الخطوبة، وسيتزوجان قبل أعياد الميلاد، اتصل أيضًا أهل «كات» كلهم سعداء لتطور الأحداث، وعلق الأب يبدو أن الجيل الجديد أكثر وعيًا من جيلهم ولايرتبطون إلا بعد تروٍ واقتناع.

رفعت «دى» كأسها احتفالاً بالخطوبة، وشربت نخب صحة أخيها وخطيبته الجديدة، وتشاورت مع أمها عما سيرتدون للمناسبة.

شعرت بالمشروب ينساب حارقًا فى هذا الممر الضيق الذى كان يمتلئ سابقًا بالماء المثلج، وأكد لها صدق من نصحها به كشفاء لكل علة.

ولكنه لم يساعدها على النوم. وكان عليها أن تتجول في البيت بهدوء حتى لاتوقظ أهلها فالأرضية الخشبية للبيت قديمة ومليئة بالفراغات، وإن أرادت الذهاب إلى الحمَّام فخطواتها على الأرضية المخلخلة تطلق طقطقة توقظ البيت بأكمله.

وعليها أن تراع الأصول وتقل من الحركة، تحدث أهلها طويلاً قبل النوم في الدور الأرضي، مضى على زواجهما ثلاثون سنة ولم يحتفلوا يومًا بذكرى أعياد زواجهما، وعند بلوغ أمها سن الخمسين السنة الماضية، تناسوا جميعًا المناسبة بكل أدب، ولم يفكروا بالاستعراض علنًا وإقامة حفلة شواء يدعون إليها كل المجتمع.

ولكن ليس هذا المهم عليها أن تفكر، ماذا ستفعل هل ستتظاهر بأنها لم تكتشف الأمر وتتركه يسترسل في أكاذيبه؟ وهذا يعني أنها ترضى أن تعيش في غش كبير، هل ينوى الاستمرار في هذا الحال يمضى فترة معها وأخرى مع زوجته كاندى؟ فهو لا ينظر مثلها بعين الاعتبار لمعنى الإخلاص والولاء، من أين له أنه يعرف أن موظفة الاستقبال «نانسي» ستثرثر بأخباره؟.

صحيح أنه يعلم أنهما يُسافران معًا في الحافلة ولكنه لن يخطر على باله أن «نانسي» مع تكتمها وحرصها ستحدث دى الغريبة تمامًا عنها عن أمر تافه كحفلة شوائه، هل ستتصل به في البيت وتواجهه بالأمر؟ وما الفائدة؟

فلتهـدأ وتنتظر حتى الصبـاح، ما الحركات التى تحـدثوا عنها فى الحافلة عن كيفية الاسترخاء والتخلص من الشد العضلى؟

حاولت تنفيذها دون جدوى، وازداد الألم فى رقبتها.

مضت ساعـة أخرى وهى مازالت تعانى من الأرق، واسـتغربت قلة حيلتها، لتشعل النور وتقرأ، ومضت ساعة أخرى وتساءلت لِمَ لا تحتفظ ببعض مـن الحبوب المنومة، وها هى ابنة لطبيب وحبـيبة لآخر تعانى من الأرق ولا تجد العلاج، وانفجرت بالبكاء إلى أن استسلمت للنوم فى الثامنة صباحًا، وصوت خطوات أمها، تهبط السلالم لتحضر القهوة.

صحت فى الـواحدة ظهرًا لتـجد أمـها منتصـبة أمـام سريرها. وبادرتها «هل تشعرين بتحسن فى المعدة؟».

نسيت دى مـا ذكرته عن التـقلص المعـوى لتشـرب «**البـورت**» «**والبراندى**» وردت مرتبكة «أظن ذلك».

- «إن كنت تشعريـن بتحسن فأود أن أطلب منك خدمـة، تلقينا مخابرة من **فيرجيل**» وصمتت الأم تترقب رد الفعل.

صرخت دى وهى تفرك عينيها «هل ألغى الفرح؟»

- «كلا أيتـها البلهاء، اتصلـوا بنا ليخبـرونا بمجيئـهم هذا المساء حوالى السـادسة، هل يمكنك اصطحابى إلى السـوق أريد شراء بعض الأشياء؟»

- «إلى السوق»، هذا يـعنى وسط المدينة على بعد سـبعة عـشر ميلاً من راثدون.

- «وما الداعى إلى وسط البلد؟»

- «لا يمكننا شراء أشياء جميلة فى السوق هنا».

- «أمى، بالله عليك وما حاجتنا للأشـياء الجميلة؟ « **فيرجيـل**» هو من سيزورنا فما الداعى لأشياء غريبة وجميلة؟»

- «ولكن «**كات**» ستزورنا معه».

- «ألم تمض سنة وهما يعيشان سويًا، هل فقدت صوابك يا أمى؟

لم لا نذهب إلى بقالة كنيدى ونأتى ببعض شرائح لحم الخنزير أو الضأن أو ما نجده عنده».

- «كفى كـفى، قولى إنك لا تريدين قـيادة السيـارة واصطحابى وأنا متأكدة أن أباك لن يمانع فى اصطـحابى فى دورة سريعة فى البلد» قالت الأم هذا وقد بدا عليها التكدر والقهر.

- «أنت تعلمين تمامًـا أنها ليست دورة سـريعة إنها سـبعة عـشر ميـلاً والطريق صعب ومزدحم بالمتسوقين يوم السبت، ولن نجد مكانًا لركن السيارة، ولن ننتهى قبل ثلاث ساعات».

- «لا تشغلى بالك، فـأنت مشغـولة جدًا بالنوم حـتى منتصف النهار، وأقدر مـدى المسئولية الملقاة على عـاتقك فى الحياة لا شكرًا، لربما سيـستطيع والدك الـتنازل عن دوره فى الجولـف هذا الأسبـوع ويصطحبنى».

نهضت «دى» من السرير والتقطت رداء نومها.

- «سأغتسل وأصحبك فوراً، ولكن أريدك أن تعلمى أننى أخاف عليك من الجنون مـن شدة الفـرح، وسنذهب الأسـبـوع القـادم إلى السوق لتشترى لى شيئًا جميلاً وغريبًا».

- «يسـعدنى أن أفعـل لو جئت مـعك بخطيب» وأضـافت الأم «على فكرة لمَ لا تلبسين شيئًا وأنتِ نائمة، أليس هذا تصرفًا غريبًا؟»

- «فعلاً، إنه تصرف غريب، ولكن المفروض أن باب الغرفة مُقفل كنوع من الخصوصية إن أراد البعض أن يعلم».

- «جمـيل أن أكتشف جمـال ابنتى وجاذبيتهـا»، قالت الأم هذا ومضت سعيدة لتحضر قائمة مشترياتها.

اشترت الـسيدة «بروك» مفـرشًا جديدًا للمـائدة مع ست فوط، وكانت «دى» ترفع أعينها طالبة الرحمة من السماء كلما شعرت بحملقة حـراس المحلات، ولـم يعجب الأم أن تراهـا محط أنظار الجـمـيع، استـرعى انتباه دى أم تضرب طفلهـا الذى لا يزيد سنه على السنوات الثلاث إلى أن انفجر الطفل بالبكـاء وخلصه أبوه من بين يديها بعد أن اتهمها بالقسوة، وفكرت «دى» فى مزايا الزواج والحياة الأسرية.

لو نظر كائن فى المريخ نحو بنى الإنسان لظن أننا كائنات مجنونة نتجمع ونتـسابق لنلقى بأنفسنا نحو الزواج كـما لو إنه شر لابد منه.

والمطلب الوحـيـد فى الحيـاة، كل الروايات العـاطفـية والمسلسـلات التليـفزيونيـة مثل دالاس تدور وتنتـهى بالقـدر الوحيـد، الـزواج. وهذا تفكير كل البشر، لا يستفيد أحد من درس الحياة.

عادت أمها من المحلات محملة بالمشتريات، فى نفس وقت عودة الحراس لمعاكستها فجرّت أمها والرزم إلى السيارة بعنف.

- «لقد أصبحت عنيفة جداً يادي، وغير مؤدبة»، قالت الأم وقد بدا عليها الضيق.

- «كل هذا لأنى أنام عـارية»؟ فى منتـصف الطريق إلى البـيت توضحت الأمور أمام «دي»، هذه البلهاء «نانسى» لابد وأنها السبب، سهى عليها الأمر و«سام» مشغول مع عائلته الأسبوع القادم وليس هذا الأسبوع، ومن الجنون الاعتماد على أخبار «نانسى» الخاطئة، مزحت مع أمهـا واتهمتـها بالجنون والواقع أنهـا هى البلهاء لتأخـذ بأقـوال «نانسى موريس»، لابد وأن «نانسى» سرحت أمام دفتر المواعيد وهى تفكر بغلاء الأسعار، وشعرت دي بعد هذا التفسير براحة كـبرى كما لو إنها أنهت امتحانًا صعبًا، أو كما لو إنها أقدمت على الاعتراف فى الكنيسـة. مع إنها امـتنعت الآن عن الذهاب إليهـا. أو كمـا لو إنها نجحت فى امتحان قيادة السيارة.

ضحكت بسعادة ونظرت أمها نحوها برعب من تبدل حالها.

- «كنت أفكر فقط يــا أمى فى اليوم الذى نجحت فـيه بامتـحان قيادة السيارة».

- «حسنًا، لا أدرى لو أنك ستنجحين فى الامـتحان ثانية» ردت أمها «فأنتِ اليوم تصطدمين بهذه المـطبات وأنتِ تقودين بهذه السرعة، ولن يعجبَ أبوك أن «تعاملى سيارته بهذا الشكلَ».

- لا، ولكنى أفكر بالشـعور الجـمـيل عندما أخـبرنى المختـبـر بنجاحى بالإمتحان.

«وأنا جادة الآن، أنا مستعدة أن أعلمك القُيادة إن أردت».

- «لا، لا أريد» أجـابت أمهـا، «وتأكدى أننى لن أركب مـعك ثانية أبدًا، أرجوك يا دى انظرى نحو الطريق».

- «إنها دعـوة مفـتوحـة، درس يوم السبت وآخـر يوم الأحد، وهكذا ستقودين السيارة يوم فرح فيرجيل».

شعرت «دى» بالخفة والسعادة. وإن صدف وقابلت الآنسة (ماوس) كما يناديها توم ستأخذ بخناقها.

عندما وصل **فيرجيل** وكـــات شعرت دى أن كليـهمـــا متأثر، كانا خليطًا مـستعـصيًا من الصـمت الرهيب والثرثرة الزائدة وشـرحا بالتفـصيل الممل تحـولهما نحـو النضوج فى الأشـهر المـاضـية، تطور عندهما هذا الشعور بالاستهتـار إلى شعور بالالتزام والمسئولية وهكذا أعلنا على المـلأ نبأ ارتباطهما المقدس.

ابتسم الطبيب «**بروك**» ابتسامة تقدير وإعجاب وهو الذى كان يبدو عليه قلة الاكتراث حتى لو أمضوا العمر كله دون زواج، وأم «**فيرجيل**» قفزت وهللت لكل كلمة نُطقتْ، وذكرتهم بكل تفاصيل زواج «**جون**» منذ خمس سنوات مضت سوى أن العروس كانت حاملاً فى الشهر الرابع.

سرحت «**دى**» بتفكيرها نحو «**سام**» فى لندن، قال لها إنهم سينشغلون بعد ظهر يوم السبت فى قراءة المحاضرات وسيتهرب من حضور العشاء الرسمى، بحثوا سويًا فى صحيفة إنجليزية عن مسرحيات أو استعراضات موسيقية ليذهب إليها، وتساءلت عن حالة الطقس هذا المساء فى لندن، وهنا خطر على بالها فجأة ما حدثتها عنه «**نانسى**» أن السيد «**بارى**» طلب منها أن تصلى من أجل عطلة نهاية الأسبوع؟ لينجح حفل المشويات هذا الأسبوع، شعرت دى كما لو إن كرة قذفت فى معدتها، لم تستطع أن تأكل الميرنج الذى ملأته أمها بكل الحرص بالكريمة المطعمة بالقهوة لتبهر «**فيرجيل**» و«**كات**»، طلبت الإذن للغياب لعدة دقائق لأنها تذكرت أن عليها أن تعطى شيئًا لسيليا فى حانة «**ريان**»، سألتها أمها «ألا يمكن تأجيل هذا؟».

- «كلا، فهى محتاجة إليه فى الحال»، قالت «**دى**» وهى تستعد للذهاب.

«سأصحبك للحانة. وأحتسى كأسًا». قال «**فيرجيل**».

استنكرت دى الفكرة قـائلة: «بعد كل هذا العشاء الفـاخر الذى أعدته لك أمي!! لن أتاخر وسأعود فى الحال».

- «ماذا تريد « سيلـيا» فى هذا الوقت من الليل؟» تسـاءل الأب بلطف، وأضاف «وهى مشغولة بتقديم الكؤوس ومساعدة أمها المسكينة لتدبير أمور معيشتهم».

- «أراكم لاحقًا» قالت دى، وصـعدت إلى الطابق العلوى لتأتى بحقيبة يدها وتنطلق نحو الشارع.

- «هل يمكن أن تعطينى فكة للهاتف يا سيليا»، تساءلت دى بعد أن دخلت الحانة، وردت «سيليا» ضاحكة. «يا إلهى، أنت زبونة مهمة، لو إن كل زبائننا مـثلك لافتـتحنا صـالة غناء ورقص من الأرباح التى سنجنيها منهم».

- «سآخذ كأسا من البراندى فور انتهائى من الاتصال».

- «هل باسـتطاعتى استـقبـال مكالمـة على هذا الرقم من غـرفة الهاتف هذه» أرادت دى أن تعرف.

-«نعم، سأعـطيك رقم هذا الهاتف» ولكن هذه خـدمة خـاصة لك، لا أريد أن يعلم بقية الزبائن».

- ردت «دى»: «أنت فعلاً صديقة مخلصة»

- «منزل «باري» رد الصوت الكندى من الجهة الأخرى من الهاتف صوت لم تسمعه سوى مرة واحدة يوم أن قابلت صاحبته فى حفل الرجبى منذ حوالى السنة والنصف، وإن شعرت أن علاقتها «بسام» كانت منذ الأزل.

-«من فضلك. أريد أن أتحدث مع السيد «باري».

- «حسنًا. ولكنه الآن مرتبك بعض الشيء، معذرة من الذى يطلبه؟».

- «الآنسة «موريس» موظفة مكتبه».

- «أوه آنسة موريس؟ لم أتعرف على صوتك، آسفة. «سام» أشعل النار وهو منهمك بالشواء» وأطلقت ضحكة صغيرة وأضافت «ما إن ينتهى حتى نسترخى جميعًا، هل أطلب منه أن يرد على مكالمتك بعد أن ينتهى؟

يبدو أن الأمر ضرورى يا آنسة موريس».

- «فعلاً يا سيدة باري فالأمر ضرورى» ترددت «دى» معتذرة.

«إنها رسالة مستعجلة وقصيرة، ولكن علىّ أن أكلمه بنفسه مكالمة لن تأخذ من وقته سوى ثوان».

- «حسنًا. فهو يقول عنك إنك صخرة من الصمود فى عالم متغير، هل يمكن أن تعطينى رقم هاتفك؟».

وأعطت «دى» الرقم الذى أملته عليها « سيليا» قائلة «أرجو الاتصال خلال النصف الساعة القادمة على الأكثر».

- «راثدون، اسم جميل» أصرت السيدة «بارى» أن تكون بمنتهى الكياسة واللطف مع الآنسة صخرة الصمود.

يبدو أن بهجتها شىء رائع، «مع السلامة يا سيدة بارى» ووضعت السماعة مرتجفة. وجلست على كرسى أمام البار لاحظت «سيليا» اضطرابها وقدمت لها كأسًا كبيرًا من البراندى مع إنها أخذت ثمن كأس صغير، حاولت دى الاعتراض وردت «سيليا» :

- «كلام فارغ فأنت تشترين لى المشروب دائمًا».

- «شكرًا»، وأمسكت بالكأس بكلتا يديها، لابد وأن « سيليا» لاحظت ارتجافهما.

قالت «سيليا»: «سمعت أن أخاك «فيرجيل» أعلن خطوبته».

ابتسمت «دى» وأجابت: «لم يأخذ الخبر وقتًا طويلاً لانتشاره».

- «أوه.. إنه خبر قديم سمعته البارحة فور نزولى من الحافلة».

- «وأنا كذلك، وأهلى الآن هائمين على القمر».

- «حسنًا». لم لا فلن يتكلفوا مليمًا لحفل الزواج أجابت «سيليا» ضاحكة.

- «كفى يا «**سيليا**» وإلاّ بدوت مثل «**نانسى موريس**».

رن الهاتف وملأت «**سيليا**» الكأس ثانية «**لدىّ**» دون تعليق أخذته «**دى**» ودخلت غرفة التليفونات.

محوّل التليفونات قال : «المكالمة لك».

- قالت **دى** «أهلا» وسمعت صوت سام يرد

- «الآنسة موريس»

- وردت دى «كلا ،الآنسة بروك».

- «ماذا؟؟»

- «الآنسة بروك تتكلم، هل من خدمة؟؟»

- بدا غير متأكد «أرجو المعذرة، طُلب منى الاتصال بالآنسة «**موريس**» على هذا الرقم، هل يمكننى محادثتها؟».

- «لا . . بل طُلب منك الاتصال بعشيقتك الآنسة «**دى بروك**»، هذه هى الرسالة التى بلغتُها لزوجتك».

- «**دى.. دى**» صرخ جارعًا، وظهر خوف حقيقى على نبرات صوته».

- «أوه . . كانت زوجتكَ لطيفة حقًا. أخذت قلمًا من محفظتها ودونت الرقم وعلقت، يبدو أن راثدون بلدة جميلة».

- «ماذا تفعلين يا دى؟» رد هامسًا.

- «أنا لا أفعل شيئًا فأنا فى البيت أمضى عطلة نهاية الأسبوع كما ذكرت لك مع أهلى، ولكن السؤال هو ماذا تفعل أنت؟ هل ألغى المؤتمر؟ ولنفكر سويًا المفروض أنك ستغادر المطار فى الرابعة والنصف، هل علمتَ بإلغاء المؤتمر وأنتَ بمطار لندن أو قبل ذهابك للمطار؟».

«دى.. سأفسر لك بالتفصيل كل شىء كل ما حدث ولكن، ليس من هنا، ليس الآن، قولى لى عما تحدثت مع كاندى؟ ماذا قلت لها؟».

- «أوه.. لم أقل لها سوى ما أخبرتك به، وكان تعليقها: يبدو أن راثدون بلدة جميلة».

- «لا.. لا.. لم تقولى لها شيئًا، هذا ليس صحيحًا، ولكن لماذا؟».

- «لأننى شعرت بالحيرة والدهشة من كل هذه الأكاذيب. وفكرت. لا داعى لكل هذا وكشفت عن الحقيقة، فهذا سيسهل الأمر علينا جميعًا».

- «ولكن»

- «هذا يعنى أن «**كاندى**» على علم بأنك ستمضى ليلة يوم الاثنين معى، ولم تعد بحاجة لمزيد من الأكاذيب، كذلك فأنا أعلم أنكما أقمتما حفل شواء كبير احتفالاً بذكرى زواجكما العاشر وأن كلاً من السيد «**تشارلز**» والسيد «**وايت**» مدعو مع كافة أصحابكما، وأنهم جميعًا هللوا لك وأنت تشعل النار لحفل الشواء، أخبرتنى زوجتك بهذا كله، وكما نرى سهلنا عليك الأمر فلم تعد بحاجة لتلفيق الأكاذيب».

- «لا. . لا. لا يمكنك أن تفعلى هذا يا دى، لم تذكرى هذه الأشياء لكاندى».

ردت دى وقد ظهرت القسوة على نبرات صوتها

- «يمكنك أن تكتشف الأمر بنفسك».

- «ولكنها قالت إن من اتصل بى هى الآنسة **مورِيس**».

- «أنا التى طلبت منها أن تبلغك بهذا» وبدت دى كما لو إنها تحاول شرح أمر صعب على طفل صغير وأضافت.

- «رأيت أن هذا سيسهل عليك الأمر حتى لا تشعر بالحرج من ضيوفك، فأنا لا أعلم بما تود أن تخبرهم وكيف؟ سنتحدث ببقية التفاصيل عند لقائنا مساء الاثنين، أليس كذلك؟

- «أرجوك يا «**دى**» لا تقطعى الخط واشرحى لى الأمر».

- «فسرت لك كل شىء».

- «سأكلمك ثانية».

- «أطلب على كيفك فأنا أتكلم من الحانة».

- «أين ستذهبين الآن؟».

- «ها هى أمامى هنا فى الحانة الآنسة «موريس» سأدعوها على كأس من الجين بالبرتقال وأسرد عليهـا كل ما بيننا، وهذا سييسر على الاتصال بك فى المكتب، كـما تعلم كنت أتجنب الاتصال سابـقًا لأنها تعرفنى ولكن الآن مع الوضع الجديد القائم على الصدق».

«ماذا تعنين بالوضع الجديد القائم على الصدق».

- «ما تحادثنا به كاندى وأنا، تحدثنا بمنتهى الصراحة».

- «إنك لعاهرة، فأنت لم تذكرى شيئًا لكاندى وأنت تلعبين معى لعبة صغيرة».

«هس.. هس.. اخفض صوتك.. ولا تدعهم يسمعونك».

- «أين ستكونين غدًا؟».

- «سأراك يوم الاثـنين مساء كـما سـبق واتفقنا، أى وقـت بعد العمل مباشرة، فبعـد أن وضحت الأمور لم يعد هناك من داع لإخفاء أى شىء».

- «أتوسل إليك، أخبرينى ماذا قلت لكاندى».

- «لا، اسأل كاندى بنفسك».

- «ولكن إن لم تذكرى لها شيئًا. . فهذا يعنى».

- «هذا صحيح. هذا يعنى أنك مشيت نحو المشكلة بنفسك».

- «دى. هذا التهديد لن ينفعك».

- «اعمل مابدالك، سأكون فى البيت إلاّ إذا ارتبطتُ بموعد آخر». أقفلت دى الهاتف وقالت «لسيليا».

- «إن اتصل ثانية من فضلك يا سيليا قولى له إنك لم تسمعى باسمى ولم تحضر الليلة إلى الحانة واحدة بهذا الاسم».

- ردت «سيليا» «بالتأكيد. كما تريدين».

عادت دى إلى البيت، وكان «فيرجيل» مايزال يشرح أن الإنسان يصل إلى مرحلة من حياته يرغب فيها بالتوقف عن اللعب، ويعزم على مواجهة الواقع وتحمل المسئوولية.

- «باسم المسيح ومريم ويوسف يا «فيرجيل». فأنت ولاشك فيلسوف بحق» قالت دى بنبرة إعجاب.

- «هل أخذت كأسًا مع سيليا ريان؟» تساءلت الأم.

- «احتسيت كأسين كبيرين من البراندى يا أمى العزيزة» قالت «دى».

«وكم كلفك هذا؟» قال فيرجيل، فقد أصبح الآن « فيرجيل» رجلاً مسئولاً ويميل للتوفير لتأمين شراء بيت للسكن وحريص ألا يسرف ويبذر على اللهو.

- «لا أعلم، دفعت ثمن كأس صغير» وشعرت دى بالدموع تملأ عينيها.

- «لمَ لا نذهب يا «دى» فى جولة صغيرة، ونترك لهم المجال للتحدث بإسهاب عن ترتيبات الفرح» قال الطبيب بروك، وهو يتناول عصاه السوداء فى يده.

تمشوا فى صمت، قطعوا السوق ثم الجسر باتجاه طريق متفرع دون أن ينطقوا حرفًا، وفجأة قالت «دى»:

- «لا تقلق يا أبى، سأكون بخير».

- «بالتأكيد، أعلم أنك ستكونين بخير، فأنت ابنة ناضجة ورائعة وعن قريب ستصبحين محامية ماهرة تملئين قلوب الجميع فى محاكم الأقاليم بالخوف والرهبة».

- «لربما».

- «قطعًا، ستفعلين، وكل هذه الأمور الأخرى ستحل نفسها بنفسها» وشعرت دى بدهشة حقيقية.

- «هل تعرف بأمره».

- «نحن فى أيرلندا يـا طفلتى، أنا طبـيب وهو طبـيب، ولو إنه أكثـر شهرة منى، مـنهم من وصلوا إلى هذا المستـوى. ومن الصعب اللحاق بهم».

- «كيف عرفت بالأمر؟»

- «هناك من رآك مـعه، وفكر بأنه لابـد أن يخـبرنى بالأمـر، مضى على هذا فترة طويلة».

- «هذه العلاقة انتهت الآن»

- «لربما انقطعت لفترة؟»

- «أوه، كلا بل انتهت الليلة»

- «ولِمَ تم هذا بالشكل الفجائى؟»

- «لأنه كـذاب كبير، يكذب علىّ. ويكذب عليـها، لِمَ يلـجأ الناس للكذب؟».

- «لأنهم يشعـرون بالضياع، لأنهم يطمـعون بالاستـحواذ على القليل من كل شىء، والمجتمع لا يسمح لنا بهذا، ولذا نلجأ للكذب. ومن المضحك أن السـرية والكتمـان تجعل العلاقـة أكثر إثارة والرغـبة أشد، وخصوصًا فى بدايتها.

- «يبدو أنك مارست هذا الشعور. ولكن كيف لك معرفة هذا؟»

- «لأننى مررت بمثل ما جرى لفتاك».

- صــــرخــت دى «أبى. لا. . لا. لا يمكن أن تــكون أنت. لا أصدق هذا».

- «أوه. . كـان هذا منذ سنوات بـعـيـدة. كنت وقـتـهـا طفلة صغيرة».

- «وهل تعرف أمى؟».

- «لا أظن هذا ما أتمناه، وعلى أية حال فهى لم تفتح الموضوع».

- «وماذا حصل للفتاة»؟

«أوه. . إنها على أحــسن حال، طبعًـا كرهتنى لفتـرة وكان هذا أبشع ما فى الأمر، ولو أنها اسـتطاعت تفهم ولو قليلاً واقــع الأمر، لو كان عندها قليلاً من الإدراك والتفهم».

- «ولكن لمـاذا تفترض هذا» أجابت دى بحنق.

- «لمـاذا؟ لأنهـا كـانت شـابة وجمـيلة مـثلك تمامًـا. والعــالم والمستقبل بأثره أمــامها، وأما بالنسبة لى فقد شــققت طريقى فى الحياة وكنت فى منتصفه، كانت علاقة جميلة بشكل ما، ولكن كما تعلمين غير مجدية».

- «فعلاً، كان يجب عليها أن تشد على يدك مودعة كأنك شاب غريب عنها وتقول: لست غاضبة منك يا «جونى بروك». وسأحتفظ بعلاقتنا كذكرى غالية» أجابت «دى» هازئة.

- «شىء من هذا القبيل» أجاب الأب ضاحكًا.

- «لربما.. كان عليها أن تفعل ذلك» ضمت دى أباها بود وصداقة «لأنك كرجل أظرف بكثير من سام بارى أما بالنسبة له فأظن أنه يستحق فعلاً الحرق».

«آه.. حسنا. فليحترق بعيداً» قال أبوها بطيبة وأضاف «وإن كنت أشك بهذا. فأنت لم تستمعى لى قط، ولا أظن أنك ستأخذين برأى الآن».

جلست «دى» فى غرفتها ونظرت من خلال النافذة نحو البلدة. تهيأ لها أنها ترى «**نانسى موريس**» جالسة على سور محل البطاطس المقلية، واستبعدت الأمر شىء مستحيل، «**نانسى موريس**» تشترى وجبة كاملة من البطاطس المقلية!!! لا يصدق.

(٣) ميكى MIKEY

يعتقد «ميكى» أن مجموعة الفتيات العاملات فى البنك من أظرف المجموعات التى يمكن الالتقاء بهن، وهذا لا ينفى أن الموظفين من الرجال ممتازون أيضًا ولكنهم عادة منهمكون بأعمالهم ولا وقت لهم للحديث، حتى إن أحدهم وهو ظبى طموح، ولا ريب أنه سيصل لدرجة مدير عام قبل بلوغه الثلاثين، أخذ على عاتقه أن يلفت نظر ميكى طالبًا منه أن يراقب نفسه ويلتزم بالأصول لأن الموظفات يجدن مزاحه ثقيلاً ومرفوضًا فى معظم الأحيان. شعر «ميكى» بعدها بالحرج الشديد وأمضى يومه لا يتفوه بكلمة، لدرجة أن الظريفة «**آن كيلى**»- والتى هى قطعة من الذهب الحر - تساءلت عن سرصمته وعندما أخبرها عن نصيحة الصبى الشاب ردت «**آن كيلى**» أن البنوك أمكنة عتيقة ومحنطة ولربما كان الصبى على حق، فمن الممكن المزاح أو التنكيت مع الأصدقاء خارج البنك، ولكن يا إلهى فجدران البنك الصماء لا يمكنها التجاوب معك فى الضحك حتى ولو زغزغت عظامها السميكة لسنة بطولها.

وهكذا تفهَّم «ميكى» الموقف ولم يعد ينطق بكلمة مزاح أبدًا بين جدران البنك، ولكن فى الطريق فالوضع مختلف إن قابل أحدهم

خـارج البنك رمى بنكتة أو أطلـق ملاحظة فـهم جميعًـا على أرض محايدة.

تعوَّد «ميكى» أن يقص على الفتيات أخـبار عائلته فى راثدون أو بالأحرى عـائلة أخيه بيلى وزوجـته «ميـرى»، يحدثهن عن التوأمين بشعـرهما الأحمـر وجلدهما المنمش، عن جريتـا وشعرها المعـقوص كذيل الخنزير، عن الطفل الصـغير الطرى كالزبد والذى يمـكن سماع قهقهته على بعد نصف ميل. أخبر «آن كيلى» أنه فى بعض الأحيـان فى أمسـيات الصيف والشـمس لم تغرب بعد يرفض التـوأمان النوم، ويجلسان قرب النافذة يترقبـان وصول الحافلة الليلكية وهى تلف الشارع وينزل منها عمهم العزيز «ميكى»، كانت هوايتهما جمع الطوابع وكان يمدهما بكل ما يقع تحت يده ولا يعود للمنزل أبدًا خالى الوفاض.

كان «ميكى» البواب الوحيد فى البنك القادم من الريف فى البنك، وكان يطيب للآخرين ممازحته بإجراء تحر رسمى لمعـرفة كيفية حصوله على الوظيفـة، ولكنهم بشكل عام كـانوا طيبين ويمضـون اليوم بطوله يتبادلون الحـديث على أبواب البنك أو يقومون بنقل الصناديـق الكبيرة على عربات الجر كلما اقتضى الأمـر نقل النقود أو تخزينها، كما إنهم يقـومون بتـوزيع الرسائل والمسـتندات على طول الشـارع الرئيس فى دبلن، فهم يعرفون العديد من زبائن البنك الذين يمنحونهم هدايا قيمة خلال أعياد الميلاد.

ابتدأت رحلات الحافلة الليلكية تمامًا فى الوقت الذى كان ميكى بأمس الحاجة إليها، فأبوه يعانى من الشيخوخة والهرم ومن الصعب على المسكينين «بيلى وميرى» العناية به طوال الوقت. كان الأمر سيكون أكثر صعوبة والطريق أكثر طولاً لولا أن ابتدأ «توم فيتزجرالد» فى تسيير حافلته الصغيرة وتوصيله تمامًا حتى باب منزله. لا يمكن أن يتصور عودته بقطار شديد الازدحام فى مساء يوم الجمعة، وعلى الأرجح لن يجد مقعدًا يجلس عليه، طوال الرحلة إلى المحطة التى تبعد سبعة عشر ميلا عن راثدون وعليه أن يبحث عن مواصلة أخرى تنقله إلى بيته ليصل مرهقًا متعبًا.

فى بعض الأحيان كان الأب الكهل يسعد بلقاء «ميكى» ولكنه فى أوقات أخرى كان يبدو وكأنه لا يعرفه، ويأخذ «ميكى» دوره فى تلقيم الكهل طعامه وتسريح شعره المتلبد، يضع له فى المسجل شريط «مارش سوزا» الذى يحبه أبوه، ينقع الثياب القذرة فى الوعاء الكبير المليء بالديتول والماء فى الفناء الخارجى.

تقول «ميرى» زوجة «بيلى» - وهى أشبه ما تكون بقديسة - ليس هناك مشكلة إذا ما اعتبرت الأمر كما لو إنه حفاضات للأطفال. تنقع الغسيل فى السطل مع مطهر لفترة وترمى بعدها بالماء القذر لعدة مرات ثم تغلسها جيدًا وينتهى الأمر. من حسن الحظ أن لديهم الفناء الواسع وراء المنزل، والماء الساخن وآلة التجفيف. ولو إنهم كانوا يسكنون شقة أو تنقصهم الاستعدادات لكان الوضع صعبًا وميئوسًا منه.

كما إن الممرضة تأتى مرتين فى الأسبوع وهى الأخرى طيبة جدًا، وقالت «الميكى» لا داعى لمجيئه كل أسبوع فهذا يفوق نداء الواجب ولم يوافقها «ميكى» الرأى ورد ليس من العدل ترك المسؤولية بالكامل على عاتق «بيلى وميرى» وأشارت الممرضة إلى أنهما سيرثان البيت وأنه لن يأخذ شيئًا، ورد ميكى بأن هذه الأمور لا تدخل فى حسبانه وأكد أنه سعيد بعودته الأسبوعية إلى بيته الذى ولد فيه.

وأخبر التوأمان «ميكى» أنه خلال إقامته بينهم يتوقف النزاع فى البيت وهذا ما أدهش ميكى وتساءل «وما الذى يثير العراك أصلاً فى البيت؟» هز التوأمان أكتافهما فقد خاف كل من «فيل وبادى» أن يُتهما بالثرثرة وعدم الولاء.

«طبعًا لا يمكن أن يكون السبب أبى الكهل المسكين، فهو لن يلمس شعره فى رأسيكما».

وافق التوأمان على تعليق العم وقُفل الموضوع.

كان التوأمان يستريحان لوجود العم «ميكى» فى البيت، فهو يملك رصيداً من النكت يجمعها لهما. طبعًا ليست البذيئة منها بل نكت يمكنهما سردها لأى فرد كان. كانت جريتا تدونها فى بعض الأحيان لتتذكرها وتعيدها فى الفصل، فميكى لا يطلق النكتة مرتين حتى إنهم اقترحوا عليه أن يظهر فى برامج التلفزيون يسرد النكتة تلو الأخرى بطلاقة أمام جمهور من المتفرجين، أعجب «ميكى» بالفكرة

وأمل أن يطلب منه أن يقدم استعراضا فى البنك، ولكنه لم ينل شرف هذا العرض، وعندما همس بأمنيـته للظريفة آن كيلى ردت عليه أنها سمعت أن من يـدعى لمثل هذه الاستعراضات يجـب أن يكون عضواً فى الاتحـاد، مما أثلج صـــدره فـالمانع لم يكن عـــدم اهتـمـامـهم وإعجابهم به.

كان لديه شكوكه بالنسبة للحـافلة الليلكية منذ يوم الجمعة الأول لركوبها عندما طلب منهم «توم فيتزجرالد» أن لا يلوحوا له بالأجرة إلا بعد أن يقطعوا ما أسماه بالمنطقـة الرمادية، كانت أوراق التأمين سليمة ولديه التصريح للحافلة للعمل بخدمات النقل ولكنه زيادة فى الحرص ومنعًا للمشاكل طلب منهم الدفع بعـد وصولهم راثدون حيث الهدوء والأمان، لم يفـهم أحد منهم مـداخل ومخـارج هذا الطلب ولكنهم جميعًا وافقوا دون اعتراض، تساءل «ميكى» عن مشاعر الناس من أمثال «دى» ابنة الطبيب «يورك وروبرت» ابن السيد «جرين»، وهما يسافران على الحافلة نفسها مع بواب البنك «ميكى بورنز» ابن الفقير المسكين «جودى بورنز» الذى كان يمضى يومه منتظراً فتح باب حانة «رايان»، ولا يجد شيئًا غـيره يفعله، إلى أن أقعده الخرف وفقـدان الذاكرة عن التجوال. ولكنه اكتشف خـــلال رحـــلاته أن «دى» و «روبرت» كانا ملح الأرض، لم يلحظ عليهما ذرة من التكبر أو العجـرفة، وهكذا كان حال السيدة «هيكى» أيضًا تتصرف كسيدة محترمة وتسعد برؤيته، أما «نانسى موريس»

فهى كعهـده بها منذ أن كانت تلميذة فى المدرسـة تبدو مرتبكة منطوية على ذاتهـا تتصرف بـأنانية ولا يشـدها شىء عن الاهتمـام بنفسـها، وستبقى كما هى الآن عـانسًا كهلاً على عكس الأخرى «**سيليا ريان**» التى هى صيـد محترم ومما يدعو للـحيرة أنها لم تتزوج بـعد، وتبدو سارحة وبعيدة ولكنها ممرضة مـتمكنة، فهو يعرف رجلاً كان نزيلاً فى الجناح الذى تعمل به وقال عنها إنه مهما وصـفها لن يعطيها حقها فى المديح، وإنها تبدو كالأسطورة فى المستشفى.

بعد مرور الرحلات الأولية وبعد أن تغلب على حيائه أصبح الآن يستمـتع برحلات العودة إلى رائدون حتى إنه تجرأ وابـتدأ يلقى عليهم نكتة أو اثنتين، صحيح لم يبـدوا اهتمامًا مثل «**جـريتا**» و «**فيل**» و«**بـادى**» إلا أنهم يبتسمون ويحاولون الضحك. يكفى أنه يدخل المرح والتسلية إلى الحافلة.

فى بعض الأحيان كان يجلس بالقرب من «سيليا» ويقصّ عليها أخبارًا من عالم البنوك، يحدثها عن الآلات الحديثة، وعن أيام المراقبة فى البنك. وكيف أن السياح يصيبون موظفى البنك بالجنون وخصوصًا فى العطلة الصيفـية، يصطف السياح الفرنسيـون والأسبان بصف يزيد على نصف ميل يرغبون فى تبديل ما يساوى جنيهًا إسترلينيًا من عملتهم المحلية. لا تقص عليه «سيليا» أخبار المستشفى ولكـنها كثيرًا ما تمـده بنصـائح مـفيـدة تسـاعـده فى العناية بوالده، بصـوت هامس كى لا يسمـعها الآخرون، كـوصفها لبطائن الحـافضات والشرائط اللاصـقة لتثبيت الثياب الداخلية.

ولكنه فى هذا المساء جاءت جلسته بجانب الشاب «كينيدى»، هناك عـيـب واضح فى هذا الولد، مع إن أخـويه «بارت» و«إيدى» من ألطف الشباب الذين يمـكنك أن تلتقى بهم فى يومك، ولكنه لا يدرى ماذا جرى لهذا الشاب «كيف» يبدو كما لو إنه شاهد يوم القيامة. ما إن توجه إليـه عبارة مجـاملة حتى يقفز خـارج جلده ولو حاولت أن تقص عليه قصة استعصى عليه فهم مغزاها، حاول «ميكى» أن يعلمه بعض الحيل والألاعـيب ليمارسـها إن دخل إلى الحانة على أصـدقائه ولكن الشاب المسكين نظر إليه بعينين شاردتين تكادان تنطان من وجهه ولم يبد عليه استيعاب حرف مما قاله «ميكى»، وأخيراً يئس منه وتركه يحـملق خـارج النافذة كـمـا لو إنه ينتظر وثوب عـفـاريت من وراء الأسوار تتسلق الحافلة لتعتدى عليه.

استسلم «ميكى» للنعاس، من السهل الـنوم فى الحافلة، كانت الفتـاتان وراءه قد سبقـتاه إلى النوم تحلمان بالفـتيـان على الأرجح. حلم «ميكى» أن والده الكهل اسـتعـاد صحـته وقواه وافـتتح وكـالة استيراد وتصدير فى راثدون وأنه عين «ميكى» مديراً لمكتبـه ووفر عملاً فى العطلة الصيفية لكل من «فيل» و«بادى» و«جريتا» يوزعون الرسائل على المخازن بطول الشارع، كثيراً ما حلم بالأطفال ولكنه لم يحلم قط بزوجة فى المنام، فاته مركب الزواج ولم يعد يفكر بزوجة ففى الوقت الذى كان عليه البحث عن واحدة كان فى قمة الاضطراب والعصبية،

وهو الآن وبعد أن بلغ الخامسة والأربعين قطع الأمل من دخول حلبة السباق هذه، ومن الأفضل أن لا يجعل من نفسه أضحوكة بالذهاب إلى المراقص، أو أن يلتقط امرأة ينصرف عنها بسرعة فى الحانات ليبدو كالأبله أو المعتوه.

عندما عبروا النهر إلى الناحية الغربية توقفوا لمدة عشر دقائق للراحة وليحتسوا كأسًا تسلك البلعوم.

اتجهت «سيليا» نحوه ووضعت بهدوء مظروفًا بين يديه قائلة «هذا من أجل قرح السرير، كل التعليمات مدونة على العلبة، حاول تحريكه قدر استطاعتك».

- «أوه يا «سيليا» كم أنت طيبة. هل يمكننى دفع ثمنه؟»

- «هل جننت يا ميكى. وهل تظننى أدفع ثمنه؟ إنها هدية صغيرة من الهيئة الصحية فى دبلن؟؟ وتبادلا الضحك. كم هى رقيقة «سيليا» من المؤسف أنه لم يلتق بفتاة رائعة مثلها عندما كان شابًا يافعًا جذابًا. وهو الآن يتقاضى راتبًا محترمًا يمكنه من شراء وفتح بيت لأى شخص ولكن السبب الحقيقى لعدم شرائه سكنًا ليس قلة النقود ولكنه عدم الاهتمام، فلن يشترى بيتًا ويؤثثه بكل ما يلزم من كراسى وطاولات وغيره ليسكنه وحيداً، وهو الآن يؤجر غرفة كبيرة ومريحة فى دبلن ولا يبخل على نفسه بشىء. لديه جهاز تلفاز كبير. كما إنه اشترى مرآة كبيرة يضعها أمام خزانة الثياب ليتأنق فى ملبسه، لديه مذياع

جميل بجانب سريره عبارة عن فانوس ضوء وساعة ومنبه وفى الوقت نفسه يلبى دعوة أصدقائه فى دبلن فــى منازلهم ويأخذ معه دائمًا علبة كبيرة وجميلة من الشوكولاتة الفاخرة محلاة بشريطة لتترك عنه انطباعًا جيدًا فى عرف الجميع.

ولكن عندما كـان شابًا صغـيرًا لم يكونا هو وأخـوه سوى أولاد الفقير المسكين «**جوى بورنز**» وأمهم العاملة تغسل وتمسح الأرض فى البيوت، هذه الخلفية لم تعق «**بيلى**» الذى يتجول الآن نافـخًا أوداجه فى أنحـاء رائدون كمـا لو إنه يمتلكهـا كلها، لا يقل عن أى مـواطن ناجح فى المنطقـة. لِمَ لا، فـهو يسـيطر على كـافـة أنواع الأعمـال الاستثمـارية، ويعمل تحت رئاسته خمـسة من الموظفين، يمتلك محل الأكلات السريعة الجاهزة التحضير (تيك أوى) التى لم يخطر على بال أحد فى البلدة مدى حاجتهم إليـه، والآن تعتمد نصف عائلات البلدة على ما يقدمه محل بيلى من فراخ مـشوية وبطاطس محمرة فى مساء يوم السبت كما أضاف الأسماك المقليـة والهمبرجر، ويبيع أيضًا علب الليمونادة. يزدحم المحل بزبائنه حتى ساعة متأخرة من الليل معظمهم من الخـارجين مـن حـانة «**رايان**»، وقـد وضع «**بيلى**» أمـام المحل صندوقين ضخمين للقـمامة محاطة بالشباك عـلى حسابه الخاص، كل هذا أبهج أهل القرية!

كما إن لديه شركة تأمينات، ليست كبيرة ولكنها تفى بالغرض لمن هم بحاجة إليـها ،يملأون أوراقهم بسرعة ومن البيت، كـما كان يقوم

بخدمات مختلفة فإن أراد شخص سفلتة الشارع الموصل للطريق العام اتصل بالجيران الذين تواجه بيوتهم الشارع نفسه وعرض عليهم الاشتراك جميعًا فى مصاريف رصف شارعهم وتجميله ثم يأتى بالورشة المسؤولة ويتفق معها، وهكذا يظهر الشارع أجمل بكثيرمما كان عليه وبتكلفة أقل للجميع، وفعلاً تم الآن تجميل قسم كبير من الشارع الرئيس بمجهودات «بيلى» بعد أن زرع أشجاراً فى أحواض وبدا منظر الشارع كما فى الأفلام.

ويعلق الناس يمتلك «بيلى» العقل المفكر ولم يتهرب من المسؤولية كما فعل «ميكى» بهروبه إلى دبلن بعد وفاة أمهما، وبقى بيلى فى راثدون ليتزوج من «ميرى موران» التى كانت أبعد من منال أى أحد بما فيهم «ميكى».

كان «ميكى» فرحًا بعودته للبيت، جاء معه بهدية لعيد ميلاد التوأمين لعبة كمبيوتر أعلى من مستوى لعبة غزو الفضاء التى لعبوها مرة بمراحل، يمكن توصيلها لأى نوع من التليفزيونات. جربها لمدة أسبوع على تليفزيونه فى دبلن، وقالت له المساعدة فى المحل إن بإمكانه تشغيله على أجهزة صغيرة أيضًا. عيد ميلاد التوأمين يوم الاثنين وسيقدم لهما الهدية فى مساء الأحد. سيُحضرُ الغرفة ويُسدل الستائر، ويتظاهر بأنه ينوى مشاهدة برامج التليفزيون وبعدها ستظهر المفاجأة، لم ينس «جريتا» اشترى لها حقيبة جميلة حمراء بدون مناسبة لأنه لا يريدها أن تشعر أنه لم يفكر بها، وأرنب أصفر للطفل الصغير حتى لا ينتابه إحساس بعدم الرضا فى مهده.

لا تعتمد ميرى على وصول ميكى فى مساء يوم الجمعة، وتلبى كافـة طلبات الأب والعناية به كعادتهـا، كما أنها تحـضر لميكى عشاء ساخنًا إلاً إذا كـان يومها حـافلاً بالأعمـال؛ فتهـرع إلى محلهم على الناحية الأخرى من الشارع لتـأتى له بالسمك والبطاطس المقلية بمجرد أن تلمح الحافلة الليلكيـة. اعتادت شكره دومًا لمساعـدتها فى الاعتناء بوالده الكهل، وكانت تمده بأخبار مبهجة ومضحكة عن الأطفال خلال الأسـبـوع، عادوا الآن إلى المـدرسة بعـد الإجـازة وسـتكثـر الحكايا والأقاصيص عن الطرائف والمكائد الخـبيثة التى يدبرها فيل وعن سيل الرسائل التهديدية التى يبعثها الرهبان من المدرسة.

تنزل أولاً دى ابنة الطـبـيب يورك من الحـافلـة على باب نادى الجولف حـيث تقابل أهلهـا مسـاء كل يوم جمـعة، يأتى دور ميكى بعدها مبـاشرة فى نهاية الشارع، يُنزل حقـيبة نانسى موريس الكبيرة والخفيفـة كالريشة ويضعها فى داخل الحـافلة لأنها تليه فى النزول هى وكيف كيندى الذى لا يحمل شيئًا معه سوى لفة صغيرة يضعها تحت مقـعده، ودعـهم ميكى ضـاحكًا وناصحًـا إياهم بأن يكونوا عقـلاء وطيبين خلال العطلة ثم أغلق باب الحافلة وراءه.

لم يجد نورًا فى المطبخ أو طعامًا على المـائدة، ولا أى أثر لميرى أو حتى رسالة منهـا، لم يستغرب أو يهـتم لعدم وجود بيلى، فأخوه دائمًا مشـغول إما فى محل الوجبات السـريعة أو فى حانة رايان يقوم بإنجاز بعض الصفقات، ولكن أين ميرى؟

بحث عنهـا فى الغرف جمـيعًا، كـان أبوه يغط فى نومه، فـمه مفتوح وكرسيه المتحـرك بجانب السرير، وعلى الكرسى مبولة كبيرة، وكـان هذا منتهى التـفاؤل فـالرجل الكهل لم يعـد قادراً على ضـبط النفس أبدًا.

كان هناك رائحة مواد التطهير ممتزجة بروائح عطرة، فقد وضعت ميـرى باقات كبـيرة من الزهور فى أركان الغـرفة، وهى ترى أن هذا يُدخل السرور على قلب الكهل ويبهجه. تقول إنها فى بعض الأحيان ترقبه وهو يحاول أن يـشد نفسه ليلامس الزهور ويتحـسسها بين يديه بلطف، كان يشخر بانتظام وكانت الغرفة مضاءة بنواسة ليلية وبمصباح على شكل القلب المقدس.

صـعد السـلالم بهـدوء، كان التـوأمان يرقـدان فى سـريريهمـا وحولهـما لعبـهما وكـتبهـما وثيابهـما، ينام فيل متكوراً وقبـضتاه مقفولتان، وبادى أكثر سلامًا ينام على جنبه باسترخاء، كما بدا منظر جريتا مضـحكًا بشعرها الطويل المسترسل والمبعثـر حولها، لا يذكرها إلاَّ وشعرها ملمومًـا بضفيرتين، وها هى الآن كبرت عليـهما وفردت شعرها، ترتسم ابتسامة على وجهـها كما لو إنها تحلم. أصبحت الآن فتاة نحيفـة عادية الجمال ولكن لها ابتسامة آسـرة تأخذ بشغاف القلب حتى فى نومـها. لم يكن بيلى وميرى فى غرفـتهما، وكـان الباب مفتوحًـا، والطفل مكور وناعم كالقشدة يرقد فى مـهده بجانب سرير والديه المغطى بغطاء من الدانتيل الناصع البياض، وعلى الحائط صورة

للسيـدة مريم محاطـة بحقل من الزهور. تحتـها مصبـاح أزرق مسلط عليهـا، وكان اسم اللوحة «ملكة الربيع». أخـبرت ميـرى ميكى أنها وبيلى فازا باللوحة فى مهرجان حـضراه حيث يرمى المتنافسون بحلقة حول المعـروضات وقـد اختار بيـلى هذه الصورة لها لأنـه لاحظ أنها أعجبت بها كثيراً.

وضع ميكى متاعه فى غرفته التى هى غاية فى الترتيب والنظافة، تضع له ميـرى دائمًا غـطاءً للمخدات ومـلايات نظيفـة محـتفـية به كشخص بالغ الأهميـة عندما يأتى لتمضية إجـازة نهاية الأسبوع، فى بعض الأحيـان كان ميكى يعـود بالذكرى للأيام التى كـانت فيهـا أمه المسـؤولة عـن البـيت، لم يكن البـيت بمثل هذا الإتقـان والتناسق والنظافة.

كان الأمـر مثـيراً للدهشة!! لربما أنـها ذهبت لتأتى له بـالسمك والبطاطس المـقلية، انتظرها فى الدور السـفلى واسـتمع لأخـبـار التليـفزيون وأخـيـراً انتابه الـقلق، لم يكن من عـادتها ترك الأطفـال بمفردهم فى البيت مع أن المكان الآمن جـداً، ولكن هذه هى طريقتهم بالتفكيـر. ازداد شعوره بالقلق فـمضى إلى محل المـأكولات السـريعة ولدهشته وجد ميرى تقوم بالخدمة فى المحل، كان هناك أربعة أشخاص ينتظرون دورهم فى الخدمة وواحدة فقط من الفتـيات العاملات تساعد فى تجهيز الطلبات.

بدت ميرى سعيدة، ولكنها مندهشة من رؤيته وصرخت:

- «يا إلهى، يا ميكى، هل أزف وقت عودتك؟»

- «هل أدخل وأمد لكم يد المساعدة؟» فقد سبق وقدم لهم العون فى بعض أمسيات يوم السبت الصيفية عندما يغص المحل بالزبائن كما أن قائمة الأسعار معلقة على الحائط.

- «أوه، شكرًا يا ميكى، هل يمكنك فعلاً؟؟» ردت وقد بدا عليها الامتنان والشكر.

علق سترته وتناول مريلة من الدرج، وما هى إلاّ بضع دقائق حتى خفت زحمة الزبائن وتمكنت ميرى من التقاط أنفاسها، توجهت بالحديث أولاً إلى الفتاة التى تعمل معها قائلة.

«انزعى مريلتك يا تريزا من فضلك كما تفعل الفتاة الشاطرة وأسرعى نحو حانة ريان، بلغيهم هناك أننا نعانى من نقص فى العمالة هذه الليلة وسنقفل المحل مبكرًا، فمن أراد أى طلب منا عليه بالإسراع والمجىء خلال نصف الساعة القادمة، حتى لا يشعروا بخيبة الأمل.

- «ومن هم من سأخبرهم يا سيدتى؟» بدا الجزع والقلق على وجه الفتاة.

- «معك حق، لا فائدة فى إبلاغ المسكينة السيدة رايان هذه الأيام، دعينى أفكر إن التقيت بأى مساعد وراء البار مثل بارت كيندى» أو أى مساعد، شخص يبدو أنه مسؤول.

- قاطعها ميكى «عادت سيليا إلى راثدون. كانت معى فى الحافلة. على الأرجح أنها اتخذت موقعها الآن وراء حاجز البار».

«حسنًا، حُسم الأمر. بلغى سيليا».

مضت تريزا إلى أعلى الطريق سعيدة للهروب من سخونة المحل. نظر ميكى حوله مستغربًا - «ولكن أين الباقون؟»

- «لقد حصل الكثير، سأخبرك بالتفاصيل عندما نعود، استجمع شجاعتك وقواك خلال نصف الساعة القادمة، إلى أن ننتهى من عملنا».

وفد إلى المحل سيل من الزبائن قام ميكى بخدمتهم، تدفق معظم الزبائن، كما خمنت ميرى من حانة رايان، بدوا ساخطين متذمرين واعتبروا قفل محل الطعام السريع (التيك أوى) قبل البار مخالفًا للقانون، ردت عليهم ميرى بطيب خاطر أن ما تقوم به فوق ما يمليه عليها الشعور بالواجب، وها هى تنذرهم الآن بقفل المحل قبل موعده المحدد وتقوم بخدمتهم حتى لا يعودوا إلى بيوتهم جائعين ببطون غارقة بالبيرة وبدون طعام.

لم تهف نفس ميرى لأى طعام، واختار ميكى حصته ولفها وبعد أن فرغوا من تنظيف الشحوم، وتلميع الحوض، وكنس ما يمكن كنسه

وتعبئته فى أكياس الزبالة السوداء وقـفلها جيدًا، عبروا الشارع ومضوا نحو المنزل.

سخنت ميرى صحنًا بتـمريره تحت الماء الساخن، وأحـضرت زجاجة صلصة الطماطم والزبدة والخـبز، وسألت ميكى: «هل أحضر لك الشاى أم تفضل أى مشروب آخر»؟

جاء كل منهما بزجاجة من المشروب وجلسا أمام المـائدة.

- «رحل بيلى... رحل إلى الأبد».

حملق ميكى فى وجهها. والشوكة فى منتصف الطريق إلى فمه.

- «مضى اليوم قبل الغذاء. ولن يعود أبدًا».

- «أه... كلا يا ميرى... هذا مستحيل».

ارتشفت رشفة من شرابها وأبدت امتعاضها.

- لا أستسيغ الرشفة الأولى مـن أى مشروب، ولكنى سرعان ما أعتاده بعدها، وابتسمت ابتسامة ضعيفة ومغتصبة.

- ازدرد ميكى لعابه وقال «الأمر لا يعدو نزاعـًا بسيطًا، وستعود الأمور لمجراها، فالناس تختلف ثم تصطلح».

- «لا. لم يكن هناك أى اختلاف فى الرأى أو قتال».

تذكر ميكى ما أخبره به التوأمان بأن والديهما يتوقفان عن القتال فى حضور ميكى إلى البيت فى عطلة الأسبوع.

- «إنهـا خلافـات بسيطة ومناوشـات تحدث من آن لآخـر وتحل نفسها بنفسها، هذا ما يحدث دائمًا المشاكل تحل نفسها».

بدت على لهجته نبرة الترجى والرغبة بتهدئة الأمر.

- «لا، سأحـدثك بالأمر كله من البداية حـتى النهاية، لم يكن بيننا مؤخرًا شد أو اختـلاف، فعلاً كان هناك بيننا فى الصيف المـاضى بعض الصراعات والمشـاجرات، كان يبدو عليه النزق والعصـبية وكان يحتـد علىَّ بمجرد أن يرى وجهى، وكان يدَّعـى أننى كنت مثله أبادله العداء. حتى إن الأولاد لاحظوا الأمر».

- «إذن ما الذى حدث»؟

- «حسنًا، أصدقك القـول لا أعلم، أمضينا صيفيـة رائعة فكما تعلم الموسم الصيفى كان مزدهرًا ومجديًا، كان متعبًا ومرهقًا من شدة العمل ولكنه لم يعد عصبيًا أو غاضبًا، ومن جانبى كنت مشغولة جدًا بالطفل فأنت تعلم مدى ما تتطلب تربيتهم من جهد وأرق، فهم أشبه بالشيـاطين فى الأسابيع الأولى بعد الولادة، وفـعلاً لم يكن هناك أية مشكلة فى حياتنا». وتوقفت عن الكلام وسرحت بأنظارها بعيدًا عنه. لزم ميكى الصمت.

- «لم لا تأكل السـمك والبطاطس؟ يمكنك يا ميكى الاستـماع وأنت تأكل».

- «لا، لا أستطيع».

رفعت الصحن من أمامه ووضعته فى الفـرن على نار هـادئة، - وقـالت «إذن ستـأكله لاحقًـا، وحدث كل شىء اليـوم ولولا إننى عدت ثانية بالمصادفة إلى البيت لما عرفت بـالأمر حتى الآن، ولكان الخبر انتشر فى كل راثدون قبل معرفتى به».

- «معرفة ماذا؟ بالله عليك»؟

- «لقد هرب مع «إيلين والشن»، تلك الفتـاة التى قلنا عنها إنها أفضل من أن تعـمل فى محل، حسنًا يبـدو أن مؤهلاتها فعـلاً أفضل بكثيـر فلم تضيع وقـتها سـدى إلا لتخطف صـاحب المحل بذاتـه، كانت هذه هى خطتها الصغيرة، هل كان بإمكانك الرهان على هذا»؟

بدأ صوتها مستقرًا وهادئًا ولكن عينيها تقدحان شررًا.

- «ولكن كل هذا مـحض خيال ووهم، أليس كـذلك؟ مس من الجنون، أعنى إلى أين سيذهبان؟ وكـيف سيعيشان؟ وماذا سـيفعلان؟ كيف يتسنى له أن يتركك مع الطفل والعائلة كلهـا»؟

إنه يحبها. هذه هى الكلمة، يحبها. أليس الحب أمرًا رائعًا يبدو أنه لم يحبنى قط بل أحبنى طبعًا ولكن يبدو أنه يحبها بشكل آخر».

نهض ميكى واقفًا ولم يدر ماذا يفعل ولذا جلس ثانية واستمرت ميرى فى سرد قصتها.

- «كنت أنوى الذهاب إلى المدينة، هناك دائمًا من يصطحبنى فى أيام الجمعـة وكان معى قائمـة بالمشتريات التى نحن بحاجـة إليها من

أجل محل المأكولات السريعة، أشياء لا نستطيع طلبها فى المجمع (المول) أشياء تافهة كطفايات السجائر الكبيرة أو علبتين من الدهان الأحمر مع فرشاة، كنا ننوى طلاء الشبابيك حتى يتمشى لونها مع زهرة الخبيزى، هل يمكنك أن تصدق ما حدث؟ وهل يمكننا الاستمرار؟ فأنت تعلم السيدة **كازى** التى تعلمت قيادة السيارة مؤخرًا، أخذتنى معها فى سيارتها وبعد أن مضينا فى طريقنا إلى ما يقرب من نادى الجولف توقف محرك السيارة بعد أن أصدر تلك الأصوات اليائسة. آه، قلت فى نفسى ها قد خاب أملك فى تمضية اليوم وشرب الشاى فى المدينة. ولكن السيدة **كازى** سيدة لطيفة جدًا ولا يمكننى مضايقتها، طيبتُ خاطرها وقلت لها سأشترى حاجتى فى الأسبوع القادم، وعلى الأرجح سأعود أدراجى إلى البيت وأمضى الوقت بصنع قالب تارت تفاح لأننا ننتظر عودة ميكى فى الحافلة هذا المساء».

أحس ميكى بغصة كبيرة فى حلقه، وواصلت **ميرى** حديثها.

- «قلت لها ابقى فى مكانك بالسيارة، وسأمر بطريقى وأخبر آل **برنان** فى المرآب ليذهبوا لمساعدتها فى نقل السيارة وتصليحها». وأخذت **ميرى** رشفة أخرى من مشروبها، وواصلت حديثها.

- «كان يومًا رائعًا، جمعت باقة جميلة من الأزهار البرية من الأسوار وعندما دخلت البيت كان بيلى يجلس أمام الطاولة وأمامه

رزمة كبيرة من الأوراق مبعثرة حوله، سعدت برؤيته فلم أكن أترقب وصوله فى هذا الوقت فهو يمضى اليوم بطوله خارج المنزل ولذا علقت أليس جميلاً أن ألقاه بالبيت؟ وأحضرت لنا نحن الاثنين طعامًا للغداء احتفالاً به، شىء لم نفعله لسنوات مضت، لاحظت أنه كتب على إحدى الورقات: عزيزتى **ميرى**. وعلى أخرى أيضًا، وأسطر قليلة بعدها، وحتى تلك اللحظة لم يتبادر إلى ذهنى أى سوء ولذا تساءلت: أتكتب لى رسالة غرامية بعد كل هذه الأيام؟ كنوع من المزاح، كما ترى ظننت أنه عاد إلى البيت على غير انتظار ويكتب لى كلمة يبلغنى أنه لم يجدنى».

- «أوه.. يا ميرى، إنه لأمر فظيع» قال **ميكى** وقد بدا عليه أنه ابتدأ يستوعب الأمر للمرة الأولى منذ بداية المهزلة.

- «وأسوأ ما فى الموضوع، أن **بيلى** ابتدأ يبكى كالأطفال، وهذا ما أصابنى فى مقتل، **بيلى بورنز** يبكى، ركضت نحوه محاولة أن احتضنه بين ذراعى ولكنه أبعدنى عنه، وانفجر بالنحيب كالأطفال الصغار الذين يعانون من التسنين، ولذا طلبت منه أن يهدأ ويخفض صوته حتى لا يوقظ والده، كنت تركت الطفل فى الغرفة المجاورة ولكن والدك الكهل كان يتلقى علاجه ولابد أن صوت ابنه الباكى سيدخل الرعب فى قلبه كما فعل بى»، توقفت ميرى لبرهة لتلتقط أنفاسها.

- «وبعدها أخبـرنى عن أمره مع إيلين، وأنها تنتظر مولودًا منه وكل شيء» خيم الصمت إلا من دقات الساعـة وصوت شخير الرجل الكهل الهادىء المنتظم يسمع فى الغرفة الخلفية.

- «قال لى إنه لم يكن باستطاعتـه مواجهتى، ولذا أراد أن يترك لى الرسالة، وطلبت منه أن لا يرحل فى الحال ويتريث بعض الوقت، وإننى أرحب ببقائه إلى حين حتى نتناقش فيـما سنفعل وكيف سنتدبر أمورنا، ولكنه رد أننا تحـــدثنا بكل شيء ولم يعـد لديه ما يضيـفه، وأنه راحل الآن فى الحال».

مد ميكى يده الكبيرة وربت على ذراع ميرى يائسًا.

- «دار بيننا حديث وقيل وقال ولكن من المضحك لم نتشاجر أو نحتـدم، لم أنعتـه بالدونية أو الرذالة، ولم يقـل إنه لم يعد يتـحمل رؤيتى، أو أننى غدوت عجوزًا شمطاء، أو أى شيء».

- «حسنًا، ولكن لا يمكن أن يفكر بك أحد بهذا الشكل».

صرخ ميكى بولاء وصدق.

- «كلا. . . بل إنه قال إننى من خيرة الزوجات وأفضل الأمهات فى العالم أجمل وإنه لا يستطيع أن يعبـر لى عن مدى أسفه وانكسار قلبه، وأضاف أن كل هذه الأوراق تثبت حقى فى ملكية المحل، وترك لى الألف جنيه رصـيدنا فى جـمعيـة البناء باسمى كـما دون لى اسم محامٍ سيكون كحلقة اتصال بيننا إن أردت شيئًا».

- «وأين سيذهب يا ترى».

- «إلى إنجلترا. وهل من مكان آخر»؟

- «وكيف سيتدبر أمر معاشه ومعاش هذه المعشوقة البلهاء»؟

- «ليست ببلهاء، إيلين بلهاء؟ باستطاعة بيلي أن يتدبر أمره حتى ولو ذهب إلى كوكب المريخ، لا تقلق من هذه الناحية».

وهذا ما أخرس ميكي تمامًا.

- «ولكن أكثر ما كان يقلقه وضع أبيكما».

- «لم يهتم بيلي قط بتكريس أي وقت لوالدي المسكين».

- «هذا صحيح، ولكنه يظن أنه ليس من العدل أن يُترك الكهل لي، أن يفرض على الاعتناء برجل كهل لا يمت لي بصلة رحم، وأجبته أن أمر الاعتناء بالوالد هو أقل ما يقلقني في المشكلة، ما أردت معرفته هو كيف يتسنى له أن يهجرني أنا زوجته وصديقته لسنوات بعد زواج دام أربعة عشر عامًا إضافة إلى عام سابق على الزواج أمضيناه في حب مجنون، قلت هذا عندما حاول أن يفسر لي هيامه وحبه لإيلين».

- «وماذا فعلت عندها»؟

- «وماذا باستطاعتي أن أفعل، لقد قرر وأصر على الرحيل. كانت أمامه قائمة بالأعمال التي يريد مني تنفيذها، كان هناك مبلغ من

المـال فى مظروف أدفعه لمن سـيعلمنى قيادة السـيارة، قال لى إن على أن أبحث عـمن علم السيـدة كـازى القـيادة، لأنه لابد أنـه سيـعلم الشيطان ذاته، ترك لى سيـارة النقل لأستعملها وطلب منى الاسـتعانة ببارت كيندى على أن أدفع له أجرة مناسبة، كان على أن أقرر إن كان سيراسل الأولاد أم لا، وعن الطريقـة التى سأخبرهم بهـا عن غيابه، وهو يرى أنهم مع الزمن سيعتادون غيابه».

توقفت ميرى ومضت لتأتى لنفسهـا بزجاجة أخرى من المشروب وعادت لتكمل:

- «حزم أمتـعته كلهـا، شعرت بالغصـة وانكسار فى القلب وأنا أرى قمـصانه المكوية تنحشـر وتتكرمش. كما إنه نسى كل أحـذيته، طلبت منه أن يودع أبيك، فـقد كان على درجـة من الوعى فى الآونة الأخيرة يتعرف إلينا جميعًا، ولكنه رفض. تحايلت عليه قائلة:

- «لربما أنه لن يراه ثانية، فرد أنه لـن يرى أيامنا ثانية أيضًا. وهذا ما أدخل الرعب والجـزع إلى نفسى وشعرت بعـدها أنه لن يبدل رأيه أبدًا. ولذا قررت أن أتركه يذهب بدون صراخ أو زمجرة أو ابتهال».

- «تركتِه يرحل هكذا!».

- «لا قلت له، سأخرج من البيت لأترك له المجال لينهى أعماله على راحته. قلت له ألا يهتم بكتابة الرسالة، فقد بلغنى بنفسه كل ما يريد، وبأننى سأخرج من البـيت لأقطف مزيدًا من الزهور وأبعد عن

طريقه لساعة أو ساعتين حتى يرحل، طلبت منه أن يترك لى أوراق التأمين فى مكان أستطيع العثور عليها، ورقم المحامى الذى سأتصل به فيما لو احتجت للاتصال به، أو لو كان هناك أمر فاتنا التفكير به، بدا عليه كما لو أن عبئًا ثقيلاً قد انزاح عن كاهله وارتسم على محياه شعور بالراحة، كان يجب أن ترى تعابير وجهه حينذاك، كان يخاف صدامًا صاخبًا أو مشهدًا أو انفجارًا، وعلق لربما سيسعدنى أن أغير من نمط حياتى، ورددت عليه طبعًا هذا غير صحيح، وأننى سأفتقده لآخر يوم فى عمرى، وكذلك الأولاد، وفى الأيام التى يصفو بها ذهن والده سيفتقده أيضًا. لم أرغب فى منحه الشعور الطيب بأنه يقدم لنا خدمة بالتخلى عنا، وهكذا انسللت خارج البيت وزحفت نحو البهو الخلفى لينهى حزم أمتعته، وترتيب الأوراق التى سيتركها لى على الطاولة، جاءت صاحبته بسيارتها فملأها بصناديقه وحقائبه، قبلته بشغف وعلانية على باب بيتنا وانطلقا سويًا، وعندما دخلت المنزل ثانية كانت الأوراق مرصوصة بنظام وعناية على الطاولة، وها أنت الآن على علم بكل شىء، بكل التفاصيل».

- «إنه فعلاً ابن زنا، غشاش، أنانى».

- «كل هذا لن يعيده ثانية».

- «بل سأعيده لك، سأجبره على العودة، لن أسمح له أن يتخلى عنك، هناك سبل كثيرة لإعادته».

- «لا . . لن تأتى به قـصـرًا ورغـمًـا عنه، والآن كل السـمك والبطاطس قبل أن يقدد».

جفاه النوم طوال الليل، ولم تغفُ عينه إلاَّ قـرب الفجر، بعدها بزمن قليل دخل التوأمـان غرفتـه ووراءهما جريـتا تحمل فنـجانًا من الشاى، كان هذا عذرهما الدائم لإيقاظه مبكرًا ما كانوا يسمونه شرب شـاى الصبـاح فى السـرير، معظم الشـاى انسكب فى الطبق أسـفل الفنجان والبعض الآخـر انساب قطرات بطول السلم. ولكنه ومع هذا عذر مقنع، كانوا ممتلئين بالخطط والمشاريع لهذا اليوم، قدموا له الشاى ونزلوا للدور السفـلى ينتظرونه حتى ينتهـى من واجبه فى تلقـيم الجد فطوره وتغييرثيابه وتنظيفه، فقبل الأولاد هذا النسق والنظام كما لو إنه جزء من مجريات الحياة، كشروق الشمس أو واجب غسل اليدين قبل تناول الطعام، أرادوا أن يصطحبهم إلى مـحل «برونى» لمشاهدة اللعبة الجديدة، والتى هى آلة ضخمة تشبه ألعاب غزاة الفضاء ولكنها تكلف عشرين بنسًا فى الدور، كان المصرح لهم باللعب ثلاثة أدوار سويًا إلا إذا تكرم العم ميكى بدور إضافى، سمحت لهم والدتهم بتمضية بعد الظهـر فى الفسحـة مع عمـهم لأن والدهم الذى سافـر إلى دبلن فى عمل لفترة من الزمن لن يحتـاجهم فى أى عمل، ولن يحضر أى من زبائن التـأمين ليقدمـوا له الشاى، طلبـوا منه أن يسرع بالنـهوض من السرير ليستغل خير النهار من أوله. شعر ميكى بيومه ثقيلاً، وأحداث يومه تسيره كما لو إنه خارجـها وليس جزءًا منها، رأى نفسه يُلقم والده

الطعام ببطء. ويقطع شرائح الخبز من أجل فسحة بعد الظهر، ويتسلق لقطف ثمر العليق، بدا كما لو إنه يمثل دوراً في مسرحية ولا يعيش الواقع.

شعر ببعض الراحة عندما حل المساء ومضى الأولاد إلى النوم، مضوا بسهولة لأنه وعدهم بمفاجأة هائلة في الغد، شيء هو بالتأكيد يضمن أنها هدية لم يحلموا بها قط، وأكد لجريتا أنها هدية يمكنها أن تشاركهما باللعب بها، علاوة على أنه سيقدم لها هدية صغيرة بالرغم من أنه ليس عيد ميلادها.

- «في الحقيقة، لا أعلم كيف كان سيكون حالي بدونك» قالت ميري وأضافت.

- «مضى اليوم بيسر وبدون أن أشعر بثقله».

شعر ميكي بالبهجة لتعليق ميري، كان قد بحث عن فتاتين لتساعدا تريزا في المحل. واعترضت تريزا.

- «ألن تعود إيلين ثانية»؟

لم يكن في نبرة صوتها أي غدر أو مكر، من الواضح أنها لم تدر بشيء. أجابها ميكي:

- «كلا، لن تعود رحلت إلى مكان ما، وستساعدك هاتان الشابتان في زحمة إجازات الصيف وعطل البنوك».

قال هذا بجزم وشدة وأضاف.

- «ستذهب السيدة بيلى وأنا إلى حانة رايان لبعض الوقت. بإمكانك أن ترسلى بإحدى الفتاتين فى طلبنا إذا ما احتاج الأمر، ولكنى أعلم أنك فتاة ذكية وناضجة ستدبر أمرها، فأنت على دراية بأمور المحل كمعرفتك لظهر كفك، سرت تريزا بهذا المديح وردت:

- «استمر يا سيد ميكى بهذه المسامرة الدبلنية.

أراد ميكى أن يمزح وينكت مع ميرى وهو يطلب منها الذهاب معه لحانة رايان ولكنه وجد أن الوضع والحالة لا تسمح فتساءل برقة:-

- «هل نذهب سويًا إلى حانة رايان»؟

ردت ميرى:

- «ولكن لن أكون بالصحبة الجيدة».

- «ولكنى أرى أن علينا أن نسكت اللغو فى البداية ونخرج سويًا، فليس من صالحنا الاختباء فى الزوايا والأركان، والانسحاب والتخفى خوفًا من كلام الناس كلما رأوا رأسين مجتمعين، بل علينا أن نصر على الخروج سويًا بإقدام، فأنتِ لم تفعلى شيئًا معيبًا تخافين منه».

- «ولكننى فشلت فى الحفاظ على زوجى، وفى منطقتنا هذه هذا بحد ذاته يعتبر جريمة لا تغتفر».

- «أوه. . لا أظن هذا، فقد اعتاد الناس تمضية الليل ملتصقين ببرامج التليفزيون، ويلزمك القيام بأسوأ من هذا بكثير لتلوكك ألسنتهم ومُحتقرين».

«ولكنى أكره أن أراك متورطًا معنا فأنـت الطيبة بذاتها، تساعدنى كل أسـبوع فـى العطلة، وانظر إلى مـا جرى لك الآن وأنـت متـهم وغارق فى وسط هذه الفضيحة. وكل هذا اللغو».

- «لن يكون هناك فضيحة أو قلقلة، والأمر كله بيدك لتأكدى هذا» سمع صوته عميقًا موحيًا بكل الثقة فى النفس، وانعكس هذا الإحساس فى نفس ميرى فقالت «لقد قدمت لى كل العون لأقوم باتخاذ كل هذه القرارات وأرى نفسى كالمُسَيَّرة أقـوم بتنفيذ دورى فى فيلم سينمائى لا أدرى كيف سينتهى بى الأمر فى الدور الذى رُسم لى».

كانت حانة رايان تعج بالزبائن، أجلس ميرى فى أحد الأركان ومضى نحـو البار، كانت سـيليا تعمل بكل طاقـتها يسـاعدها بارت كينلاى. تذكر ميكى تعليـمات أخيـه لزوجتـه أن تمنح بارت أجرة سخيـة. وشعر بالمرارة تملأ حلقـه وتكاد تخنقه حنقًا من أخيـه، كيف تسنى له أن يحسبـها بهذا الشكل. أن يخطط لهجر زوجـته ببرود وأن يخونها كل هذا الوقت الطويل؟

- «ليس من عادتك أن تقل فى كلامك يا ميكى بيرنز» قالت له سيليا وهى تقف أمام البار، يبدو أنـها سألته عن طلبه وبدا شاردًا ولم يسمعها.

- «آسف» كان عليه أن يُخفى شعوره بالحنق والغضب قبل أن يجيبها.

- «هل أنت على ما يرام؟» بدا الاهتمـام والقلق واضحًا فى نبرة صوت سيليا.

هز ميكى نفسه، كان ممتلئًا بكلمات التشجيع التى نصح بها زوجة أخيه عن السلوك الذى يجدر بها أن تتخذه فى محنتها، ويبدو أن عليه الآن أن يلتزم بنفس هذا السلوك ويتغلب على حنقه وضيقه. وازن نفسه، يمكنه استعادة القدرة على الكلام ولكن لا قلب له للمزاح.

قدم طلبه وحمل المشروب والكؤوس وكرات الثلج متجهًا نحو ميرى ومارًا بالاحتفال بخطبة الشابة بيدى برادى، وإذا بها من دون الناس جميعًا تستوقفه نانسى موريس تمد يدها نحوه تحاول أن تضمه للمجموعة ليلقى عليهم بعضًا من نكاته وأقاصيصه الماجنة. كان رأيه دائمًا فى نانسى أنها إنسانية أنانية، تدور فى فلك ذاتها وتمثل الاستعلاء، ولا وقت لها للاهتمام بغيرها من الناس، استغرب طلبها وتجنبها قائلاً.

- «لا.. لا. ليس الآن يا نانسى» لاحظ ارتباكها وتغضن محياها لم يكن ينوى صدها والتنكر لها بهذا الشكل، ولكن صراحة، ألم يحلُ لها هذا الطلب إلا الآن.

- «ها أنذا قد جئت».

كانت ميرى تجلس منكسة الرأس تنظر نحو الأرض.

- «ارفعى رأسك يا ميرى بيرنز وانظرى عاليًا وابتسمى»؟

رفعت رأسها راسمة ابتسامة دامعة.

- «هذا رائع، ولكنهـا شبـه ابتسـامة مـقارنة بابتسـامـات ابنتك المشرقة»، فارتسمت على محياها إشراقة من ابتسامات جريتا الفجائية التى تشطر الوجه قسمين فتبادلا الضحك.

- «هذا أفضل» قال ميكى «والآن دعينا نتحـدث كيف سنرتب أمورنا» وأخـرجوا دفـترًا للكتابة ودونوا قـائمة بالأعـمال التى عليـها إنجازها هذا الأسـبوع، عليها أن تتـصل بالممولين - أسمـاؤهم مدونة على أوراق معلقة على الحـائط فى أرجاء المكتب. لم يكن بيلى بيرنز يحتفظ بأى دفاتر تفرح قلب موظفى الضرائب، ولكن على الأقل كان هناك نسق فى طريقـة تعامله يمكنهـا اتباعـها، كتـبوا سويًـا نوعًا من الإعلان يمكنها تقديمه لكل من يطلبها من أجل التأمين يقول: سيجرى التعامل فى كل مـعاملات السيد بيرنز مع المكتب التـالى، وكتبوا اسم المحامى الذى عـينه زوجها، ستـقدم هذا الإعلان لأى شخص يهـمه الأمر مع تفـسير ضاحك، إنهـا ولسوء الحظ ولكونها مجـرد امرأة لم تكن على علم بتحركات صاحب العمل، دونوا أسماء الموظفين الذين يمكنهم العمل فى مـحلات الأكلات السريعة، وتناقـشوا فى أجرتهم. مضى ميكى ليأتى بالمزيد من المشـروب ومن قطع الثلج، ومع مضى الوقت استطاعا أن يغطيا أخيرًا كافة أمور العمل.

- قالت ميرى «سأنام الليلة، فأنا أشعر بإرهاق شديد».

ولم تذكر أنه لم يغمض لها جفن فى الليلة السابقة.

- «وأنا أيضًا سأنام بعمق لم أعد أشعر بالخوف كالبارحة».

ونظرت ميرى نحوه بامتنان.

- «أنت طيب جدًا معى، ولكن هناك أمر مهم لم تذكره بعد».

- « ما هو»؟

- «أنت ؟ هل ستواظب على المجىء بالحافلة كل أسبوع؟»

- «تمامًا، فأنا كالعادة سأنزل من الحافلة الليلكية قبل العاشرة من مساء كل يوم جمعة».

- «تبدو مختلفًا تمامًا هذا المساء، فأنت لا تطلق النكات وتمارس الألاعيب كعهدك، كما إنى أشعر وأنا أبادلك الحديث بسهولة وراحة أكبر لدرجة أنه يصعب على أن أصدق أنك نفس الشخص، هل تستوعب ما أعنيه»؟

- رد عليها - «أظن أننى أفهم ما تعنينه؟»

- «أود أن أسألك أيضًا هل تريد أن تمضى فى راثدون مدة أطول من عطلات نهاية الأسبوع؟ ولكننى لا أعلم كيف أصيغ سؤالى؟ هل يمكنك البقاء معنا دائمًا؟ يبدو أننى بحاجة لوجودك معنا طوال الوقت، وهذا طلب صعب، ولكن إن لم أعرض عليك رغبتى لربما تبادر إلى ذهنك أنك غير مرحب بك هنا».

وأمالت كـأسهـا المـلىء بالرغوة حـتى الحافة وقـد عيل صـبرها للاستماع لرده.

- «مازال هناك أمل فى قلبك يراودك بعـودته، ولكن هذه مجرد أضغاث جنون أحـلام صيفية، ومع نهـاية الشهر ستنسين الأمـر برمته وتعتادين على هذا الوضع».

- «أعنى هذا، ولكنه شيء بعيد الاحتمال». قالت هذا ببساطة.

- «إذن فلنفتـرض أننى عدت للبـيت ورتبت أمورى على البـقاء وصدف وعاد الولد بيلى من وراء التل، فكيف ستتصرف حينئذ»؟

- «سنبقى حالنا على ما نحن عليه، أليس كذلك؟» ونظرت نحو مستفسرة.

- «كـلا، سأسـارع فى الهـرب ثانية، لن يـكون هناك مكان لنا جميعا فى العش نفسه».

- «إذن فأنت لا تنوى العودة إلينا، كنت أظن دائمًا أنك مهتم بنا وتضمر لنا أحاسيس رقيقة» وبدت نبرة حزن فى صوتها.

- «إن لم يعد حتى أعياد الكريسمـاس سأعود وأستقر معكم هذا أفضل حل، وهذا ما سأفعله». وبدا فخوراً بحسمه للأمر.

- قالـت برقة «البـيت بيتك، وأنت دائمًـا على الرحب والسـعة كترحيبنا بدخول الشمس من النوافذ».

- «هذا رأيك الخاص لأنك لطيـفة وطيـبة، ولكن هذا ليس رأى أخى بيلى الذى طلب منك الاستعانـة ببارث كيندى على أن تدفعى له أجرة سخية».

- «بل طلب منـى أن أطلب العـون منك ولكـنى لم أرغب فى إعادة ما قاله لى حتى لا تظن أنك مجبر على مساعدتنا».

وبدا عليها الاضطراب وهى تقول هذا.

- «ماذا قال؟».

- «قـال. . . آه. . لا يهم ما قـاله، ولكنه أوضح تمامًـا أنه يظن أنك تمتلك حصة فى هذا البيت مثله تمامًا».

- «أريد أن أسمع تمامًا كل ما قال».

- «لماذا؟ ولماذا أنت مـهتم بالأمـر، فنحن نعلم أنه لا يعى مـا يفعل وما يقول فهو نصف مجنون هذه الأيام ولا يمكنه شبك الكلمات ببعضها».

- «حسنًا، ومع هذا أود أن أعرف من فضلك»، قال هذا ببساطة ولكن بإصرار ولم يبد أبدًا كهذا الرجل الهـازئ المستهتر الذى كان فى الأيام المـاضية.

قال شيئًا مثل (لن يتزوج «ميكى» بعد أن وصل إلى هذا العمر. فلو إنه استطاع أن يجد لنفسه عملاً حولكم ها هنا واستقر معكم فى

البيت كـان لكِ أكبر عـون، فهـو بالطبع يمتلك نصف المنزل وله الحق فيه) قال شـيئًا من هذا القبيل لم تستطع ميـرى النظر إليه، بينما حوَّل أنظاره عنها نحو إعلان فى الحانة ثم قال:

- «يفيض أخى الصغير هذا رقة، ألست معى فى ذلك»؟

- «إنه أخوك الصغير. ولا تنس هذا أبدًا».

- «هل توافقينى يا ميرى على إقامتى معكم فى البيت»؟

- «هل أوافق؟ بل إنه منتـهى ما أحب وما تمنيـته دومًا، فـمحل الأكلات الـسريعـة يكفينا لتـدبير أمـور حيـاتنا، لابد وأنك لاحظت الطلب على العمل وإن عملنا سويًا»...

إذن سأسـتقـر معـكم على أعيـاد الميلاد، هذا أفـضل حل لربما استطعت الحصـول على تعويض من البنك وأخذت مبلغًـا بعد تقديم الاستـقالة، فلهؤلاء البـوابون نقابة قوية ولا يمكن التنبـؤ بنوع الاتفاق الذى يمكن أن يحققوه لى».

- «أخاف أن تجد الحياة هنا فى راثدون مملة بعد دبلن».

- «لا، أبدا فأنا بوضعى الحالى أمضى هنا تقريبًا نصف الأسبوع».

- «ولربما عثرت لنفسك على فتاة مناسبة، وبدت «ميرى» مترددة فى سؤالها.

- «يبدو أن أخى بيلى كان مـحقًا فى هذه النقطة بالذات، فـقد كبرت على هذا». وابتسم ابتسـامة عـادية لا يبدو بها أى تـلاعب. مر أمامهما «روبرت جرين» وسألهما:

- «هل شاهدتما «جودى هيكى؟»

- أجابت «ميرى» «كلا لم نلحظها، كنا نتحدث ولم نأخذ بالنا».

- «لربما أنهـا فى الزاوية وراء العـامود» أشـار «مـيكى»، وكانت المدعوات لحفل خطبة «بيدى برادى» يقفن وقد تشابكت أيديهن ويغنين أغنية سنبحر سويًا. ووصلت أم «سيليا» تحمل مضرب الجولف وتبدو كما لو إنها ستضربهن على رؤوسهن ولكن وبينما كن يراقبنها خائفات تبـدل الموقف وبدا أنها لا تضـمر شـرًا بل تود مشـاركتـهن فى الغناء وصدح صوتها عاليًا فوق أصواتهن جميعًا.

- قال «روبرت» «قابلت كل ركاب الحافلة الليلكية إلا من جئت لمقـابلتهـا» وبدا متـضجـرًا، وكادت «دى بروك» أن تطير وهى تندفع خارجة من باب الحـانة، والآنسة «موريس» تبدو كمن سلخ جلدها. و«كيف» يجتر فى الركن، والباقون يلتفـون حول البار يترنحون سأله «ميكى» «إن جاءت ماذا تريد أن أبلغها؟»

- «أوه سأجـدها، علىَّ أن أخبرها بـشىء على درجة كبـيرة من الغرابة».

بدا على كل من «ميكى» و«ميرى» اهتمامها بالأمر.

ومضى «روبرت» فى حاله سبيله.

- «على الأرجح أنه يريدها ليعطيها بذوراً للفطر أو لغيرها من الأعشاب المعالجة، فهم يتحدثون دائمًا عن الزهور البرية والأعشاب، وعش الغراب السام وما شابهه». قال «ميكى» «لميرى» ضاحكًا وضحكت «ميرى» حاشرة حقيبة يدها تحت ذراعها ومستعدة للذهاب، وسألها فجأة.

- «ألا تريدين رجلاً آخر فى حياتك؟ أعنى أنت مازلت صغيرة السن وشابة. وليس من المفروض أن تعيشى مع أخ زوجك ليشل حركتك وأسلوب حياتك؟»

- «كلا» أجابته. «كلا لا أريد. أعنى. لن أتخذ صديقًا حتى ولو تسنى لى لن أقبل، انتهيت من كل هذه الأمور، كل ما أطلبه هو العيش فى سلام وبالنسبة للأولاد أن يسعدوا فى حياتهم يكفينى أن أجد مأوى هذا يكفينى ويريحنى».

تذكر الحلم الذى رآه فى الحافلة. حلمه وقد رأى نفسه يعيش دون زوجة ولكنه مسئول عن الأولاد يحملون الرسائل بطول الشارع. لاحظ أن «بيلى» لم يكن موجودًا أيضًا فى منامه، صحيح هناك بعض الاختلاف فى التفاصيل ولكن لب الموضوع واحد، سيشعر بالأمن والاستقرار معهم جميعًا، ولن يُطلب منه القيام بواجبه كرجل، سيبقى كما كان على الرحب والسعة كترحيبهم بدخول الشمس من النوافذ.

(٤) جودى JODY

لم يحضر إلى المخزن ظهر هذا اليوم سوى أربعة من الزبائن فقط، أخذت «جودى» مؤخراً تدون ملاحظاتها فى دفتر صغير، بعد الغداء حضر اثنان من الدارسين وأمضوا ما يقرب من نصف الساعة يبحثون فى الكتب عن خصائص الأعشاب وعن طرق صناعة النبيذ المنزلى. بعدها جاء رجل عجوز واشترى سواراً من النحاس لالتهاب المفاصل وحدثها عن الهمج الذين غزوا بيته وسرقوه بعد أن عصبوا عينيه وانتشلوا السوار من معصمه ظنًا منهم أنه غالى الثمن. جاءت بعده سيدة قاسية الملامح واشترت قارورة صغيرة من زيت «البروموروز» وتساءلت عن إمكانية تخفيفه بزيت نباتى عادى أو زيت الأطفال لتستفيد منه لمدة أطول.

ضاق الوقت، ولم يعد أمامهم سوى بضعة أسابيع وسيضطرون لإغلاق المخزن، شعرت جودى بثقل فى القلب وهى تمضى باتجاه الحافلة الليلكية، كانت مرهقة وحالتها لا تسمح لها برحلة طويلة شاقة نحو الغرب، اعترتها الرغبة بعدم السفر وأن تعود أدراجها نحو شقتها الصغيرة فى دبلن لتأخذ حمامًا طويلاً وهى تستمع إلى أنغام الموسيقى

فى الراديو، تلبس بعـدها قفطـانها الواسع وخـفهـا الناعم الخفـيف، وتتمدد حـتى يهدأ الألم فى أعضاء جسمـها المرهق، ويسكن الصداع المتراكم فيما وراء عينيها، افترّ ثغر «جودى» عن ابتسامة (متهكمة) إنها فعلاً إعلان رائع عن الأدوية الصحية التى تروج لها فى المخزن ومضت نحو الحافلة متألمـة متذمرة ومـفلسة، لا عجب أن الناس يعيشون أبعد ما يكون عن الطرق الصـحية المثلـى التى تروج لها بما إن التعليـمات الصحيحة هذه ستقودهم لمثل هذا المصير.

كانت تأمل أن لا يصرخ «ميكى بيرنز» هذا المساء، عاليًا بدعاباته البلهـاء، فهـو رجل طيب ومسكين، ولكن من الصـعب تحمله دائـمًا والمشكلة لو إنك تجـاهلته ظن أنك لم تسمـعه وردد النكتـة من جديد وإن اغتصبت ابتسامة تشجع وسرد عليك المزيد.

وصلت تمامًا فى نفس الوقت الذى حضر به «روبرت». وهذا أمر مريح باستطاعتهما الجلوس سويًا فى المقعد الخلفى، ليس من المفروض أن تختار رفيـقها فى الرحلة، ولكنها فعلاً لـن تتحمل جوار «ميكى» طوال الطريق إلى راثدون، أو حتى أسوأ منـه أن تستمع إلى هذ المملة الوقورة المتعبة «نانسى موريس» تعلمها كيـف تكسب صـــابونة مجانًا إن اشترت مـعجونًا للأسنان يوم الأربعـاء، أو شيئًا من هـــذا القـبيل من الخطط السخيفة السمجة، أما «روبرت» هذا فهو شاب طيب، نعم هذا تمامًا ما ستصفه به لو أن أحـدًا سألها عنه، شاب طيب فهو الولد الوحيد لأبوين كانا فى منتصف العمر حين ولادته، وأصبحا عجوزين

وهو مازال فى الخامسة والعشرين من عمره، الأم فى السابعة الستين والأب بلغ السبعين هذه السنة، يقول «روبرت» إنهما لم يحتفلا بهذه المناسبة، فالأب طريح الفراش وصحته تتدهور من أسبوع لآخر من سيء إلى أسوأ، ولكم عاد إلى المنزل وبذهنه صورة لأبيه هذا لرجل الصلب المتماسك الذى يمسك بيده زمام كل شيء ليصطدم حين عودته مساء كل يوم جمعة بالصدمة ذاتها، يدخل غرفة النوم الكبيرة ويتعين عليه أن يواجه الواقع من جديد، أن يتألم لرؤية الرجل يهزل ويرق كالورقة، برأس أشبه ما يكون بالمومياء، لا يبدو أثر للحياة سوى فى عينيه الواسعتين القلقتين.

عرفت «**جودى روبرت**» منذ أن كان طفلاً، ولكنها لم تتعرف عليه حقيقة إلا من خلال رحلات الحافلة الليلكية، كان دائمًا طفلاً مؤدبًا:

- «صباح الخير يا سيدة «**هيكى**». هل عندك شيء جديد أضيفه لمجموعة أزهارى المكبوسة (المضغوطة)»؟

يتصرف البروتستانت عامة بمثل هذا السلوك، هذا ما كان يتبادر إلى ذهنها فى نظرتها العامة للناس :الأزهار المكبوسة، حسن السلوك، طريقة قص الشعر المهندمة، تذكر أسماء الناس وتحيتهم، كانت السيدة «**جرين**» فخورة جدًا بابنها «**رروبرت**» وكانت تختلق الأعذار لتتجول معه فى القرية. كان قد مضى عشرون عامًا على زواج آل «**جرين**» عندما ولد «**روبرت**». همست أم «**سيليا رايان**» صاحبة الحانة بأنها أعطت إلى السيدة جرين تعويذة القديسة آن، والتى كان متعارف أنها لا تفشل أبدًا

وتبعًا لمذهبها البروتستانتى ترددت السيدة «جرين» فى اللجوء للتعويذة، ولكن فى اللحظة التى رددت فيها ما كتب فى التعويذة، كاثوليلكية أم لا، تدخلت القديسة آن وهكذا كان، وجاء «روبرت» إلى الوجود.

أخبرته «جودى» بالقصة فى إحدى رحلاتهم المسائية بالحافلة، وضحك إلى أن أغرقت الدموع وجهه وقال : «عليك أن تقصى علىَّ قصة القديسة آن، وفى أى مرتبة من القديسين هى؟ فالمفروض أن أقدم لها شكرى وامتنانى، فهى سبب وجودى، ، أو أعنفها عندما تسوء الأمور معى».

كانت «جودى» تستظرف صحبة «روبرت» فهو فى عمر ابنها «أندرو» الذى يعيش آلاف الأميال بعيدًا عنها، تحت شمس كاليفورنيا الذهبية. ولكنها لن تستطيع أبدًا التحدث مع «أندرو» كما تفعل مع «روبرت»، فهى للحقيقة لم ولن تتحدث قط مع ابنها هذا ما أكد عليه النص القانونى الذى اضطرت على إمضائه.

كانت «جودى» تتساءل هل سيمكنها التعرف على ابنها، فلنفترض أنها سافرت الآن إلى سان فرانسيسكو. وتمشت فى ميدان يونيون هل بإمكانها التعرف على الفور على أولادها «أندرو» و«جيسكا»؟ ولنفترض أنهما مرًا بقربها، فهما الآن شاب وشابة فى شرخ الشباب، إن لم تتعرف عليهما، ولم يتعرفا عليها فما الفائدة أن تحمل أولادًا فى رحمها ثم تلدهم؟ ولنفترض أنهما تعرفا عليها بشكل غريزى ولبثا يحملقان وينظران نحو هذه المرأة ذات الخمسين سنة الواقفة تحت

الشـمس الساطعـة.. ماذا سـيكون رد فعلهـما؟ هل سـيصـرخان : «ماما.. مامـا» ويندفعان نحوها يرتميان فى أحضانهـا كما يحدث فى الأفلام الهوليوودية؟ أم أنهـما سيشعران بالحرج ويتـمنيان لو إنهما لم يتعـرفا عليـها؟ لربما أن لديهـما فكرة مـا بأن لهمـا أمًا مـوجودة فى أيرلندا، أمٌ لم تكن لائقة بهما هذا ما قال جـاك إنه سيخبرهما به. أمُ لم تكن مستـعدة للاهتمام بهمـا ولن يخبرهما بأى تفـاصيل أخرى، وعندما يكبـران ويصبحـان فى عمر مناسـب يؤهلهما لتـفهم الوضع سيعطيهما عنوان «جودى» ليراسلاها إن أرادا، وسيكون بإمكانها أن تبعث لهما بتفسير وتوضيح إذا ما شعرت بالرغبة فى الرد عليهما ولم تشعر «جودى» أبدًا بالقدرة على الكتابة والرد عليهما لأنهما لم يكتبا قط، مضت السنة تلو الأخرى وهى تـستعيد ما تود أن تخـبرهما به، وتعيد صياغة كلماتها وتتـمرن سنة وراء الأخرى عما تود أن تخبرهما به كمـا يفعل من يتقـدم للمقابـلة إلى عمل أو ظيفـة جديدة، أو من يستعد لإلقاء خطاب أو امتحان مدرسى.

وأدركت مع الوقت شيئًا فشيئًا أنهما بلغا الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة ثم العشـرين، وبلغا سنًا يدركان معها ليـسألا عن هذه الأم غير اللائقة، وصلا لسن النضوج ليـخبرهما عن وجود أمهمـا كما وعد، ولكنها لم تستلم أى خبر أو استفسار من طرفهما.

كما إنها توقفت عن مراسلة الأخ الأكبر لجاك، هذا الأخ الطبيب الذى أحدهما بالمـأوى على الشاطى الغربى من أمريكا والذى حاول أن

يرتق الشق ولم يكن يخبرها فى رسائله بشىء معين سوى ما يطمئنها أن الأولاد بخير. منتظمين فى دراستهم وأنهم فى أحسن حال، وهذه الأمسية بالذات يخطران على بالها. وتتساءل عن أحوالهما أندرو و«جيسكا» بلونهما الذهبى تحت شمس كاليفورنيا ترى هل تزوجا؟ هذا ممكن جداً. فالكاليفورنيون يتزوجون فى عمر صغير، ثم يطلقون سريعًا، هل هى جدة؟ أمر محتمل. واسم الحفيد؟ لربما إن اسمه «هانك» أو «باد» أو على اسم جده؟ أم أن هذه أسماء قديمة؟ ولكن لِمَ تظن أنه حفيد؟ لربما إنها حفيدة طفلة صغيرة بقبعة شمسية مثل «جيسكا» ومنذ أن فارقها ولديها منذ عشرين سنة مضت وبرأسها ساعة كاليفورنية تدور. فهى لا تتوقف أبدًا لتتساءل «تُرى كم الساعة الآن هناك»؟ بدون تفكير فهى مدركة للوقت تمامًا وتعلم أن الساعة الآن هناك الحادية عشرة إلا ربعًا، وهذا هو التوقيت فى كل مرة تصل إلى هذا المنعطف متجهة نحوالحافلة الليلكية، ولكنها لا تعلم هل تزوجا أم لا؟ يعملان بالجامعة أو بوظيفة عادية؟ لا تعلم إن كانا سعيدان أم تعيسان بل إنها لا تعلم إن كانا أحياءً أم أمواتًا؟؟؟

انزلقت برقة إلى جانب «روبرت» فى المقعد الخلفى، بعد أن عبرت وراء الشابة «دى يورك» التى كان يبدو عليها فى الآونة الأخيرة القلق الشديد، والله يعلم منذ متى، ومن المدهش أنها لم تنفجر حتى الآن، والشابة الغريبة الأطوار «نانسى موريس» كم هى بلهاء هذه الفتاة الصغيرة فأمها سيدة ظريفة وكذلك أختها «ديردر» التى تقيم فى أمريكا،

فهي أيضًا فتاة لطيفة تأتى معبأة بالقصص كلما عادت للزيارة. كذلك الأخ فى كورك شاب ظريف، ما الذى حلَّ على بنانسي ليجعلها بهذا البخل وضيق الأفق أو مهما كان اسم الحالة التى أصبحت عليها.

يلبس «روبرت» سترة جديدة، ومن الواضح أنها تدخل البهجة إلى نفسه، كانت بالنسبة «لجودى» تبدو كأى سترة شبابية عادية.

ولكن عليها أولاً أن تقر أنه لا دراية لها بعالم الأزياء الراقية، بدا الانبهار واضحًا على «دي يورك» وعبرت عن أعجابها بالسترة، وهذا ما جعل روبرت يشرق بالفرحة، وهمس لها والحافلة على أهبة الانطلاق - «إنها هدية عيد ميلادى سأخبرك كل شيء لاحقًا».

ولكنها لا تريد أن تستمع إلى أى شيء فى الحافلة فهى تشعر بألم فى وركها، ونقر حاد فى رأسها، وهذه الفتاة موريس، لربما تظاهرت بعدم الإنصات ولكنها على بعد خطوتين منهما. تشعر اليوم بسنين عمرها أكثر من أى يوم مضى، وهى فعلاً أكبر بكثير من كل ركاب الحافلة ماعدا «ميكى بورنز». وحتى هو لابد وأنها أكبر منه بعدة سنين، كما إنها أكبر بعشرين سنة من الشابين اللذين أنشا المخزن الصحى الذى تعمل به معهما والذى من المفروض أن يتخليا عنه فى خلال ستة أسابيع لضيق ذات اليد،، ولن ينقذهما سوى معجزة من السماء، أو اكتشافهما لإكسير الشباب وتعبئته فى عبوات غالية أنيقة ومغرية، من الواضح أنها كبرت على كل هذا الصخب والتعب والرجرجة

والمرجحة فى الإياب والذهاب، والتجول فى أنحاء البلاد، لابد وأن عليها أن تستكين وتستقر فى مكان ما. . نقبت فى حقيبتها الكبيرة وأعطت «روبرت» لفة صغيرة قائلة : «هذا شاى أخضر، وهى كمية قليلة لتجربها لنر إن كنت تستسيغها» برقت عيناه وأجاب : «هل هذا ما تحضرين به الشاى بالنعناع؟ الشاى بالنعناع الأصلى»؟

- «نعم قليلاً من النعناع الأخضر، قليل من السكر فى كأس وتحضر الشاى لوحده فى إبريق فضى لو كان عندك. تصبه على أوراق النعناع» شعر روبرت بالسرور ورد : «كنت أحضره بأكياس الشاى العادية منذ عودتنا من المغرب، وكان المذاق رديئًا جدًّا».

«ولكن هناك كان المذاق كما لو كنا بالجنة، أوه، شكرًا جزيلاً ياجودى».

- وردت عليه محذرة : «ولكنها كمية صغيرة جدًّا».

- «سأعتبرها عينة، إن أعجبتنا سنأتى إلى مخزنك ونشترى كيلوات منها ونعمل لتجارتك دعاية صاخبة».

- «نحن بالفعل بحاجة لها» وحدثته عن سوء الأحوال التجارية وأكد لها أن الوضع سيء فى كل المجالات.

يعمل روبرت فى مكتب (وكالة) لبيع واستئجار العقار. . وأحوال العمل بطيئة ومتدنية. وأسعار البيوت التى كانت تقفز وتعلو وتتخاطف فى السابق لم تعد تتحرك أبدًا وهناك ركود مخيف وكثير

من المحلات تقفل على مدى البلاد، ولكنها حالة عرضية وستتحسن الأحوال قريبًا، فالأسواق دائمًا تمر بأطوار، هذا ما يأكده الدارسون للسوق والعارفون بتطور الأحداث وهذا ما يجب أن تضعيه فى الاعتبار.

وردت « جودى» متبرمة «أن هذا النوع من الناس، الذين لهم خبرة بمثل هذه الأمور مازال باستطاعتهم التمتع بالثقة فعلى ما يبدو أن لديهم وفرة من المخزون من الفحم للمدفأة ولكن المشكلة تكمن فى البقية الباقية من العالم الفقير ممن لا مخزون لديهم».

حديثهما هذا جعلهما يشعران كما لو كانا أصدقاء قدماء، طلبت منه أن يأتى لزيارتها لتأخذ نصيحته فى تقليم أغصان الورد ونبات السيسبان، وأن يساعدها فى اختيار بعض من أعشاب ونباتات الريحان الليمونى من أجل تعبئتها فى أكياس صغيرة تصنعها وتبيعها. ورد عليها **روبرت** إن عليها أن تصنع العشرات لتجارة أعياد الميلاد كما أن عليها أن تبيعها فى المحلات الكبرى فى شارع **جرافتون**، لأنها هدية رائعة فى أعياد الكريسماس، وردت جودى هذا رائع ولكن اهتمامها منصب فى المقام الأول على المخزن الذى تعمل به، فهذا هو المحل الذى تريد أن تعمل على نجاحه وترويج صناعتها فيه وليس المحلات الكبيرة التى تربح دونما حاجة لبضاعتها.

وحدثها **روبرت** عن زوجة الرجل السياسى التى جاءت إليه فى مكتب الوكالة العقارى وسألت بدهاء وأدب عن موقع الشقة الجديدة لزوجها، بشكل أو بآخر خمنوا جميعا أن الشقة لم تكن مسجلة

باسميهما معًا وأن الزوجة تحاول أن تكتشف الأمر، كل من فى المكتب تعاون لتغطيـة الأمر وأصبحوا جـميعًا فـجأة غامضين ملتبـسين وغير متعاونين فى الرد بدقة وأخيرًا نفد صـبر المرأة وانفجرت غاضبة وبعثوا بعدها برسالة على درجة عالية من الحـصانة إلى السياسى مشيرين إلى أن عشه لم يكشف النقاب عنه ولكن فى خطر أن يقع تحت الحصار.

- علقت «جودى» «يا لها من امرأة مسكينة بلهاء. كان عليها أن تتركه ينشئ حريما له على هواه إن كان هذا ما يجعله سعيدًا».

- ورد روبرت معجبًا بها «لو كنتِ مكانها لما تركته يفعل ذلك، فأنت على درجة عالية من النخوة والجرأة».

- وردت « جودى» : «لا أدرى، لقد تخليت عن رجل وطفلين منذ عشرين سنة مضت، وهذا لا يدل إطلاقًا على جرأة أو جسارة».

صعق «روبرت» فلم تأت «جودي هيكى» أبدًا على ذكر هذا الحدث المذهل، والذى جعل القـرية بأثرها تلوك سيرتها بروايات مـتنـوعة، كان قد سأل أمه يومًا وردت عليه أمـه أن مداخل ومخارج الحادثة غير معروفة تمامًا لأى فرد فى القرية، وإن أبا «روبرت» الذى كان الوكيل العام للمنطقة فـى ذاك الوقت كان متكدرًا جدًا لعدم طلب استشارته فى الموضـوع مع إنه كان من الواضح أنه الشـخص الذى كان عليـهم الاعتماد عليه فى مثل هذه الحالة، ولكن كان هناك شيء غامض حول حفظ التحقيق، والكثير من القيل والقال، ومفتش كبير (ووكيل حضر

من دبلن وحلَّ مكانه بناء على طلب «جاك هيكى»، وبعدها سندات استخرجت وأوراق وقعت وصفقة أبرمت، ورحل جاك مصطحبًا الطفلين معه إلى أمريكا، رحلا ولم يعودًا أبدًا وأصر «روبرت» قائلاً:

- «ولكن كان يجب أن يعرف الناس لِمَ تم الأمر بهذا الشكل، وردت أمه : «لقد زاد عدد التفسيرات حينذاك على عدد أيام السنة».

كان قد مضى على زواجها من « جاك» ست سنوات فى ذلك الحين.. والآن مضى عشرون عامًا بدون رجلها وأولادها ولكنها احتفظت باللقب «هيكى»، آملة كما يعتقد الناس بعودة أولادها إليها، كانت فى فترة من الزمن دائمة الذهاب إلى المدينة التى تبعد سبعة عشر ميلا عن راثدون لتسأل مكاتب السياحة إن كانوا يحتفظون بأسماء السياح الأمريكيين أو حتى أسماء هؤلاء الذين بصحبة أولادهم، وكانت فى فترة أخرى تصعد إلى حافلات السياحة التى تفد إلى «راثدون» تتفحص الركاب باحثة عن أولاد فى سن التاسعة وأخواتهم فى السابعة. ولكن كل هذا كان فى الماضى ما الذى جعلها تذكرهم الآن فجاة؟

سألها «روبرت» بلطف:

- «إنهم إذن فى ذهنك أبدًا»؟

وردت عليه بتلقائية كما لو إنها اعتادت الحديث عنهم بدون انفعال أو حماس زائد عما كانت عليه وهى تحدثه عن كيفية صنع الشاى بالنعناع.

- «موجـودون وغير مـوجودين، على الأرجح لم يعـد هناك ما نقوله لبعضنا البعض بعد كل هذه السنين».

- «تُرى مـا نوع العـمل الذى يقوم به الآن؟ أم إنـه تقاعـد عن العمل» وردت مازحة:

- «من؟ «أندرو؟» ولكنه فى مـثل عمرك، آمل أن لا يـكون قد تقاعد بعد. وبدا، كما لو إنه رفه عنها بحواره هذا وأجاب :

- «لا، فأنا أعنى زوجك. فأنا لا أعلم إن كان أولادك ذكورًا أم إناثا». وشعر «روبرت» أنه دخل إلى لب الموضوع.

- «ولد وبنت «أندرو» و«جيسكا»، **أندرو وجيسكا**».

- «أسماء جميلة». ردد ببلاهة.

- «فعلاً كما ترى أسماؤهم جميلة أخذنا دهرًا لاختيارها. لا.. إطلاقًا، لا علم لى إن كان «جاك هيكى» يعمل أم أنه يسـتلقى على طوق يجدف فـيه بحارة أمريكان، لا أعلم حـتى لو إنه عمل أبدًا فى كاليـفورنيا أم إنـه يعيش عالة على حـساب أخيـه الطيب، ولا يمهنى الأمر بتـاتا. بأمانة وصـدق أقول إننى لا أفكر به إطلاقـًا، لربما تبادر إليك أننى اعـترض ولكن من المضـحك أننى أجد صـعوبة كـبرى فى تذكر شكله، وحتى هـذه اللحظة لم يخطر على ذهنى أن أتساءل هل تغير وكيف يبدو مع تقدمه فى العـمر، لربما أصبح أكثر امتلاء، أخوه

الأكبر تشارلى وهو رجل لطيف، كان ممتلئًا، كان هناك صورة عائلية على ما أذكر أن أهله ممتلئون».

التـزم روبرت الصمت لبـرهة تجاه هذا الازدراء وعـدم الاهتمـام الواضح يبـعث القـشعـريرة.. يمكنك أن تلـمس شعـوراً بالكراهيـة والمرارة، بإمكانك أن تتغـاضى عن نار غضب بطيئة الاشـتعال أو عن حنق. ولكنها تتحدث عنه وتذكره ببرودة كما لو إنها تتحدث عن ممثل مغـمور ظـهر فى أخـبار التليـفزيون مـرة من المرات. هل هو حى أم ميت؟ مـن يعرف؟ من يتـذكر؟ إذن. من الأفـضل الانتقـال لموضوع آخـر.

- «حسنا. وأولادك؟ «أندرو» و«جيـسكا» هل هما على اتصال بك حتى ولو من حين لآخر»؟

- «لا... هكذا كان الاتفاق»!

إن كان بنيته أن يعلم شيئًا فليكن فى الحال، أدار رأسه فى الحافلة لعل هناك من يتنصـت. لا، كانت دى غـارقة فى سـبـات عمـيق، ورأسها ينحرف بزاوية خاطئة، وبجوارها هذه الشنيعة موريس تغط فى نومها أيضًا، والباقون فى المقاعد الأمـامية بعيدون عن مجال الإنصات قال محاولاً استدراجها للحديث.

- «إنه لاتفاق قاسٍ وظالم».

- «أوه كانوا يظنون أن لديهم مبـرراتهم، لا تنس أن القانون كان يحكم على من يسرق خروفًا بالشنق».

سألها باسما:

- «وهل هذه هى تهمتك؟ هل سرقت خروفًا»؟

- «لا، لو كان هذا ما فعلته لكان أمـرًا بسيطًا كلا.. كلا.. ظننتك تعلم، لربما أخبـرك والدك عنى؟ كـلا كنت أتاجـــر بالمخـــدرات، وكما ترى هذه أسوأ تهمة يمكن ارتكابها».

وبدت وهى تسرد ذنبهـا كشابة شقية وشـعـــر بأنها تمـــازحه، ولا يمكن أن تكون جادة وضحك قائلاً.

- «لا.. لا.. كفاك مزاحًا، أصدقينى القول».

- «قلت لك كنت بائعة مخدرات المنطقة».

قالت هذا بدون فخر أو شعور بالخجـل، تمامًا كما لو إنها تخبره عما كان عليه اسمها قبل الزواج.

لم يحدث أن جفل «روبرت» كما فزع لدى سماعه اعترافها ورد عليها آملا أن يستطيع إخفاء الصدمة من نبرة صوته.

- «إنك تدهشيننى ولكن كل هذا كان فى المـاضى البعيد».

- «نعم، كان هـذا فى الستينـات أظن، هذا كان منذ زمن بعـيد فجـيلكم، لم يكن الأول فى تعاطيه المخـدرات كما تعلم. السـتينات كان لها مسرحها (ساحتها).

- «كنت أظن أن هذا فقط فى أمريكا وإنجلترا».

- «طبعًا، كان هناك متعاطون، ولكن ليس مثل هذه الأيام، فلم يكن الأمـر منتشـرًا على طول البلاد وبأعـداد كبـيرة ومـقتصـرًا على البـالغين بدون الأولاد أو الأطفـال، وطبعًـا لم يكن الهـيـروين، بل مخدرات تجعلك أكـثر إشراقًا وشبابًا يتعـاطاه الشباب فى المراقص ممن أنهوا دراسـتهم الثـانوية وأتيح لهم السفـر للخارج، وكـانت تنم عن بلاهة شديدة ولكن وحتى الآن مازلت أظن أنها غير مؤذية جدًا.

- «هس، ألم تكن»؟

- «أوه. نعم، حقن مارجوانا قليل من الـ ل.س.د. بعض من الأمفيتامين».

- «وهل كنت تتاجرين بالأسيد أيضًـا، وكان ينتابه شعور ما بين الإعجاب والصدمة».

يا روبرت كان عنـدى كل ما كان مـوجودًا وقـتها فـى السوق. المشكلة ليست هنا. المشكلة أننى كنت أروج وأبيع، ووُجدت بحوزتى».

- «ولكن بالله عليك لم كنت تفعلين ذلك؟»

- «أظن، من ناحية، كانت للهروب من الضـجر، وناحية أخرى الإغراء المادى، صحيح أنه ليس كثيرًا، ولكنه معقول، كما كان هناك الكثير من المرح والتسلية فأنت تلتقى بصحبة هائلة ليسوا متخشبين وأموات مثل «جاك هيكى»، كنت فعلاً على درجة كبيرة من البلاهة وعدم الشعور بالمسئولية وأستحق كل ما حدث لى، هذا ما أردده لنفسى دائمًا وأشعر به»، وتوقفت فجأة عن الحديث وشردت متأملة.

شاركها «روبرت» صمتها وتأملها لبرهة ثم عاد للتساؤل.

- «وهل قمت بهذا لفترة طويلة قبل أن ينكشف أمرك»؟

حوالى ثمانية أشهر. كنت فى حفلة، وكنا جميعًا ندخن شيئًا لا أدرى ماذا كان اسمه، ترك عندى شعورًا رائعًا من البهجة والنشوة أثناء الحفلة لم يتفوه جاك بشىء ولكن عند عودتنا للبيت استشاط غيظًا، زمجر وهددنى لو إننى دخنت ثانية ماذا سيفعل بى وماذا سيمنعنى عنه.

- «إذن فهو رفض المشاركة»؟

- «آه.. أنت لا تعرف جاك هذا لا تعرفه أبدًا تظاهر بأنه يدخن السيجارة الصغيرة المسكينة بفم مغلق تظاهر باستنشاق الدخان. كان محتفظًا برزانته ولم يستنشق المخدر وعاد ثائرًا، وكانت هناك خناقة قائمة على مدار الأسبوع انتهت بالإنذار الأخير. إن أمسكت بها ثانية لا عودة، يسدل الستار، ينتهى الموضوع، يأخذ الأولاد ويرحل إلى

أمريكا ولن أراهم بعدها أبدًا، دون قضية أو محكمة. يمكننى أن أكتب التعهد بنفسى كوثيقة بيده، وهكذا يكون أعطانى حقى هذا ما قاله».

استمع «**روبرت**» مفتونًا وصوت «**جودى**» الناعم يسترسل فى انسيابه.

- «حسنًا، كان «**جاك**» يتاجر فى الماشية لم تكن مزرعة بالشكل التقليدى، بل مرعى للماشية حيوانات يشتريها، يغذيها فى المرعى الواسع ثم يعيد بيعها، كان لدينا مربية طيبة عجوز، كانت مربيتى فى أيام عزى واتزانى القديمة وكانت تعتنى «**بأندرو**» و«**جيسكا**» وهذا ما أعطانى الحرية للترحال والتجول هنا وهناك أجمع مادة لكتابى عن الزهور البرية فى الغرب، ولكن يبدو أننى أتقنت جمع أصدقاء سوء بشكل أوسع، على أى حال، وبما إننى كنت أمتلك سيارة صغيرة. وبما إننى كنت أتجول هنا وهناك فلِمَ لا أمضى نحو دبلن أو لندن، كما سبق وفعلت لأموِّن الناس ببعض المواد البعض اقترح الفكرة والتقطتها كوميض البرق».

تنهد «**روبرت**» معجبًا وقال:

- «أشعر كما لو إنى أقرأ قصة مغامرات مثيرة».

- إذن فهى قصة إثارة ورعب، أذكرها كما لو كانت البارحة، تصرف المسؤولون بناء على معلومات تلقوها، دفع الكفالة أحرجت السيد «**هيكى**» كثيرًا، شخصٌ مهم ومحترم مثلك، فنحن لا نشك بالأمر

إطلاقًا ولكن علينا تنفيذ التعليمات وأن نطبق القوانين نفسها على عامة الناس لا تمييز بين طبقة عليا أو طبقة سفلى، ومن الأفضل حسم الأمر والانتهاء من التعقيد بسرعة منعًا للإحراج ولكن بحق السماء ماذا لدينا ها هنا فى سيارة السيدة «هيكى»؟ وفى حقيبة يدها؟ وفى غرفة النوم؟ ومخبأ بعيد وراء كتب السيدة هيكى؟ حسنا فقد السيد «هيكى» النطق وخرس لربما كان بإمكانه إعطاء بعض التفسيرات والمبررات ولكنه التزم الصمت».

انتابت «روبرت» فجأة فكرة أنها تقوم بتمثيل الرواية ببراعة كان باستطاعته تخيل الضابط أو المفتش أو مهما كانت وظيفته، قدمت السيدة «هيكى» عرضًا كاملاً متفردًا مثلت فيها الأدوار كلها. قامت بهذا كله بدون حركة أو إيماءة أو تشديد على الألفاظ، تروى قصتها بصوت ناعم خافت معبر حتى لا توقظ الآخرين أو تشد انتباههم والحافلة تسرع تشق طريقها فى عتمة المساء.

- «وهكذا كان وقُضى الأمر إلى الأبد، جاء محققون ورجال مباحث من دبلن مسؤول لم أكن أعلم أن جاك على معرفة به، وقال «جاك» أن المزرعة برمتها أصبحت ثقلاً كبيرًا عليه ويفكر أن يعرضها للبيع ولكن هذه الفضيحة ستُنزل من قيمتها وتفهم الجميع وجهة نظره وتعاطفوا معه، فكلهم رجال أعمال بما فيهم الحراس، كما إن بيده المستند الذى كنت كتبته ووقعته والذى أقر بمقتضاه أننى إنسانة غير صالحة وأتنازل عن حضانتى لأولادى، وأجِّل اتهامى إلى أن انتهى «جاك» من بيع المزرعة بالسعر الذى حدده. ومضت الخطة كما رسمها

ورحل إلى أمريكا مع الأطفال، وقبل أن يمضى طلب منى رجاء أن لا أنقطع عن التفكير بأولادى».

وتساءل «روبرت» متحيرًا.

- «يطلب منك التفكير بهم ومع ذلك يأخذهم بعيدًا عنك كيف يكون هذا»؟؟

- «نعم. فمن وجهة نظره لست سوى تلك المجرمة المدمنة، وهذه ليست بالبداية الطيبة لأى طفل، ومن الأفضل أن يتربوا بعيدًا عنى وهكذا تمت الصفقة، ورأى الحكماء والطيبون من أهل البلدة أن للحادثة مبرراتها وأن على أن أتحمل تبعة أخطائى».

ومدت أنظارها إلى وراء النافذة لبرهة ثم أكملت.

- «لم أكن أتخيل أن الفراق أبدى كنت خائفة وظننت أن الأمور ستهدأ ولذا وافقت على بيع المزرعة، نعم باعها لهذا السفاح المستغل الذى جاء من دبلن، هذا الرجل المهم الذى رشا الجميع ومضى يحمل رزمة من المال فى يده. بعدها جاء مأمور التصفية أو مهما كان اسمه وباعها للراهبات اللاتى حولن المكان إلى مركز للمؤتمرات وهكذا. . فأنت تعلم الآن قصة البيت الكبير وسكانه السيئين الذين أقاموا به فترة من الزمن».

لم يخطر على بال «روبرت» أنها كانت يومًا السيدة المالكة للبيت الكبير المسمى «دون هاوس» وأنها انتقلت منه لتقيم فى الكوخ المتواضع الملحق به.

- «والآن يفد إلى هذا البيت رهبان وراهبات ومتقاعدون ينشدون العزلة يتبادلون المحاورات والنقاش كما تقام به أحيانًا مؤتمرات عادية لا دينيــة، ومن ريع الإيجــار تدفع الطائفــة الكهــنوتيــة تكاليف المكان. ولكنها عادة ما تكون نوعًا هادئًا من المؤتمرات التى لا ينتظر حاضروها (الوافدون) تسليــة فى الليل فقــرية رائدون لا يمكنها أن تعــرض سوى خدمــات حانة «رايان» والدجاج مع البطاطس فى مــحل «بيلى بيرنز» وعادة ما ينتظر الناس خــدمات ومنحًا أكثر لو حضــروا من مكان بعيد لحضور المؤتمرات. كان علىَّ أن أترك (أخلى) «دون هاوس» فى خلال شهــر على الأكثر، لكنه احــتال علىَّ مــرة أخرى، فأنت حــتى بمجرد الاشتباه بك بتهمة حيازة مخدرات فى تلك الأيام تُمنع تمامًا من دخول الولايات المتحدة الأمــريكية فكيف وأنا متهمة باقــتنائها. وهكذا حتى يوسع المسافة بأكبــر قدر ممكن ويفرق ما بين المسكينين «أندرو» و«جيسكا» من هناك وبــين أمــهم المجنونة هــا هنا رتب «جــاك هيكى» أن أُتهم بجنحة صغيرة اقتناء مخدرات. كانت تهــمة معقولة حتى ها هنا قياسًا لمــا كــان يمكن أن أتهم به وهو تجــارة المخدرات، كــانت بشكل هزلى تهمــة بسيطة والصــفقة كــانت قد أُبرمت لا تنس هذا، وهــكذا وحتى بتهــمة الاقتناء فــقط ضمن حرمانى من دخــول الولايات المتحدة كــما ضمن سابقًا حق حضانة أولادى».

وعم الصمت من جديد قطعه روبرت قائلاً:

- «ألم تكن حيلة خبيثة لعبها عليك»؟

- «نعم. نعم. فأنا أفترض أنه يفكر كالمتزمتين الذين قاموا بحرق المتهمين أيام محاكم التفتيش على ظن أن هذا عمل صائب متصورين أنهم بحرقهم يقتعلون الشر منهم».

- «هذا منتهى الظلم والقسوة حتى فى حكم الستينات».

- «من فضلك توقف على ذكر الستينات كما لو إنها العصر الحجرى».

ولا تنس أنك مولود فى الستينات».

ضحك «روبررت» مازحًا وقال:

- «ولكنى لا أذكر شيئًا».

- «حسنا برأيك هذا ظلم وقسوة وأما بالنسبة لجاك فيفترض أنه إجراء عملي ومحتم لابد منه، وأنه ينفذ ما يجب عمله، هذا كل ما يهمه من الأمر كان سيقول متفاخرًا انتهينا من المشكلة، وهذا ما فعله معى أنهى مشكلته ولكن هل صحيح أنك يا روبرت لم تكن تعلم بكل هذا؟ فالقرية بأثرها لم يكن يشغلها سوى الحديث بقصتي صباحًا وظهرًا ومساء ولابد أنك سمعت بعضا مما تراكم من هذه الأقاصيص».

- «كلا. أبدًا. أعلم أن أطفالك رحلوا بعيدًا مع والدهم وأظن أننى سألت حينها لماذا؟ ولم أتلق ردًا مفيدًا أبدًا».

- «هذا لأن أهلك أحسنوا تربيتك كما إن والديك على درجة عالية من الأخلاق لا يرضون أن يلوكوا سيرة الناس».

- «أظن أن أمي ستفرح لو سمعت برأيك هذا ولكن هذا ليس حالنا فقط، سألت سيليا مرة لمَ لم تحتفظى بأولادك معك وردت أنه حصل نزاع لا أمل منه منذ زمن بعيد عندما كان القضاة أسوأ مما هم عليه الآن هذا كل ما فى الأمر، ولم يدر أحد بأمر الـ. . . . . الدخان وغيره من الأشياء».

- «لا أعلم إن هذا سيرضيك أم يحبطك»، ردت «**جودى**» ضاحكة ولكنى أظن أن الناس تعتقد أن العلاج بالأعشاب مجرد خزعبلات وأنى أشبه ما أكون بالساحرات».

- «لا أعتقد هذا فالناس تظن أنه علاج مفيد ومريح ولابد علينا أن نسىء إلى صورتك لنجعلك تبدين بالشر الذى تتصورينه».

- «ظل المفتشون قليلوا الحظ، يفدون بدون طائل لسنين عديدة بحثًا ينقبون فى الحديقة عن أعشاب ممنوعة إلى أن رسمت لهم خريطة للحديقة فى نهاية الأمر تساعدهم فى تفتيشهم وبينت لهم أنهم على الرحب والسعة فليأتوا كلما لاح لهم، وأننى على أتم استعداد أن أفسر لهم كل ما يبدو غامضًا وبعدها بفترة ذهبت للعمل فى دبلن وهكذا وبشكل ما استبعدوا اسمى من قائمة تجار المخدرات الخطرين».

- «هل معنى ذلك أنهم برأوا ساحتك أخيرًا بعد مضى عشرين سنة».

- «لا أعلم أحيانًا أشاهد آثار أحذية ثقيلة حول حوض نباتات البابونج، يقظة أبدية».

- «هل تشعرين بالكراهية لجاك هيكى فهو سبب كل ما جرى لك»؟

- «كلا، سبق وقلت لك، لا أفكر به إطلاقًا، لربما وجدت صعوبة فى تصديق هذا خاصة عندما أفكر بالأولاد فهما كان الغرض والغاية، فهما الآن كالأغراب بالنسبة لى».

- «نعم»، وكان من الواضح أن «روبرت» وجد صعوبة فى إدراك الوضع.

- «هل تعلم يا «روبرت» هذا تمامًا ما يحدث مع أمك فهى وإن لم تظهر لك انفعالاتها فهى لاتكف عن التفكير بك، وعندما تكون بعيدًا عنها فى دبلن فهى تحس بك بطريقة يصعب شرحها».

- «أوه.. لا أظن ذلك».

- «ولكنى أعلم، سألتها مرة فقط لأتأكد أننى لست شاذة، وردت أن شعورها بالقلق نحوك هو نفسه عندما كنت تغيب عنها وأنت ولد فى المدرسة أو شاب بالجامعة أو مؤخرًا عندما عملت فى شركة العقار فى دبلن، فهى كثيرًا ما توقفت عن العمل فى يومها وتساءلت تُرى ماذا يفعل «روبرت» الآن»؟

وصرخ روبرت.

- «يا ملكوت السماء»!!

- «لربما أنها تفعل هذا لفترة قصيرة. تسرح بأفكارها نحوك وأنا لا أتوقع أنك تتوقف وتتساءل ولو لبرهة ترى ماذا تفعل أمى».

- «لا، طبعًا أنا أفكر بهما كثيرًا، وخصوصًا منذ أن تدهورت حالة أبى، بالطبع أفكر بهما» قال هذا كمن يدافع عن نفسه.

- «توقف عن الشعور بالذنب والضيق، كنت فقط أستخدمك كمثل، فلو إن «أندرو» و«جيسكا» عاشا معى حتى بلغا سن الرشد، فلابد وأنهما كان سيمضيان ويرحلان لحال سبيلهما ولا يفكران بى بعدها أبدًا، فهذه هى الحال التى تسير عليها الأمور».

- «من السهل الحوار معك أتمنى لو أستطيع التحدث مع أمى كما أفعل معك. طبعًا هى أكبر منك بكثير». . أضاف هذه الجملة بحذق».

«إنها فعلاً أكبر منى سنًا فهى تكاد تقارب أمى فى السن، ولكن وجهة النظر هى أنه من المستحيل أن تتحاور مع أمك، إنه قانون من قوانين الطبيعة».

ابتسمت «جودى» ومدَّت نظرها إلى ما وراء النافذة، وعندما ابتدأت هذه البلهاء «نانسى موريس» تتحدث ولو لمرة واحدة بشكل معقول عن الطريقة السليمة لاسترخاء عضلات الرقبة المشدودة شاركت

فى الحديث معـها، كانت تشعـر بالجزع من أن لدى الشاب «روبرت» تفهمًا عميقًا لمعنى الحياة وللنساء الخاطئات وقررت أن تتركه ليعود ثانية للتنعم (للتلذذ) بأناقة سـترته الإيطالية الغالية ولـيحلم ما طاب له من أحلام، فهى تشـعر بالراحة وبأنها على سجـيتها مع معشـر الشباب، وقد نصحها أحدهم بالعمل كمدرسة، ولكنها لم توافق فهذا يعنى أنها ستـضع نفسها فى مـواجهة مكاتب دراسـتهم وليس بجانبهم وقـريبة منهم، ولديها العديد من الأصدقاء الشباب أكثر بكثير ممن فى عمرها. مثلاً هناك «بارت كيندى» بإمكانها التحدث مع «بارت» منذ الصباح الباكر حتى المساء بدون ملل بينما لا يمكنها التحدث مع أبيه إلا لسؤاله عن الوقت، وأما «كيف كيندى» الذى يجلس فى المقعد الأمامى من الحافلة فـحكايته حكاية. ومن الصعب جـداً تبادل أى حديث مـعه. تبدو حـركاته واضطرابه كـمن عُين لمراقبة المداخل ليـعطى إنذاراً عند اقتراب المسؤول أو المدير.

ألقت «جودى» نظرة شاملة حول الحـافلة وركابها فهى تحب كلاً من «سيليـا» و «دى» وكذلك هذا الشاب الرائع الذى يـقـــود الحافلة «توم فيتزجـرالد» ولكن لا يمكنك أن تحب «نانسى موريس» وعلى أى حال، لا يمكن اعتبار «نانسى» من الشباب فهى بالرغم من صغر سنها فهى كانت وستظل امرأة عجوزاً. قدم لها الشباب فى راثدون كل عون فى زراعة نبـاتاتها وأعشـابها الطبية علـى رقعة الأرض الصغـيرة التى تركها لها «جاك هيكى» منذ عشرين سنة مضت. كان الشباب يركنون

إليها ويجدونها مختلفة عن غيـرها من الكبار، فهى لا تحاول محاكمتهم أبدًا، لم تطلب منهم أن يتزوجـوا أو أن يستقروا، أو أن يكونـوا أكثر توازنًا أو تدبيـرًا أو أن يقلوا من سكرهم وصـخبـهم، وهى وإن بدت لهم معتوهة وغير عاقلة إلا أنهم كانوا يهرعون لمد يد المساعدة لها فى العزق والقطف والتـجفيف والحزم، لم تشـعر قط بالوحدة فى بيـتها براثدون أو فى شقتهـا فى دبلن. ليس بعد مرور كل هذا الزمن كانت تحب صحـبتـها لذاتهـا، تأكل وجباتهـا بأوقات غـريبة، تسـتمع إلى الموسيقى مـتى خطر على بالها حتى ولو كـان فى منتصف الليل ولذا فعندما تكون فى الشقـة الصغيرة تضع السماعـات على أذنيها حتى لا تزعج أحدًا، ولابد وأنها تبدو كعجوز هاذية إن صدف وراءها أحد من سكـان الشـقق والـغـرف المفـروشـة، فـلا يمكن أن توقظ العـمـال والموظفين وتزعجهم بموسيقاها الصاخبة التى تتخلل جدران مساكنهم، ولكنها لا تشـعر بالحاجـة للسماعـات فى الكوخ الصغيـر المنعزل عن الناس والذى كان كل ما منَّ به عليها «**جاك هيكى**» من المنزل الكبير، لم يكن هناك جيـران بالقرب الكافى لينزعجوا ويبـدو أن الطيور تحب الاستماع للكونسرتات والسيمفونيات، كانوا يفدون ويقفون على سور الكوخ للاستماع.

عندما أنزلها «**توم**» من الحافلة لأول مرة قال لها إنه سينتظرها حتى تشعل النور قبل أن يـنطلق، وسرها اهتمامه. ووجـدت أن لديه حسًا طبيعيًا مرهفًا ليحرص على دخولها بأمان وهى صفة لاحظتها عند هذا

الجيل من الشباب، شباب هذه الأيام يمتازون بأنهم أكـثر طبيعية ولياقة وحشـمة وأدب من الشبـاب الجسـور المحشو بالكلمـات الطنانة على أيامها، تمامًا مثل الشاب والشابة كريس وكارين صاحبا المخزن الصحى الذى تعمل به، فـهمـا يهتمـان به كثيـراً ولا يهتـمان أن يصبـحا من الأغنياء، أو أن يبحثا عن مجال آخر، أو أن يروجا لبضاعتهم ليتقدموا بخطى حثيثـة ولا دراية لهما برطانة رجال الأعمال المتـوسطى العمر، ولأنهما كانا مـثاليين وبسطاء فهما فى طريقـهما لإغـــلاق المخـــزن. كان قلبها مـثقلاً بالهم من شدة التفكير بهمـا، وانتقلت بأفكارها نحو ابنتها «جيـسكا» لربما إنها الآن فى مكان مـا فى كاليفورنيـا تحاول أن تفتح مع زوجها - لو إن لها زوجًا - مخـزنًا لبيع الأعشاب الصحية، ولنفرض أنهـما يمران بأزمة مالية. ألن يـكون شيئًا عظيمًـا لو استطاع شخص مسن أن يساعدهما على الخروج من الأزمة؟.

لم تكن «جودى» تمتلك سوى الكوخ الذى تسكنه، وحتى لو إنها فكرت فى بيعه لما تسنى لها ذلك. وهى تستأجـر الشقة الصغيرة التى تقيم بهـا فى دبلن، وليس لديها أى مدخـرات،استطاعت فى الماضى أن تدخر مبلغًا يكفيها للقيام برحلة إلى أمريكا، واحتفظت بدفتر توفير البريد مدموغًا ومعدًا عدة مرات إلى أن أصـبح غير مقرؤ، كان بحوزتها دائمًا فى حقيبة يدها تبرزه وتقدمه كما لو كان تذكرة السفر إلى أمريكا، وهى تحب جدًا أن تساهم فى تحقيق حلم «كريس» و«كارين» لإنقاذ المخزن لأنه حلمها أيضًا، يمكنهما أن يعيناها كمديرة أو شيئًا من هذا القبيل.

لو إنها تمـتلك ولو مبلغًـا صغيـرًا أو لو كان بإمكـانهـا أن تمـدهم بإعانة مـالية منتظمـة بدلاً من أن تأخذ أجـرة من دخلهم الذى بالكاد يكفيهم.

طلبت من «روبرت» أن لا يأتى لمساعدتها فى الحديقة. . لقد عاد إلى البيت ليكون مع أهله، وكـان من الأفضل له أن يبقى فى دبلن إن لم يكن ينوى البقاء بجوار أبيه المشرف على الموت، ومساندة أمه خلال إجازة نهاية الأسبوع، كانت صارمـة ومتشددة. حتى عندما تحجج بأنه سيعمل عندها حفاظًا على لياقتـه البدنية وليمرن عضلاته، أصرت بأن أمامه وقتًا طويلاً فى المستقبل، أما الآن فلن تسمح له أن يضيع الأشهر أو الأسابيع الأخـيرة المتبـقية من حـياة أبيه يحـفر ويعزق فى حـديقة الأغراب وأسعدها رده.

- «أنت لست غريبة يا «جودى»، أنت صديقة ولـكنها أصرت على الرفض».

كان يوم سبت مـشرق من أيام سبتـمبر تبدو مـعها راثدون داوية بالإثارة ومفعمة بالحركة والنشاط. يحدث هذا أحيانا فى بعض نهايات العطل الأسبوعـية، بينما فى عطل أخرى يعم الركـود ولا تهتز البلدة حتى ولو داهم البلدة إعصار مثير، شاهدت «جودى» «نانسى موريس» وهى تطوف بالمكان جيئة وذهابًا كما لو إنها تبحث عن كنز مفقود.

وها هو ذا الشاب «كيف كيندى» يخرج من دكان أبيه بقسمات وجه يبدو واضحًا منها أن عصابات المافيا أبرمت هذا الصباح عقدًا للقضاء عليه. فى كل مرة تخرج إلى الطريق يتصادف وتلتقى بمن يقود متجهًا نحو المدينة ويكاد يحصدك فى طريقه. فها هى السيدة «كازى» بسيارتها المفرقعة تصحبها أم «نانسى موريس».

يحوم «ميكى بورنز» حول المكان بوجه مركز مهموم على غير العادة.. إما أنه يقوم بتوصيل الرسائل أو أنه سيصحب أولاد أخيه «بيلى» لنزهة لقطف التوت العليق، يبدو عليه انشغال البال لدرجة لم تلحظها عليه مسبقًا، رأت «سيليا» أيضًا خلال النهار تقود السيارة وبعينيها نظرة شخص فى دوامة تجلس إلى جوارها أمها والسيارة مليئة بالأمتعة المغطاة ببساط.

جاء إلى «جودى» «توم فيتزجرالد» وأمضى ساعتين يساعدها فى الحديقة وقال لها إنه حتى الآن لم يسمع أى كلمة نابية من أى عضو من أعضاء عائلته الكبيرة أو من زوجاتهم، وهى ظاهرة يكاد لا يصدقها ولذا فلن يغامر بالبقاء معها بقية المدة. رأت أيضًا «دي يورك» تصطحب أمها وتقود السيارة باتجاه المدينة، يبدو وجهها شاحبًا وحزينا، وأمها لا تكف عن الحديث ولا يبدو أنها تلحظ أى شحوب بابنتها.

من قال إن الريف مكان هادىء ستدعو «كارين» و«كريس» ليمضيا معها عطلة ما، فى عطلة البنوك مثلاً، هذا إن كانا مازالا يعملان.

جاء «ريد كيندى» ليساعد أخاه «بارت» وتساءل وهو يشير نحو العلب الصغيرة المليئة بالبذور:

- «هل لهذه قيمة كبيرة فى دبلن؟»

ردت جودى معلقة

- «ليس كثيرًا لأن طريقة تعاملنا خاطئة، فلو كان البيع عن طريق امرأة تقف على قارعة الطريق، نعم لربما استطاعت أن تجنى ما يقيم بأودها ويكفيها لمعيشتها، أما إذا أردنا أن نتوسع فى التجارة فيجب أن يكون هناك مشاتل منظمة ضخمة وسلسلة من المحلات التجارية ومنفذ البيع وما يتبع ذلك من ترتيبات فنحن مازلنا نصارع فى أول الطريق.

وهكذا وضح لها وتبين لها عدم جدوى مشروعها وضياع ليس مجهودها فقط، بل تعب ومجهود كل هؤلاء الشباب المؤدبين والمحتشمين الذين يمدون لها يد المساعدة بدون انتظار لفائدة مادية. من أمثال «بارت» و «ريد» و «ميكى» وأولاد إخوة «توم فيتزجرالد» التلامذة بعد عودتهم من المدرسة هل كان من العدل أن تطلب مساعدة هؤلاء جميعًا والمجازفة فى هذا العمل الملعون؟ وحتى ولو بدوا متحمسين ألم يكن خطأ أن تستغل اندفاعهم وطيبتهم لهذه الدرجة؟ وفكرت أيضًا «بكريس» و «كارين» القلقين فى دبلن على نفسهما وعليها فهمًا يشعران أنهما مدينان لها بمكان تقيم به وبما يسد رمقها فقد كانت أكثر من سند صلب وعون كبير فى إنشاء المخزن، كم تمنت

لو تصلها رسـالة من مكتب محـاماة أمريكى تنص أن المرحـوم «جاك جونافان هيكـى» «من سان فرانسيسكو - كـاليفورنيا» ترك لهـا ميراثا بوصية وأن ولديها سيطيران من أمريكا ليقـدماها لهـا، كانت تنتابها دائمًا هواجس وأحلام عن وصول ولديها، ولكن هذه المرة الأولى التى تفكر فيـها بالمـال، وسـترضى بالإرث من جاك حـتى لو لم يأت به ولداها، سترضى بأى شيء لتـسـاعد وتنقـذ «كريس» و «كارين» من ضائقتهما المـالية.

سرعان ما طلبت من الشباب جميعًا التوقف عن العمل. من أكبر عوامل نجاح «جودى» وحب مساعديهـا لها أنها تطلب منهم التوقف قبل أن يصـيبـهم الإعيـاء، كانت هناك كؤوس كـبيـرة من مشـروبها المستخرج من زهرة السيسبان والـذى يقال إنه أفضل وأكثر إنعاشًا وقوة من أى مشروب كحولى يقدم فى حانة رايان، جلسوا على حافة السور تحت الشمس المشرقة يرتشفون المشروب مضى بعدها «آل كيندى» نحو بيتهما.

كان الكوخ مظلمًـا فى الداخل، شعرت «جودى» بالراحـة، بعد أن غسلت أرضية البيت رقدت على المقـعد الوثير قرب النافذة واضعة يديها خلف رأسها، قال روبرت وهو يطل من الباب:

- «تبدين أشبه ما تكونى بقطة»

باب البيت كان مفتوحًا دائمًا فى الصيف وغير مقفل فى الشتاء.

ردت جودى :

- «هذا تشبيه جيد فالقطط تحب الاسترخاء وتنعم به».

أراد أن يعرف فسألها :

- «وهل تشعرين بالاسترخاء؟»

- «ليس فى رأسى فعقلى قلق على أشياء غير جوهرية مثل المال، لم ينتبنى القلق على تحصيل المال فى الماضى أبدًا».

«أظن كان من السهل اقتناؤه فى الماضى».

«نعم، لقد أخبرتك عن الطريقة التى كنت أكسب بها أموالى فى الماضى. ولكن منذ تلك الأيام لم أعد بحاجة للكثير منه».

كل ما أريده الآن أن يبقى المخزن مفتوحًا، وهذا سبب قلقى.

جلس «روبرت» على الكرسى الهزاز فسمع صريرًا، فنهض فى الحال وبحث عن الزيت شكرته ولكنها ذكرته أن من الأجدر به أن يكون جالسًا الآن على كرسى أمه الهزاز..

ورد «روبرت» برجاء

- «لا أجد ما أتحدث به معها، عليَّ الهروب ولو إلى حين».

- «ولكن فقط لفترة قصيرة».

بدا وجه روبرت غارقًا فى الحزن وقال:

- «يبذل والدى جـهدًا ليحادثنى فـيتساءل مثـلاً هل هناك بيوت عديدة معروضة للبيع فى السوق؟»

- «أليست تلك بادرة طيبة؟ هذا يعنى أنه مازال مـتنبهًا وحريصًا على مصلحتك».

- «وأمى تقول إنه يسعد فعلاً بوجودى فى البيت. ولكن هذا لا يعنى شيئًا لا شىء إطلاقًا».

فقدت «**جودى**» تعاطفها معه. نهضت من جلستها وتثاءبت قائلة:

- «كل هذا لأنك تبعد نفـسك عنهما ولا تحاول التقـرب منهما، كما لو أن أمرهما لا يعنيك، استمع إلىّ يا «**روبرت جرين**» لن أرضى أن تعطينى حـتى ولا ثانية زيادة من الوقت الذى يـجب أن تخصـصه بالكامل لأبيـك، سـأذهب لأتمشى فى غـابة «**جـاك هيكى**» بدا على روبرت أنه تأذى من تأنيبها.

- «أرجـوك يا ولدى، فكر فى كل هذه السنوات القـادمـة وأنت تتحسـر لأنك لم تجلس وتتحدث عن أى من الأمور الـقديمة، كذلك أرجوك أبذل مـجهـودًا من أجل أمك، سألتقـى بك فى حانة «**رايان**» وباستطاعتك أن تشترى لى كأسًا من هذا المشروب الذى يسمونه النبيذ المثلج».

أشرق وجهه وقال:

- «ستأتين فعلاً؟ هذا شىء جميل».

- «أثناء نوم أبيك، عندما يستغنى عن وجودك معه».

- «ولكنى لست بالولد العاق لهذه الدرجة».

- «كلا، ولكنه كان قد قارب على الخمسين من العمر عندما دخلت حياته، وكان عليه أن يسهر الليل يخفف عنك وأنت تصرخ وتبكى من التسنين كما إنك لم ترض بالعمل معه فى مكتب المحاماة وعجز عن وضع لافتة - مكتب جرين وولده - واضطر أن يكتب بدلاً منها- جرين ومكماهون - اذهب إليه واجلس بقربه وتحدث عن أى شىء، ليس مهما لو بدا لك الحوار رسميًا ولا معنى له.. يكفى أنك هناك وأنك تحاول.. هذا هو المطلوب والمنتظر منك».

بدا متحمسًا وملهوفًا وتساءل :

- «ومتى سنذهب إلى حانة «رايان؟»

وصرخت به:

- «ألن تكف عن هذا العبث؟ فأنا لا أحدد موعداً معك، حانة «رايان» ليست قاعة استقبال، إنها الحانة الوحيدة فى راثدون، سأمضى إليها عندما أشعر بالرغبة، وأنت ستأتى عندما تتأكد أن أباك استغرق تمامًا فى نوم هادىء، وأمضيت بصحبة أمك بعدها بعض الوقت..»

قال بعد أن يأس من تحديد الوقت:

- «فلنقل حوالى الساعة التاسعة».

ردت مستسلمة

- «حوالى الساعة التاسعة».

لبست حذاءها الطويل، مضى زمن طويل منذ أن تمشت لآخر مرة في الغابة، فالراهبات الثلاث اللواتى يشرفن على إدارة وتنظيم قاعة الاجتماعات الدينية والمؤتمرات الأسقفية في البيت الكبير كن بالكاد يعلمن أن السيدة هيكى التى تقيم فى الكوخ الصغير الملحق بالقصر كانت فى يوم ما سيدة هذا البيت، كن دائمًا فى غاية الأدب معها يشجعنها على التجوال حول البيت لو شعرت بالرغبة.

وعلى الأرجح كن يشعرن بالراحة أن هذه المرأة المتوحشة الغريبة الأطوار المتسربلة بأوشحة وثياب غجرية النسق لا تأخذ دعوتهن محمل الجد. فهى لم تحاول قط الاقتراب من المنزل الكبير.

ولكنها أخبرتهن أنه شعور جميل أنهن يسمحن لها بالتجول بحرية بين الأشجار القديمة وقطف ما بدا لها من الزهور البرية.

وفى بعض الأحيان كانت تترك على عتبة الباب باقة كبيرة من الزهور البرية الزرقاء الملفوفة بالأوراق الندية.

ولذا فكن يعتبرن أن العلاقة بينهن مثالية.

ولكنهـا اليـوم تمضى وهدف يجـول فى رأسهـا، تتـبع خطًا من الشتـلات اليافعات مـازالت هناك تقبع بين الأشجـار المغطاة باللبلاب البرى الـهائج والمتـوحش ولكنها بمأمن من البـاحثين والمنقـبين، هناك خلف أغصـان الأشجار القديمة المتـدلية والتى يبدو للناظر كـما لو إنه لاشىء وراءها، وسَّـعت لنفـسـهـا مكانًا ووقـفت تطل على حـوش المـاريجوانا الصغـير، ورأت النباتات التى قامت بزراعتهـا منذ عشرين سنة مضت وقد يبس معظمها، وحمل بعضها بذوراً ولكن بقى البعض منها طريًا صالحًا، محتـاجًا للقليل من العناية، لن يتطلب الأمر سوى بعض الوقت وستجد منفذا مناسبًـا لبضاعتها فى دبلن ولكن يجب أن تتم الصفقة فى مكان بعيد عن المخزن، وأن لا يعرف «كريس وكارين» بالأمر أبدًا، كان عزمها وتصميمها على إخفاء الأمر عنهما كقوة وعزم «جاك» على إخفاء ماضيها عن ولديها «أندرو» و «جيسكا».

شعرت من جديد بـالتسرع فى نبضات قلبها. مـن المثير أن تعود إلى العمل من جديد بعد مضى كل هذه السنوات.

(٥) كيف KEV

ظن «كيف» أن لا مفر له أبدًا من الرجل «البجع»، كان البجع يمر بهذه الحالة النادرة من المزاج الطيب التى كانت تنتابه فى الفترة الأخيرة، فيبدأ بالخوض بأحاديث لا تنتهى عن نماذج بشرية لا يعرفها غيره، ويأتى على ذكر الآلاف من البشر الذين لا يتكرر ذكرهم مرتين، وكان «كيف» ينصت بإمعان خشية أن تختلط الأحداث والشخصيات بذهنه ويتعذر عليه بعدها استيعاب وإدراك أحداث القصة. فبكل بساطة يعمد البجع على توجيه سؤال فجائى ومحرج ليتأكد من متابعتك ومشاركتك اللعبة باهتمام.

كان مصدر رعب «كيف» الحقيقى الآخرين، وليس البجع الذى كان يسبب له شعورًا بالخوف فقط، ومع هذا فلم يكن ليجسر أن يتخلف عن ركوب الحافلة إلى «راندون» حتى لا يخاطر باستثارة شك هذا الرجل الذى لقب بالبجع بسبب أنفه الطويل المعقوف. لا مجال للتورط مع البجع، صحيح أنه لا يعرف الكثير عنه، ولكن ما يعلمه يكفى لتجنبه. ولحسن الطالع كان البجع مشغولاً هذه الأيام بغيره وإلا لما استطاع كيف أن يفلت منه، ويبرز فى المنعطف باتجاه الحافلة. كانت الحافلة كاملة العدد تقريبًا وإن لم يكن الأخير، وها هو ذا

«ميكى بيرنز» يفرك يديه (كفيه) متحفزاً، تمنى «كيف» لو كف «ميكى» عنه حيله وألغازه وهزاره المتكرر، والذى يبدو كتمثيليات التلفاز الهزلية سمجة وسيئة، وكثيراً ما أطلق «كيف» ضحكة مجاملة بلهاء مشاركة فجاءت فى غير موضعها مما يصيبه باليأس. كان يسره أن يجلس إلى جانب «سيليا» التى توجه له خمس جمل مجاملة، تتركه بعدها لحال سبيله يشرد مع أفكاره وهواجسه. وتتجه هى بأنظارها عبر النافذة، أو يحلو له الجلوس بجانب «روبرت» هذا الشاب الهادىء الذى لا يحشر أنفه بأخبار الغير. يستغرب أخواه «بارت» و «ريد» لعدم توثق معرفته بالسيدة «هيكى»، يبدو أنهما مفتونان بشخصيتها لدرجة أن الأب كان دائم التذمر لاندفاعهما فى مساعدتها قائلاً إنهما يمضيان يومهما فى حديقتها يعزقان وينبشان الأرض ويساعدان هذه الساحرة فى تخمير أعشابها وزراعة نباتات الخزامى (لافندر) وزهرة اللاتنسنى بدلاً من عزق أرضهما لاستخراج محصول البطاطس كما يفعل الرجال.

ويرى «كيف» أن السيدة «هيكى» إنسانه لطيفة جداً ولكن نظرتها المتغلغلة إلى داخل نفسه لكشف سره تبلبله وتبعث الحيرة فى نفسه، وهى لا ترضى بالحوارات المقتضبة الملغمة، وهو أيضاً لا يحب هذا، ولكنه لا يريد أيضاً لهذا الوجه المسمر من لفحة الشمس بعينيه النفاذتين كأشعة إكس أن تخترق حجبه، فقد كان ينتابه الشعور دائماً أن باستطاعتها أن ترى أكثر مما يجب.

يعمل «كيف» فى الأمن، لم يكن من رجال الأمن الحقيقيين بخوذاتهم ولباسهم وسلاحهم وصارات إنذارهم غير اليدوية، بل هو أقرب بعمله بحارس أو بواب للعمارة، ولكن يسمونهم رجال أمن. فإن اتصل أحد فى الداخل ليسأل عن وصول رسالة، أو جاء زائر من الخارج، فما عليه إلا أن يرد على المكالمة قائلاً «ألو. . . الأمن». هاتفه والده مرة طالبًا منه شراء صناديق بطاطس (تشيبس) ظهر إعلانها فى التلفاز وزاد الطلب عليها بشكل جنونى فى المخزن، سر الوالد لدى سماعه نبرة «كيف» يعرف نفسه - الأمن - لدرجة أنه هدده أنه سيطلبه يوميًا للاستماع إليه ويترنم بطريقته فى نطقها. ورد عليه «كيف» قلقًا بأن الإدارة تمنع المكالمات الشخصية إلا للضرورة القصوى، لم يكن هناك داعٍ لقلقه فلن يضيع أبوه أمواله القيمة لسماع الدعابة ذاتها مرة بعد أخرى. لم يعرف أخواه «بارت» و «ريد» سببًا لعودته الأسبوعية لراثدون، وهذا لا يعنى أنهما لا يرغبان فى رؤيته.

وجوده وعدمه سيَّان لهما، ولكن ما يثير حيرتهما إصراره على العودة الأسبوعية، فهو لا يشارك فى حفلات الرقص مساء السبت ولا ينضم لحلقة من الرفاق يشاركهم الشرب فى حانة رايان، لربما دخل الحانة سريعًا وتناول كأسًا أو كأسين، وقلما تبادل الأخوة الثلاثة أى حديث مع والدهم الذى يكتفى بصحبة سيجارته المدفوسة دائمًا فى فمه، ومذياعه الذى يصدح منذ الصباح حتى موعد نومه.

كان «كيف» يعلم أنه يبدو كلغز لأخويه وإلى «توم فيتـزجرالد» الذى أوضح منذ الرحلة الأولى أنه لن يحقق مكسبًا بسيطًا إلا باكتمال عدد ركاب الحافلة، عليهم بالمواظـبة فى الدفع لمدة عشرة أسابيع ومن يتخـلف عليه أن يبـحث عن راكب يحل محله ويدفع بدلاً منـه حتى ولو نزل فى المدينة الكبيرة التى تسبق راثدون بـ ١٧ ميلاً، وإن تخلف فعليه دفع الأجرة كاملة، والمكسب مـعهم فهم يدفعون نصف ثمن أى مواصلة أخرى إضافة إلى أن الحافلة تنزلك على باب منزلك.

نزل «كيف» من الحافلة قـبل العاشرة، وتمنى ليلة طيـبة «النانسى موريس» التى تقـيم على الجانب المقابل من شارعـه. وصل سالمًا إلى «راثدون» استنشق نسمة من الهواء النقى، وزفرها بارتياح، كان «توم» السائق يرقبه دومًا مندهشًا.

هز والده رأسـه مـرحبًـا به وهو يسـتـمع إلى المذياع ومـعلنا أن الأخبـار على وشك أن تبدأ، فى بعض الأحـيان كان الـوالد يقدم له كوزًا من الشاى وقطعة من الحلوى الموجودة فى المخزن.

لم يعرف كيف وأخوته أى صنف آخر من الحلوى، فأمهم ماتت منذ زمن بعيد، وحتى بارت الذى يمكن أن يتـذكرها لم يعرفها بكامل صحتـها أو وهى قادرة على صنع الخبز والفطائر، وعند انتـهاء النشرة لربما سأله الوالد عن أحوال العمل. وفيما لو إن الرعاع هاجموا المبنى بقـرص حـديدية، فـيـرى الأب أن أعمـال العنف والـسطو فى دبلن أصبحت أخطر وأكثر مما هى عليه فى شيكاجو، وأكد أنه لا يفكر أبدًا بوضع قدمه فى هذه المديـنة الخطيرة إلا وهو محاط بحراسـة مسلحة.

حاول «كيف» فى بادىء الأمر أن يناقش أباه ويستبعد حدوث أعمال عنف وبعدها لم يعد يهتم، ولكنه ابتدأ مؤخرًا يقتنع بوجهة نظر والده.

فى العمل، لا يعلم أحد أين يذهب «كيف» فى عطلات الأسبوع بدأ لهم أشبه ما يكون بناسك علمانى أو شىء من هذا القبيل، يتغيب للقيام بأعمال خيرية، ويعتبر جزءً من ثوابها عدم الإفصاح عنها. وكان زميله العجوز السيد «دالى» الذى يعتبره «كيف» من أطيب خلق الله يهز رأسه المغطى بطاقية العمل معجبًا ومقدرًا لأخلاق كيف ويقول السيد «دالى» لصحبه : «لا أعلم لماذا يثيرون حملة على الجيل الجديد خذوا عندكم مثلاً هذا الشاب كيف الذى يعمل معنا على البوابة الرئيسة، يمضى عطلته واهبًا نفسه لتقديم المعونات والحسنات، ويصلى للقديسين المباركين، ويعلم الأميين القراءة والكتابة. ينطلق من هنا كانطلاق السهم من القوس فى تمام السادسة مساء، ولا نسمع عنه شيئًا حتى صباح الاثنين».

لم يكن «كيف» من أخبر السيد «دالى» أو غيره بهذه التلفيقة ولكنه سمعها كغيره،ووجدها مقبولة من الجميع فلم ينكرها وتركها تنساب دون اعتراض. وعلى كل الأحوال لو جاء أحدهم ليحشر أنفه وينقب فمن الأفضل أن يظن السيد دالى والآخرون أنه يمضى إجازته مع طائفة القديسة «سيمون» أو كتيبة «مريم» بدلاً من أن يعرفوا حقيقة أمره وهرعه بانتظام ودقة كالساعة هاربًا بأقصى سرعة من دبلن ومخاطرها فى مساء كل يوم جمعة.

فلنفترض أن «**داف**» أو «**المتعكز**» أو «**البجع**» جاءوا مرة وقد أزعجهم أمر ما للبحث عنه، لن يجدوا إجابة وافية. لا يعلم أحد أين يذهب أو كيف يقضى عطلات نهاية الأسبوع، هذا الحرص على السرية لازمه منذ أن كان طفلاً صغيراً، فهو يذكر أن لا مانع عند أخيه **بارت** فى الحديث مع أى وافد غريب يأتى للشراء من مخزنهم. يحدثهم بمرض أمه ووفاتها بعد أن أمضت فى المستشفى شهرين وأسبوعًا، لا يمكن أن يعطى «**كيف**» مثل هذه المعلومة لأى سيدة جاءت للمخزن لشراء لوح من الشوكولاتة والجيلاتى لأولادها مهما بدت ظريفة ومهما أبدت إعجابها بالإخوة الثلاثة الذين يقومون بالخدمة فى غياب الأب المشغول فى الفناء الخلفى للمنزل. ما كان **كيف** ليخبرها بشىء وكان سيضع يده على فمه، وهى طريقة ناجحة لمنع أى محادثة وتسرب أى خبر.

ولكن «**بارت**» و «**ريد**» يتحدثان بأى شىء مع أى إنسان ومازال «**كيف**» يذكر كيف فضحه «**بارت**» عندما كان فى السابعة عشرة من عمره، حاول «**كيف**» وقتها إقناع «**ديردر موريس**»، والتى هى أظرف بكثير من أختها «**نانسى موريس**» للذهاب معه إلى الحقول، وأقسم حينها أنه كان ينوى فقط أن يريها عش العصافير الصغيرة، فما كان من «**ديردر**» إلاَّ أن دفعته برأسها وقذفت به فسقط فى الطين ومضت ضاحكة نحو بيتها وهى تقول:

«عش العصافير الصغيرة، أهذه هى الطريقة الجديدة للمعاكسة هذه الأيام؟» وقد صُدِمَ «كيف» معترفًا بانكشاف أمره وبما هو أقبح بهزيمته. ولكن بالنسبة «للبارت» لم يكن سوى شغب وتصرف طفولى.

ومضى بارت وديردر حتى بعد عودتها من أمريكا متزوجة ومعها طفلها «شان» يستعيدان الحادثة ويتبادلان الضحك.

وأما أخوه «ريد» فهو أيضًا شيطان فى الرقص منفتح ومنطلق مثل بارت ومستعد أن يخبر نصف العالم عن أعمالهم، وكيف كان عليهم أن يأخذوا التوكيل (المقاولة) لرصف شوارع القرية. ولكن والدهم لم يسرع فى أخذ المبادرة، وأخذها بدلاً منه «بيلى بيرنز».

وأما «كيف» الذى عُرف عنه التكتم والحرص فقد كان لديه الآن سر حقيقى يخيفه ويرعبه.

وصلت «سيليا» بعده واكتمل العدد. أُقفلت الأبواب، وانطلقت الحافلة، وعند منعطف الشارع ومن خلال باب الحانة المفتوح استطاع رؤية الرجل «البجع» يمسك كأسًا بيد وصحيفة باليد الأخرى. صحيفة ملفوفة يصر عليها تبين وجهة نظره، يؤكد بها أسلوبه.

لسوء الحظ بدأ «ميكى» فى قمة تألقه هذا المساء جاهزًا بعدته من عيدان وعلب الكبريت والكؤوس الملفوفة ليمارس ألاعيبه وحيله فى ركن منعزل من حانة رايان، ألم يلاحظ «ميك» المسكين أن هذه الحيل والخدع لا يمارسها سوى السكارى والشاعرين بالوحدة؟ ولا يقدم

عليـها العقـلاء من الناس إلاّ إذا كانوا بين مـجمـوعة من الأصـدقاء وعندها فلن يكونـوا بحاجـة إليـهـا، كان يشـرح كـيف يوازن علب الكبريت ليكسب الرهان. نظر «كيف» من خلال النافذة وشاهد المناطق السكنية خارج دبلن تتلاشى. قال له السيد «دالى»، إن الوقت قد حان ليجد لنفسـه شابة يرتبط بها، يوفران نقودهما ليـتعاونا فى شراء منزل يضمهما وبعدها لن يراه أحـد أبدًا. أمثال السيد «دالى» و «ميكى» من الناس الطيبين لا يعلـمون شيئًـا عن الجانب السيئ للحـياة. وها هوذا «ميكى» يعمل جهده ليعلمه كيف يكسب رهانًا من شخص بعد خداعه بعلبة كـبريت وقطعتـى عملة من فئـة القرش. كان كـيف ينظر شاردًا فبـادره ميكى «أراهن أن «بارت» و «ريد» سيعـجبان بمثل هذه اللعـبة ويتقنانها، يعلم كيف أن أخويه سيحبانها فعلاً، لديهما الوقت الكافى وراحة البال ليستمتعا بها.

لم يخبر «كيف» «ميكى» أبدًا أنه يعـمل حارسًا على بوابة عمارة مثله، صحـيح أنه يُدعى حارس أمن ولكنه فى الحقيقة المجـال نفسه. لم يخـبر أحـدًا من ركاب الحـافلة سوى أنه يعـمل فى المبنى الكبـير الجديد، لم يحـدثهم عن طبيعة عـمله، فهناك يمكنك العمل بأعـمال شتى، ففيه يعمل موظفون مدنيون فى وكالة سياحية وطيران. كما إن هناك شركات صغيرة يعمل بها شخصان فقط، وفى البهو لوحة طولها ميل بأسماء الهيئات والمنظمات التى تستأجر مكاتب فى المبنى. كل ما يقوله إنه يعمـل فى هذا الصرح وعندما يُسأل يتهـرب بجواب ملغم.

وفى صباح أحد الأيام كان يقف وهو يلبس سترة رجال الأمن وشاهد «دي يورك» قادمة. كانت تدخل ومـعها رزمة من الأوراق إلى مكتب مـحـامٍ فى الطابق الخـامس اتصل السـيد «دالى» بـالمكتب وأعلن عن وصولها، بينما اختبأ «كيف» مدعيًا انشغاله بشيء ما وهكذا لم تلحظه دي ولم يلحظ دالي ارتبـاكه. تسـاءل بعدها لِمَ شـعر بهـذا الخوف، فليس مهـمًا أن تعلم «دي» أنه يعمـل فى الأمن ويقوم على حـراسة المبنى الجديد. فـهى قطعًا لا تظن وهى تمضى نحو مـخزن « كيندى» لشراء سجائرهـا فى «راثدون» أن أخاهم الصغير يعمل كـمدير لشركة كبـرى فى دبلن فهـو حتى لا يريدها أن تعلم عنـه أى شيء، ويهرب ويختـتـفـى من لقـاء أى إنسـان لأنه يرى فـى ذلك زيادة فى الأمـان والكتمـان، مثل تصميـمه على عدم السيـر على أى شرخ أو شق فى الشارع. ليس هناك سبب منطقى لكل هذا الحرص، ولكنه يبدو له أنه مجرد تصرف سليم مع إن هذا الحرص على السرية هو الذى قاده لهذا الوضع الذى هو عليـه الآن. ولو إن طباعه كـانت مختلـفة لما وصل لمثل هذه الفوضى التى يعيشها الآن.

بدأ كل هذا فى يوم عيد ميلاده الواحد والعشرين، كان يوم عمل عادى بعث له أبوه مبلغ عشر جنيـهات نقدية فى مظروف مرسوم عليه قطة وردية اللون، وأبلغـه أخـواه «برت» و «ريد» أنهمـا سـيدعـوانه لمشروب عند عـودته إلى راثدون فى مساء يوم الجـمعة. لم يدر بعـيد ميلاده أحد آخر، فهو لم يخبـر السيد «دالى» حتى لا يحرجه ويجعله

يفكر بشراء كعكة احتـفالاً بالمناسبة. كذلك لم يخبـر أحدًا من جيرانه فى الغرفة التى يـستأجرها للنوم فى دبلن. فهم بطـبيعتهم مـتحفظون ولربما لو سمعوه يذكر بلوغه عامه الـواحد والعشرين سيشعرون بأنهم ملزمون أن يقـدموا له شـيئًا، كـذلك لم يخبر أحـدًا فى المطعم الذى يتناول به طعامه، فلا وقت للعاملين هناك للاحتفال بعيد ميلاده، إذن لم يدر أحد فى دبلن أن «**كيف**» أصغر أولاد السيـد كيندى، صاحب المتجر وزوج المرحومـة السيدة كيندى «**روز كيندى**» فى «**راثدون**» قد بلغ اليوم الواحد والعـشرين من عمره. فكر كثيـرًا وطويلاً فى صباح ذاك اليوم بهذا الحـدث الذى بدا بالغ الأهمية بالنسبة إليه. فـغيره من الشباب يستمع الآن لتـسجيلات فى الراديو يقدمها له احتـفالاً صحبه وذووه. والبعض الآخر يستلم العديد من بطاقات التهنئة عند احتفالهم بهذه المناسبة السعيدة.

فمثلاً احتفل أهل «دى يورك» منذ شهـرين فقط بإقامة حفل كبير فى الفندق الفخم فى راثدون احتفالاً ببلوغهـا عامها الواحد والعشرين دعت إليه «بارت» و «ريد». وقال «بارت» حـينئذ إنه لا يملك سـترة القرود هذه، ولكن الشيطان الراقص «ريد» استأجر واحدة وأمضى ليلة صاخبة، حـتى أخويه نالا نوعًا من الاحتفاليـة عندما بلغا هذه السن. أقام بارت وأصدقاؤه حفل شواء على ضفاف النهر وكان حفلاً رائعًا تخلله الغناء واللعب. وبعدها عند بلوغ «ريد» عامه الواحد والعشرين كان هناك جمع من الأصـدقاء حضروا إلى البـيت وتناولوا المشروبات والفطائر،

ثم راكبوا حـافلة كبيرة ومضـوا نحو المرقص، ولكن ها هو كيف لم يحتفل به أحد.

هذا ما جـال فى خاطره حينئـذ، ولذا استأذن من السـيد «دالى» ليتغيب عن العمل لمـدة نصف الساعة لأنه يشعر ببعض التعب. وأبدى السيد «دالى» اهتمامًا كبيرًا به مما جـعله يشعر فورًا بالخجل من نفسه، كل هذا قبل أن يواظب على الهروب كل يوم جمـعة، وقبل أن يضمه السيد «دالى» إلى قائمة القـديسين غير المعتـرف بهم بعد، جلس فى الساحـة الخلفية للمبنى حـيث تقف الشاحنات وعربات نقل البـضائع والرسائل والأوراق الرسمـية. أخرج سيجارة علها تحـسن من شعوره بالإحبـاط وترفع من معنوياته. كـان هناك أربع رجال يقومـون بمهارة فائقة بنقـل البضائع إلى إحدى الشاحنات. وكـان هناك رجل خامس يقف مستندًا على عكازه ينظر حوله متكاسلاً.

كـانوا ينقلون للحـافلة أدوات صـحـيـة من أحواض ومـغـاسل وسخـانات مياه وغيـرها. ملأوا الشاحنة بـدون استعجـال أو فوضى ولكن بسرعة متـحكـم بها. سحب «كيــف» نفسًا من سيجارته، لابد وأنهم يقـومون بتركـيب أدوات صحـية جديدة فى مـكان ما فى المبنى. ويبدو أنها عمليـة مقاولات كبيرة، ولكن سرعـان ما استرعى انتباهه عدم مرورهم من خلال البوابة الـرئيسة كالعادة وإظهار هويتهم لرجال الأمن، الذى هو منهم. كان عليهم قبل أن يدوروا حول المبنى ويمضوا نحو مكان التخزين أن يبرزوا أوراقهم كما تنص اللائحة لحفظ الأمـن.

رمشت عـيناه ببارقة اهتمـام وكانت كافيـة لجعل الرجل المتكـئ على عكاز بشكل عرضى يتحفز متنبهًا ويهمس للباقين من زاوية فمه، فهو لم يلحظ وجود «كيف» الذى لم يكن مرتديًا طاقية رجال الأمن.

توقف الرجـل الضـخم ذو الأنف الطـويل المعـقــوف عن نقل الأجهـزة والأدوات وسار بـاتجاه «كيف» الذى انقـبضت معـدته من الخوف، وأدرك عـلى التو كـمن فاجـأته رخة شـديدة من المطر المثلج المنبعث من بلعومه أن ما يقومون به مـا هو إلا عملية سرقة جريئة فى وضح النهار. . يقـوم بها خمسـة من الرجال الأشداء يسـرقون أطقم صحيـة جديدة لم تستعـمل بعد من المبنى الجديد. لينقلوها ويبـيعوها لتركب فى بيوت وعمارات جديدة منتشرة فى كافة أرجاء المدينة.

ازدرد «كيف» ريقه بصعـوبة، وأكمل الرجل البجع تقـدمه نحوه ببطء لم تكن تظهر عليه أى علامة قلق أو خوف واعترضه سائلاً:

«هل معك سيجارة»؟

وسـارت وراءه عمليـة النقل للشـــاحنة بانتظام كـالساعـة. . وبمنتهى البراءة «نعم» همهم كيف وهو يقدم له علبة سجائره.

ضاقت عينا البجع وهو يتساءل.

«ما الذى تفعله ها هنا»؟

بدا السؤال مـهذبًا للغاية، يكاد يكون استـفهاما لطيـفًا من رجل متكاسل فى صباح يوم صيفى، ولربما كان باسـتطاعته أن يضيف شيئًا

مثل «فى مثل هذا اليوم الجميل»، كان الجميع بانتظار رد فعل «كيف» الذى شعـر أن ما سينطق به الآن سيكون من أهم الأسـئلة التى أجاب عنها طوال حياته وأجاب:

- «إنه عيد ميلادى الواحد والعـشرين، وقد شعرت بالضيق وأنا فى داخل المبنى - أعمل كرجل أمن، ولا يدرى بى أحـد - فخرجت لأروح عن نفسى وأحتفل بنفسى بتدخين سيجارة».

لم يكن هناك أى شك إطلاقًـا بأنه ينطق بالصـدق، ولم يكونوا بحاجة لجهاز كشف الكذب أو لخبرة السنين ليتأكدوا أن «كيف كيندى» قد أعطى تقريرًا دقيقًا وصادقًا عن سبب تواجده هناك، وحدس البجع أن هذا الشاب لن يسبب لهم أى مشكلة فبادره :

- «نود أن نقدم لك مشروبًا فى فسحة الغداء فليس من المفروض أن يتم شـاب مثلك عـامه الـواحد والعـشرين دون أن يدرى به أحـد وبدون احتفال».

- «هذا ما كنت أفكر به» رد «كـيف» بحماس مبـعدًا أنظاره عن أكبر وأجرأ عمليـة سرقة تمت فى وضح النهار وتحت ناظريه فى المبنى الذى من المفروض أنـه فرد من الأفراد القـائمين على حراسـته، وبدا وكأن العملية قد أنجـزت الآن بسلام. أقفل الركب أبواب الشاحنة بعد أن استقلوها وسأله البجع وهو يمضى :

- «موعدنا فى الواحدة. ما رأيك»؟

كان أنف الرجل يبدو كمنجل كبير مثير للرعب. وعيناه كشرخين مشقوقين.

ورد «كيف» ببراءة.

- «من الصعب الحضور في فسحة الغداء فهي لا تزيد على خمسة وأربعين دقيقة.. وأفترض أنكم تودون البعد عن هذه المنطقة».

- «إذن متى تريد أن نحتفل بشرب نخب عيد ميلادك وأين»؟

لم يترك له أي مجال للنقاش في عرضه هذا. فقط مساحة صغيرة ليحدد الزمان والمكان.

- «أينما تريد بالطبع، حوالي السادسة مساء هل يوافقكم هذا»؟

بدا «كيف» متحمسًا، وعين له البجع حانة في وسط المدينة قائلاً:

- «سيقدم لك كل واحد منا مشروبًا، ولابد أنك لاحظت أننا خمسة وهكذا ستحظى بخمسة طلبات».

رد «كيف»:

- «أوه. يا إلهي. سيكون احتفالاً كبيرًا أتقول إنكم خمسة لم ألحظ هذا».

وهزَّ البجع رأسه استحسانًا ومضى نحو الشاحنة ليجلس في المقدمة بجوار السائق الذي كان يبدو كبطل من أبطال المصارعة مدَّ السائق رأسه من النافذة وصاح مبتهجًا:

- «إذن. فموعدنا فى تمام السادسة».

لم تكتشف السرقة حتى الساعة الرابعة والنصف. فهناك العديد من المكاتب فى الدور السادس لم تشغل بعد وافترض الناس فى المبنى أن العمال يقومون بنقل قطع من الحمامات إلى أدوار أخرى.

ولم ينكشف الأمر إلا عندما علقت إحدى السكرتيرات للسيد «دالى» متذمرة أنه أمر غير منطقى أن يفكر المسؤولون بتبديل الحمامات الجديدة فى خلال ثلاثة أشهر فقط، ولابد أن يقرع أحدهم جرس إنذار ويبلغ عن هذا الإسراف والتسيب.

عملية السرقة هذه فى وضح النهار جعلتهم يترنحون جميعًا.

وكان الارتباك كبيرًا، ووجد «كيف» صعوبة فى الوصول فى تمام السادسة، واعتراه شعور أكيد بنسبة تسعين فى المئة أنه لن يجدهم فى الحانة، فليس من المستبعد أن تنتابهم الظنون بأنه سيقودهم إلى فخ محكم، وكيف كان لهم أن يفطنوا أنهم يتعاملون مع «كيف كيندى» الحريص على عدم نطق أى سر لأى إنسان؟ لربما افترضوا أنه يلف الآن حول الحانة مع فريق الأمن للإمساك بهم. ولكنه وجدهم جميعًا بانتظاره هناك فى الحانة، وبادرهم معتذرًا:

- «كان هناك بعض الهرج والمرج فى العمل. وهذا ما أخرنى».

رد عليه البجع بشهامة:

- «لا بأس».

وعرفه على كل من «داف» و «جون» و «نيد» و «المتعكز» كازى.

وعندما سأل «كيف» الرجل ذا الرجل العرجاء الذى يستند على عكاز:

«ما اسمك الحقيقى»؟

أجابه الرجل مندهشًا من سؤاله وأكد له أن هذا هو اسمه الحقيقى «المتعكز».

قـدم له كل واحد منهـم مشـروبًا وكانـوا فى كل دورة يرفعـون كؤوسهم نحـوه بوقار ويهنئونه بعيد ميـلاده، ومع الكأس الرابع شعر ببؤس شديد، فلم يعتد «كيف» على شرب أكثر من ثلاثة كؤوس فى حانة رايان أو فقط اثنين فى غيرها، كـان يتجرأ على الشرب فى حانة رايان لقربها من منزله كان باستطاعته الوصول إلى البيت ولو زاحفًا لو استدعى الأمر...

قدم له «داف» سائق الشاحنة هذا الـرجل الذى يبدو كالمصارعين الكأس الأخير، وقدم له معه مظروفًا وقال:

- «شعرنا بالأسف لرؤية شاب وحيد لا يجد من يحتفل معه فى عيد ميلاده، وهذه هـــدية بسيطــة من كل من «البجع» و «والمتعكز» و «جون» و «نيد» وأنا».

وافتر ثغره عن ابتسامـة كالتى ترتسم على محيا عم أبله كريم لا يطيق الانتظار، ليفتـح ابن أخيه لعبة القطار الكهـربائى الذى قدمه له ليصرخ فرحًا ومبتهجًا بالهدية.

فتح كـيف المظروف بأدب، ورأى حزمـة من الأوراق المالية فـئة العشـرين جنيها وشعـر بالغرفة تتحـرك إلى الأمام والخلف وتدور فى كافة الاتجاهات، حاول أن يسند نفسه على حافة البار، وقال :

- «لا أستطيع أن أقبل هذا، فأنتم لا تعرفوننى أبدًا».

ورد داف متألقًا.

- «وأنت أيضًا لا تعرفنا».

قال البجع موافقًا ومؤكدًا.

- «وهذا ما يجب أن يكون».

- «ولكننى لا أعُرفكم، حتى بدون هذه أيضًا تأكدوا من هذا».

ونظر «كيف» نحو المظروف كما لو إنه يحتوى على متفجرات.

كان هناك على الأقل سـتة قطع نقدية ولربما أكـثر، لم يرض أن يعدهم.

- «ولكن من الأفضل أن تأخذها، فهى إثبات وتأريخ لهذا اليوم بالنسبـة لنا جميعًـا، لم لا نتقابل فى هذا المكان كل أسـبوع فى نفس الموعد؟ وإن أحسنت اسـتثمار هذه الأموال لربما اسـتطعت دعوتنا إلى

مشـروب، وهكذا رويدًا رويدًا نزداد تعارفًـا وتتوطد عـلاقتنا ببـعضنا البعض».

ورد «كيف»:

- «غاية ما أتمنى أن أظـل على عـلاقة طيبة بكم جمـيعًا، ولكن بأمانة وصدق هذا مبلغ كبير ولن أشعر بالراحة إن أخذته».

ابتسم البجع وقال :

- «لا - أبدًا - لن تشعر بشىء».

ومضوا فى حال سبيلهم، بعـدها أخذ كيف يلتقى بهم مساء كل يوم ثلاثاء، أحيانًا لمجرد تناول كـأس، وأسابيع أخرى لأكثر من هذا، طلبوا منـه مرة أن يقود لهم الشـاحنة ولن ينسى هذا اليـوم حتى يوم مماته، مضوا نحو عمارة جديدة وبحـرص شديد لفوا السجادة الموكيت الجديدة التى كانت قد وضعت فى الحال، كـانوا قد سمعوا أن الرجال الذين سيثبتونها بالأرض سيـحضرون بعد ظهر هذا اليوم ولذا أسرعوا بالزيارة قـبل قـدوم الآخرين ولم يتـركـوا لهم أى أثر للسـجاد كـان للتوقيت العامل الأكبر فى نجاح العملية.

كانت السجادة التى هى من الصوف الفاخر الثمين قد وصلت فى الصبـاح ولم يكن أمامهـم سوى أربع ساعـات من الزمان للاستـيلاء عليها وهذا يعنى مراقـبة المبنى بدقة متناهية خوفًا من تفـتيش فجائى، وبالطبع تمت المـأمورية بنجاح كبير كغيرها من العمليات.

طلب «كيف» يومها إجازة من العمل من أجل جناب سيادة السجادة ولكن جناب السجادة كلفته سنوات من عمره شعر يومها كما لو إنه ممدد بطول الشارع لتدوسه أقدام كل زحام شارع «موران بارك». . لم يستطع أن يستوعب رباطة جأش وراحة بال رجال العصابة وهو يراهم يتبادلون النوادر ويجلسون باسترخاء بعد انتهاء مهمتهم، لم يطلبوا منه أبدًا الانضمام إليهم كما إنهم لم يطلبوا منه ما يجعله يلوذ بالهرب حتى أمريكا للفرار منهم وكثيرًا ما كانت طلباتهم لا تزيد عما يسمونه إعادة تسويق وهذا يعنى مثلاً إعادة لف شحنة من الأطقم الكريستالية سُرقت من فندق قبل أن يجدوا الوقت الكافى لاستخراجها من صناديقها الكبيرة لوضعها فى عبوات جديدة وصغيرة تلف كل كأس على حدة بورق وردى وترص على حسب نوعها فى علب سعة نصف دستة، وقد أصبح خبيرًا فى كافة الأصناف والأنواع، أو كما يسمونها الأطقم، ووجد أن الطقم المُسمى «كوينى» هو المفضل لديه وعندما سيتزوج سيقتنى دستتين من كؤوس البراندى من نوع «كولين» لاستعماله اليومى ولوضع فرش الأسنان فى الحمام، يسرح «كيف» بخياله ولكنه سرعان ما يفطن بما آل إليه حاله فتتبخر خيالاته وأوهامه ويتلفت حوله فى المرأب حيث يعمل جزعًا مرعوبًا، ويمضى فى تعبئة صناديق الهدايا المجهولة دون أن يعرف من أين جاءت وإلى أين تمضى؟

لم يحاول السؤال أبدًا، وهذا سر حبهم وثقتهم به منذ اليوم الأول ترك لديهم الشعور أنه رجلهم وقد فات الأوان ليعلن العكس وكلما طال الزمان أصبحت محاولته للخروج من المأزق أكثر مدعاة للسخرية.

وفى بعض الأحيان عندما تهدأ نفسه، كان يتساءل لم كان هذا الشعور بالخوف والذنب، فهم لا يسرقون الناس، لا يسطون على بيوت أو شقق يركزون مثلاً على شركات عليها أن تبدل الأميال من السجاد الصوفى الأحمر أو على صناديق من زجاج الكريستال الفاخر أو أطقم حمامات وأدوات صحية. لم يعتدوا يومًا على بيوت سيدات مُسنات أو على زوجين من الشباب الحديثى الزواج كما إنهم لا يحملون أى نوع من السلاح، من نواح كثيرة لا يمكن اعتبارهم أشرارًا ولكن بالطبع فهم لا يقومون بعمل شرعى وشريف، إضافة إلى أنهم يغشون الناس بشاراتهم المزيفة التى يعلقونها على صدورهم، وادعائهم العمل بالطرق الشرعية.

كما إنهم يسببون للناس مشاكل وخسارات كبيرة بعد عمليات السطو.

مثل الذى جرى للرجل العجوز المسكين السيد «دالى» الذى تجرجر وهزئ من الجميع. ومع إنها لم تُقَل صراحة ولكن كانت هناك تلميحات أنه أصبح مسنًا وغير صالح لهذا العمل.

وها هم يسرقون، ويواصلون عملياتهم تقريبًا مرة فى الأسبوع.

وهذا أمر لن يرضى «كيف كيندى» من قـرية «راثدون» بأى معيار أن يبقى ضالعًا به، أو الأسوأ أن يقبض عليه، وهذا أمر لا يمكن حتى أن يخطر على باله، فمازالوا حتى الآن يلوكون سيرة هذا الشاب الذى كان ابن عم عـائلة «فيتزجـرالد» والذى قام بسرقـة مكتب البريد أثناء عمله عندهم، ظلـت قرية راثدون بكاملها تطن بسـيرته لعدة أشـهر. وأكدت السـيدة فيـتزجرالد والدة توم أنهـا تتمنى أن يدرك الجـميع أن قرابتـه بهم بعيدة جـدًا. وأنهم بعد أن مدوا له يد المسـاعدة بتوظيـفه عندهم استغل طيبتهم وهذا ما نالوه منه كشكر على أفضالهم.

هل باستطاعته أن يتخيل ما الذى سيحل بوالده الكهل المسكين لو قبض عليـه؟ أو بأمل أخيه ريد فى الزواج بفتـاة مناسبة؟ أو «**بيارث**» الشهم المتواضع؟ سيشعر بالعار والخزى لآخر العمر.

ولكن كيف الخروج من هذا المـأزق؟ لن يستطيع العيش فى مدينة بها البجع وداف والمتعكز كازى إذا ما ظنوا أنه تخلى عنهم.

لا مجال للتظاهر بترك المدينة فهم على دراية بكل شىء، هذا هو مجال عـملهم التحرى والمعرفة، مـعرفة متى ينتظر وصـول البضائع؟ متى يذهب الحـراس لشرب القهوة؟ متى يأخـذ رجال الأمن الدائمين إجازاتهم؟

متى يكون المديرون شبابًا وعصبيين؟ متى تكون المحلات مزدحمة بالعمل لدرجة لا تلحظ معها أن مفـروشاتها تعبأ فى شاحنات خاصة وتسرق؟

بينما هم يعلمـون أين يعيش «كيف» فـى دبلن وأين يعمل، ولن يحلم بالكذب عليهم. استطاع فقط أن يتملص من العمـل معهم فى العطلات الأسبوعية، حيث يقومون بعملياتهم الكبيرة والخطيرة، والتى يريد أن يكون أبعد ما يكون عنها. أخبرهم بغموض أن عليه أن يكون خارج المـدينة، حدث هذا بعـد أول مقـابلة معـهم. ولذا بدا سفـره الأسبوعـى كاستمرار طبـيعى، وليس كسلوك جـديد، لم يعلمهم أنه يذهب إلى رائدون. ولكنهم كانـوا متأكدين أنه لا يكذب وأنه يسـافر خارج دبلن، ألقى عليـه «المتعكز» فى أمسـية يوم أحد تحيـة المساء لم تكن مصادفة وجـوده يحوم حول المنزل الذى يستأجر فـيه غرفة للنوم فى دبلن، خمن «كيف» أن هذه عملية تفتيش روتينية. وأصبح غيابه عن دبلن فى عطلات الأسبـوع أمراً مفروغًـا منه. ولكن المهم، كيف سيتمكن من رفض العمل معهم خلال الأسبوع؟ وقد نشطت العمليات وتوسعت وزاد مـعها توتره وخـوفه. طلب منه «داف» عـدة مرات أن يخفف من قـفزاته وتوتره العصـبى التى يبدو فيـها كممـثل فى أفلام الأبيض والأسود القـديمة، يقوم بها الممـثل بدور العصبى والغـشاش. كان «داف» لا يهتز أبدًا ويبدو كمن لا أعصاب لديه.

أما هو فرؤية الحـراس وحدها كافيـة لتجعـــله متـرنحًا منهاراً، وظل أى شىء كافيًا لتوتره وتقافزه فى الهواء.

من الغريب أنه لم يشعر بالذنب دينيًـا، كان يواظب على حضور القداس أيام الآحاد وفى عـيد الميلاد وعيد الفصح، كـان لديه الشعور

أن الله يعلم أن ما يقوم به ليس بالذنب الكبير فليس هناك اعتداء جسدى، ولكنه عمومًا لم يكن يومًا من هؤلاء الناس الذين يحسنون التواصل الروحى مع الله، كما إنه لم يستطع أن يواجه نفسه، فهو يعلم تمامًا أن عليه أن يتخلص من هذه الورطة التى أوقع نفسه بها بسرعة، ويضع حدًا لبلاهته.

لاريب أن «ميكى بيرنز» الذى يعمل بوابًا فى البنك والذى يحتمل أن يصاب بطلق نارى فى هجوم على البنك ليس مثل «كيف»، رجل الأمن الذى سهل للعصابة سرقة المبنى الذى يقوم على حراسته.

فها هو «ميكى بيرنز» ينام بالقرب منه قرير العين ويفتر ثغره عن ابتسامة هادئة، وترادوه الأحلام عن دعابة أو حيلة ساذجة، بينما يجلس «كيف» مرتجفًا تعتريه مشاعر شتى من الوحدة والشعور بالذنب كما لو كان بالجحيم لمساعدة العصابة فى قيادة شاحنتهم، والعمل معهم فى مراقبة الأماكن التى سيسطون عليها، وإعادة تغليف المسروقات.

أخبره والده بعد نشرة الأخبار أن «ريد» ينوى خطبة ابنة أحد المزارعين وأنه سيصحبها لشرب الشاى وتمضية نهاية الأسبوع معهم، وعليهم جميعًا أن يأخذوا أبهتهم للقائها واستقبالها بشكل لائق.

وأضاف أنه يظن أن «بارت» يفكر بالانضمام للأخوة الفرنسسكان ينتعل صندلاً فى قدميه ويحمل طاسة بين يديه يجمع الحسنات

والهبـات حاثًا الناس على فـعل الخير، تكملة لـلأعمال الخـيرية التى ينوى الاستمرار بها طوال حياته، فهو إن لم يكن يعمل ويحفر ويعزق فى حديقـة السيدة هيكى فهـو فى حانة رايان يمد يد المساعدة للـسيدة «رايان» ويسندها وهى بالكاد تقف على قـدميها المـترنحتين، فيـخدم الزبائن ويقدم المشروب دون أن يـستفيد حـتى بقرش واحد من أى من السيدتين، ويشعر الأب بالدهشة لما لم يذهب «بارت» حتى الآن إلى متجر «فيتزجرالد» ليقدم لهم خدماته المجانية.

لم يعلم «كيف» بم يرد على والده، وجلس أمامـه يقرض قطعة من الحلوى ويحتسى الشاى وهو يفكر باختلاف طبائع البشر.

فها هو «داف» بوجهه الممـتلئ الصبوح مثل أخـيه «بارت» يقوم بعملية غش ينقل على أثرها عـشرين فرن ميكروويف من متجـر كبير إلى آخر. ويقـوم بتنفيذ خطته بمنتـهى البساطة والحذق. بينمـا يقوم أخوه الطيب «بارت» عن طيب خـاطر بمساعـدة السيـدتين المسكينتين على كسب رزقهـما يا إلهى كم هو عالم مخـتلف هذا الذى يحيط به وكم تخـتلف طبائع البـشر، اقـشعـر بدن «كيف» وهو يفكر بالخطر المحدق به وسأله والده.

- «ألن تذهب إلى الحانة»؟

ورد «كيف»:

- «كلا، أشـعر بالتـعب من العمل طوال الأسـبوع، ومن رحلة العودة».

سأصعد إلى غرفتى وأتمدد على السرير.

هزَّ والده رأسه قائلاً:

- «أود لو أعلم ما الذى يأتى بك كل أسبوع إلينا؟ كما إنك فقدت اهتمامك بلعبة كرة القدم تمامًا، كان بإمكانك احتراف هذه اللعبة لتصبح لاعبًا جيدًا.. لو إنك وضعتها فى ذهنك».

- «هذا غير صحيح فلم أكن يومًا لاعبًا جيدًا هذا ما تتمناه أنت أن يصبح واحدًا من أولادك لاعبًا فى فريق المنطقة وأنا لا أصلح لهذه اللعبة».

- «إذن قل لى ما الدافع لعودتك كل أسبوع؟ مِمَّ تهرب؟»

لم يتم الأب جملته حتى كان فنجان الشاى قطعًا منثورة على أرض الغرفة ووجه «كيف» شاحب كالثلج.

- «أهرب؟ ماذا تعنى بقولك هذا»؟

- «أعنى أنك تحاول الهروب من العنف والوساخة هناك، أو من عشائر الحراس السود الذين يتجولون فى كل مكان، وها أنت تأخذ راتبًا جيدًا تتكرم علىُ بجزء منه، ولكن شابًا فى مثل عمرك لابد وأنه قادر على التعامل مع كافة أنواع الشر واللهو».

- «لا أعلم يا أبى لا أظن أنى أصلح لأى شىء إطلاقًا، لا لكرة القدم ولا لأى تسلية أخرى، أو لأى شىء».

وبدا أنه يعانى من كآبة شديدة.

- «ما بالك يا «كيف»؟ ها أنت تعمل بوظيفة ممتازة فى أرقى وأفضل بناية فى دبلن وتكسب معاشك أفضل من أخويك هذين وأنا مازالت ملزمًا بهما هما الاثنين فالأول يقوم بدور المحسن «مارتين دى بورس» يمضى متجولاً فى البلدة يقدم خدماته ومتبرعًا بنصف ما يملك لأى إنسان يقابله، والثانى متأنق غندور فرح بشعره الأحمر البراق الذى سيقتلع من فروة رأسه من كثرة تسريحه له.. والمرايا ستنشرخ من كثرة بحلقته فيها، وأنت المفضل عندى بينهما، لا تقلل من شأن نفسك بهروبك».

مضى «كيف كيندى» نحو الفراش دون أن يرد بكلمة وبقى ممددًا هناك بينما أصوات قرية راثدون الخافتة تناسب من خلال النافذة. نافذة صغيرة فوق المخزن تطل على الشارع الرئيس للبلدة.

كان من المنتظر أن تصل فتاة «ريد» فى اليوم التالى و لذا اشتركوا جميعًا فى تنظيف وترتيب الغرفة الخلفية. سيقدمون الشاى فى الفناجين الصينية بدلاً من الأكواز (ماج) وسيضعون الزبدة فى الطبق الخاص بها، واللبن فى اللبانة، فرشوا مفرشًا نظيفًا على الطاولة وقطعوا الخبز شرائح ورصوها على صينية. ووزعوا الأطباق ليضعوا الخبز فيها حتى لا يتوسخ المفرش بالفتات، أحضروا من المخزن الطماطم وشرائح لحم وزجاجة من صلصة السلطة وسلق «ريد» ثلاث بيضات.

وعندما شاهد «بارث» أخاه «ريد» ينظر متـفحـصًا بعض قطع الحلوى المجمدة من قسم الأغذية المجمدة فى المخزن بادره قائلاً:

- «نحتفل كما لو إننا فى أيام العـيد.. لاشك أنها ستوافق على الزواج بك فورًا».

- «كف عن المزاح، وتلفت حولك فى غرفة المعـيشة لترى كيف تبدو فى عيون من سيراها للوهلة الأولى».

كان «ريد» يشعـر بالتوتر والقلق لأول مـرة فى حيـاته. فالفـتاة «ماجيلا» وحيدة أهلها.. وهى معتادة على أسلوب معيشة أرقى بكثير مما حظى به الأخـوة كيندى وأبوهـم حتى ولو بذلوا الجـهد لإصـلاح الوضع. ولكن لم يفكر أى منهم باسـتثناء ريد فى بذل أى مجـهود، الأب لا يريد أن يترك مـتجـره، وبارت يريد الذهاب لمساعـدة جودى هيكى، «وكيف» يريد أن يمضى إلى النهر حيث يشعر بالراحة والأمان وهو بعيـد بأميال عمـا يحدث فى هذا الوقت تمامًا من سرقـة لأفران الميكروويف فى المتجر الكبير فى دبلن.

ستصل «ماجيلا» فى الخامـسة بصحبة والدها فى سيارته، ولكنه لن يدخل فلم يحن الوقت بعد لتـعارف الأهل والرسميـات، وأبرموا اتفاقية، وافق الأخوة بمقتـضاها على ارتداء ربطات عنق مناسبة لبدلهم ولمعوا أحذيتهم، ووافق ريد على الذهاب لمسـاعدة جودى لمدة ساعتين فقط لأنها بأشد الحاجة إليه، ولأن العـمل عندها سيهدئه، لن يستعملوا

لغة سوقية ولن يتناولوا الطعام بأيديهم أو ينظفوا أسنانهم بأصابعهم ولكن بالمقابل لن يربكهم ريد ويضفى على وجهه سمة الساذج الأهبل المجنون بالحب فيبدو أشبه ما يكون بوجه بقرة عليلة، أو أن يسألهم أن يبهجوا قلب «ماجيلا» بقصص وحواديت عن حياتهم العائلية الغريبة، وإن رن الجرس ليعلن عن حضور زبون للمتجر ينصرفون تبعًا لمقامهم. الأب فى الأول وبعده «بارت» ثم «كيف» وهكذا، ولن يتركهم «ريد» ليتحدثوا مع ماجيلا بغيابه.

وصلت «ماجيلا» وبدت فتاة لطيفة ضخمة ومتزنة ولا غبار عليها. وما إن جلست بينهم حتى شعروا وكأنها فرد من العائلة وعلقت أنهم ولاشك تلقوا تربية عالية.. فهم يقدمون الزبدة فى طبقها الخاص، ويصبون اللبن فى اللبانة، ولا يقدمونه بالعلبة، وأنها كانت تشعر بالاشمئزاز عند زيارتها لأولاد عمها الذين يلوثون قطعة الزبدة بسكاكينهم المتسخة، وأن أولاد عمها بحاجة لسيدة تمدنهم وعندما ذكرت أثر المرأة فى السلوك التمدنى بدا وجه ريد يأخذ شكل البقرة العليلة وكان عليهم أن يرفسوه من أسفل الطاولة ليتخلى عن هذا الشكل الأبله.

أبدت «ماجيلا» استعدادها لغسل الأطباق وتركت لهم تنشيفها وعندما لاحظت من طرف عينها أن فوط التنشيف ليست بالنظافة المطلوبة طلبت من ريد أن يذهب للمتجر ويأتى برزمة من الفوط الجديدة وعلقت مبتسمة:

- «أشعــر كما لو إنى فى الجنة، فهــل من الممكن أن يتمنى المرء أكثر من أن يقيم فى منزل يقع أعلى متجره»؟

نشفت الأوانى فى ثوانٍ وبدت الغــرفة الواسعة بشكل مــا أفضل بكثير مما كانت عليه لسنوات طويلة، قالت «ماجيلا» إنها «وريد» سيذهبان فى جــولة بالبلدة وينزاحــان عن طريق البــاقين، وفى تمام الســادسـة والنصف تأبطت بإصرار ذراع ريد الذى أحــمر وجهه خجلاً وابتــهاجًا وهى تضمه إليها بإعزاز من يشعر بشرف انضمامه إلى هذه العائلة.

- «يبــدو أن لا مــهرب لهــذا المسكين ريد، فــهــذا الرباط يبــدو محكمًا» علق بارت ضاحكًا بتلــقائية على القدر الذى أوشك أن يحل بأخيه وبدا الأب متشائمًا وهو يرد عليه:

- «كفــاك عبثًــا يا بارت لابد أن هذه الفتاة نــصف مجنونة أو أن لديها شجاعة الأسد لترضى بالزواج بأى واحدٍ منكم أنتم الثلاثة».

- «هل معنى هذا أنها مجنونة»؟

تساءل «كيف» مهتمًا وعقب :

- «ظننت أنها فتاة على مستوى عالٍ من الأخلاق والتربية».

ورد الأب:

- «طبعًا. فهى فعلاً ممتازة بل إنها أفضل بكثير من «ريد»، ولكن ترى متى ستدرك هذا؟ هل ستدركه قبل أن يفوت الأوان»؟

تبـادل «بارت» و «كـيف» النظرات كـان يـبـدو أن الوالد ممزق (محتار) بين بهجته بأن يحظى «بماجيلا» الضاحكة واللطيفة بينهم وبين طريقة تفكيره الصادق والصارم لدرجة يود معها أن يحذر الفتاة من أن ابنه صفقة خاسرة لربما من الأفضل أن تترك لها حرية اتخاذ القرار.

قـدَّم بارت هذا الاقـتراح الـذى أزاح حمـلاً عن كـاهل الأب. واكتشف «كيف» فجأة كم يبدو «بارت» عاقلاً وحكيمًا فهو ليس كما يبدو طيب القلب وبريئًا بل إنه الآن فى الطبقـات العليا وليس منغمراً فى العالم السفلى كأخيه «كيف»، ولذا فلا مجال أن يحدثه ويفصح له عن همومه وسأله «بارت»:

- «مـا رأيك بالذهاب لحـانة رايان نتناول كـأسًا قـبل أن يزدحم المكان بالرعاع».

سُرَّ كيف لهذا الاقتراح ورد بتعقل :

- «هذا هو الوقت الأمثل».

مضى الأب إلى مـتجره ليـحرك مؤشر المذياع اسـتعدادًا لسـماع الأخبار وقطع الأخوان الشارع الهادئ فمعظم الناس فى بيوتهم لشرب الشاى، وأصـوات دقات الساعـة المعلنة عن أخبار السـادسة والنصف التى يستمع إليها والدهم من متجره تصدح من نوافذ عديدة.

سارا باتجاه متجـر «بيلى بيرنز» للبطاطس المقلية لم يكن «بيلى» فى متجره اليوم كان هناك «ميكى» وهـذه العاملة الشقراء الصغيرة «تيريزا»

ولم يكن هناك أى أثر «لإيـلين» التى كانـت تبدو لهـمـا أذكى من أن تمضى بقيـة عمرها ترفع قطـع الدجاج أو السمك فى المقـلاة فى قرية راثدون ووصـلا إلى الجسـر، انحنى «**بارت**» على السور نـاظراً نحو النهر كـانا يتبـاريان فى صغرهمـا بقذف العـصى أسفل الجسـر وكان الجدال والنقاش يحتدم على العصـا الفائزة إلى أن اخترع بارت طريقة يربط خيوطاً ملونة بكل عـصا لمعرفتها بدا لهـما وكأن هذا حدث منذ زمن طويل وسأله بارت فجأة:

- «ما الذى يأكلك»؟

- «لا أفهم قصدك»؟

- «أنا لا أدعى أنى أذكى رجل فى العالم ولكنى لست بالأعمى، أخبرنى يا «**كيف**» بمشكلتك، فلن تسوء الحالة عما هى عليـــه الآن، بل لربما تحسنت أحوالك إن أزحت عن كـاهلك، لن أصفك بالبلاهة ولن أوجه لك أى لوم، يبدو أنك تمر بظروف سيئة وبالغة الخطورة فى دبلن أليس كذلك»؟

- رد «**كيف**» : «نعم».

- «قبل أن يقع «**ريد**» فى الغـرام الشديـد كنا ننوى الذهاب فى رحلة إلى دبلن لاكتشاف مشكلتك ونحاول حلها مهما كانت شدتها».

ازدرد «**كيف**» ريقه وراودته فكرة تصدى أخـويه لكل من البجع والمتعكز وغيرهما من أفراد العصابة.

- «هل لديك فكرة عن المشكلة»؟

تساءل «كيف» بعصبية محاولاً أن يتصيد مدى إدراك بارت لسوء الحالة.

- «ظننت لربما إنك متورط مع فتاة، ولكن مثل هذه المشكلة لا تستمر طوال هذه المدة، وفكرت لربما إنها ديون تراكمت عليك من لعب البوكر أو مراهنات سباق الخيل ولكن لا يبدو عليك أهتمام بأى من اللعبتين».

بدا وجه «بارت» الضخم والبرىء محتاراً، وأخذ «كيف» نفساً عميقاً.

إذن فخواطر «بارت» وصلت إلى هذا المدى وما عليه الآن سوى أن يتخذ الخطوة الثانية، تُرى هل باستطاعة «بارت» أن يستوعب روايته التى بدأت فى يوم ميلاده الواحد والعشرين منذ سنة ونصف مضت أم أنه سيخبر الحراس؟

بدأ «بارت» بتقليم العصى وربط الخيوط حولهم، وأعطى «كيف» عصاه قائلاً:

- «خذ هذه لابد وأن أكسبك بعصاى فى يوم ما»، ورميا العصى من جانب ومضيا إلى الجانب الآخر للجسر يترقبان طفوها. . كان عصا «كيف» فى المُقدمة.

بدت الدهشة على «بارت» وقال:

- «هل ستغلبنى هذه المرة أيضًا، كنت أداوم على التمرين ها هنا،وظننت أننى قلمت عصاى لتطفو بسرعة أكبر مع التيار»، وانطلق «كيف» يسرد قصته، ما إن نطق أول كلمة حتى اندفع خليط من الأسماء والسلع يتلاطم «المتعكز كازى» وأفران الميكروويف «داف» والأطقم الكريستال، «البجع» والسجاد الفخم، لم يكن دور «كيف» نجومى أو لامع كانت عبقريته تقتصر على عودته الأسبوعية بالحافلة الليلكية إلى راثدون هربًا من جريمة خطيرة لربما ستقع فى المدينة خلال العطلة الأسبوعية.

وهو الآن متورط جدًا معهم ولا مخرج له، وعلى «بارت» أن يستوعب هذا الأمر تمامًا، ورجاه ألا يحاول نصحه بالبعد عنهم، فقد سمعهم وهم يضعون الخطط، كما إنه شارك فى العمليات، ولا يدرى مدى خطورة رد فعلهم لو فكر بالتخلى عنهم، لا يظن أنهم سيضربونه أو يحاولون التخلص منه فهم لم يلجأوا للعنف قط، ولكن لابد أنهم سيعاقبونه بشكل أو بآخر، لربما بعثوا برجال حراستهم إلى شقته أو إلى مكان عمله، أو أنهم سيبعثون برسالة للسيد «دالى» يتهمونه باستلام رشوة منهم للسكوت عن عملية نقل الأدوات الصحية من المبنى، وها هو ذا يعيش فى كابوس لن ينتهى منه إلى الأبد، وبدا له، خلال هذه اللمحات الخاطفة أنه يلمح ظل ابتسامة على وجه «بارت»، لابد أن «بارت» لم يستوعب خطورة المأزق لأنه لاحظ أنه يحاول إخفاء ابتسامته الواسعة بيديه وأنهى قصته قائلاً:

- «كما ترى لا مفر لى بعد الآن».

ورد «بارت» ببطء وهدوء.

- «لا أظن ذلك».

- «ولكن الـوضع هناك يخـتلف عن هـنا يا «بارت»، فـهم مختلفون عنا، وليسوا من طرازنا».

«ولكن لابد وأنهم ظنوا أنـك مثلهم وهـذا ما أعطاهم الـفرصـة لجرجرتك».

- «ولكنى رويت لك كل شيء مـن البداية، فـأنا لست بسـارق بطبعى، كنت سعـيدًا وقانعًا بوظيـفتي وراتبى.. لربما إنه ليس بالمبلغ الكبير، ولكنه يكفينى ويزيد، فأنا لست بمجرم».

- «لا، فأنا لا أعنى بقولى أنك من نوعهم، أنك سـارق مثلهم. بل عنيت أنك مثلهم حريص على السرية والكتـمان، هذا ما أعجبهم وشدهم إليك، فـأنت لا تثرثر بأخبـار معارفك أو عمـا تفعل أو عن أحوالك، وهذا ما جعلهم يظنون أنك لن تثرثر ولن تفشى سرهم».

- «فعلاً، فأنا لم أفعل هذا سوى الآن ولك فقط».

- «إذن، فهذا هو مـخرجك الوحيد إن أردت الخـلاص، بلغهم أنك ستنضـم لمجـمـوعـة أخـرى، بدون إحـراج، وسلـم عليـهم مـودعًا.. هذا كل ما فى الأمر».

- «يا «بارت»، يبدو أنه ليس لديك فكرة»...

وقاطعه «بارت»:

«انظر، لقد حافظت على هذا الوجه الغامض والمتحجر باستثناء مرة أو مرتين عندما اعترتك هذه الحالات من القفز والرعب، فأنت لم تحاول أبدًا أن تكتشف أو تتناقش معهم عما يفعلونه بمسروقاتهم وعلى الأرجح سيظنون أنك من النوع الصامت وأن هناك من قدّم لك عرضًا أفضل منهم».

- «لا أظن أن تقييمهم لى يصل لهذا المدى».

- «لابد وأن لك قيمة كبيرة لديهم وإلا ما كانوا ليشركوك فى عملياتهم، تخلى عنهم كما انضممت إليهم بدون نقاش أو تفسير، والمبرر الوحيد الذى يستحقونه هو قولك أنك وجدت ساحة أخرى أهم منهم».

ها هو ذا «بارت» يتحدث عن ساحات أخرى، يرى «بارت» أن هذه العصابة ستكتفى بتقديم المبررات وشعر «كيف» أن القيامة قامت.

- «لا أظن أن باستطاعتى مجابهتهم».

- «استطعت الانضمام إليهم، وكان هذا أصعب بكثير».

- «وهل يعنى هذا أن أعيد لهم أموالهم»؟

- «تعيد لهم ماذا»؟

- «حصتى، أعنى، بما أننى لن أستمر بالعمل معهم».

«حصتك؟.. وهل ما زالت النقود بحوزتك»؟

- «طبعًا، أحتفظ بها، لم أصــرف قرشًا منها.. فى حـــالة.. كما تعلم... رجال الأمن ومصاريف قضايا المحكمة أو لو حُكم علىَّ بإعادتهم ثانية».

- «وأين هى هذه النقود»؟

- «إنها فى الدور العلوى فى غرفتى».

- «فى دبلن»؟

- «كلا ها هنا فى البيت، تحت مرتبة السرير».

- «أنت لست جادًا»!!

- «ولكن ما الذى سأفـعله بها يا «بارت»؟.. أحملها معى إلى المنزل وأعود بها كل أسبوع فى حزمة بين ثيابى».

- «وكم هى حصتك»؟

- «حوالى أربعة آلاف ومائتين من الجنيهات».

قال «كيف» هذا وعيونه مُنكسة نحو الأرض، وأخيرًا رفع ناظريه ورأى وجه بارت يتأمله بإعجاب.

- «أليس فى هذا تدخل مباشرة من الرب»؟

علق «**بارت**» بهـذا، ولكن لم يرَ «كيـف» الأمر بهـذا الشكل، ومهما كانت علاقته بالرب مرتبكة ومـهما أصبحت فى الفترة الأخيرة غير ملموسة لم يكن ليتصور أبدًا أن الرب القدير كان سعيدًا بمثل هذا المبلغ المسروق والمخبأ تحت السرير فى راثدون.

وقال «**بارت**»:

- « هذا سيحل لنا كل مشاكلنا، فعندما مضى هذا الروميو يحوم حول «ماجيلا» كانت مـشكلتنا الوحيدة لعلاج الموقف هو أننا لا نملك مبلغًا من المـال يكفى لإضافة ملحق غرفة فى الفناء الخلفى لإقامتهما، كنا نخاف من أن المكان سـيزدحم بنا جميعـًا، وفكرنا أن الحل الأمثل هو الاستعانة بإضافة بناء سابق التـجهيز لن يكلفنا سوى حفر الأساس وزرع بعض النباتات على السقف. . هل تتابع حديثى؟»

هز «**كيف**» رأسه بعصبية.

- «ولكنى «**وريد**» كنا خائفين أن تكون متورطًا فى مشاكل مادية، ورأينا أنه من الأفضل أن لا نُغرق أنفسنا بديون تفوق طاقتنا، ولكن ها أنت مليونير، بإمكاننا المضى فى خطتنا لو أردت المشاركة قليلاً».

- «طبعـًا سأشارك، ولـكن ألا ترى أننى لو تخليت عنهم، لابد وأن أُعيد لهم حصتهم»؟

- «أى نوع من المجرمين أنت! . .» صرخ «**بارت**» ضاحكًا:

سـيكتشـفون عـلى الفور سـذاجتك وبـلاهتك لو ابتدأت بهـذا الشكل، عليك أن تجـعلهم يـضعـون فى الاعـتـبار أن حـصـتك فى

العمليات هى حقك وأنك ستتخلى عنهم وتمضى لعصابة أكبر وأهم، ولن ينتظروا منك أيها الأبله أن ترد لهم أموالهم إرضاء لضميرك الحى».

- «كلا»؟

«كما إنه ليس بإمكانك أن ترد الأموال لمالكى السجاد أو لأصحاب الأدوات الصحية أو لأصحاب أفران الميكروويف».

- «ولكنى لم اشترك فى عملية الميكروويف، هذه ستتم خلال العطلة الأسبوعية هذه».

شعر «بارت» أن هذا يعزز وجهة نظره فرد:

- «هل رأيت؟ . . ألست معى أن المساعدة فى توسيع بيت الأسرة أفضل وسيلة لصرف هذه الأموال»؟

ذُهِلَ «كيف»، لم يوجه له أخوه أى اتهام أو لوم، أو حتى محاضرة لحسن السير والسلوك، قدّم له فقط نصيحة قاسية وعملية كما لو إنه على دراية تامة بنفسية رجال العصابة، فلو إنه أمعن التفكير جيدًا لوجد أنها الأسلوب الأمثل الذى عليه اتباعه.

وقال متحمسًا:

- «خذهم بالكامل يا «بارت»، ولكن بمّ ستجيب لو سُألت من أين لك هذا»؟

«ستحتفظ أنت بجزء تضعه باسمك فى وديعة توفير بالبريد وكعهدنا بك لن نذكر لمخلوق شيئًا عنها، سنتصل بالمقاولين للمباشرة فى بناء الملحق يوم الاثنين القادم سيجدون احتفاظنا بالنقود فى أكياس ورقية تحت السرير أمرًا عاديًا وطبيعيًا من قرويين سذج، بل إنهم سيشعرون بالراحة لأننا سندفع حالاً ونقدًا بدون مشاكل الديون والفوائد».

صُعق «كيف»: «القديس بارت فى السوق السوداء»؟

وأكمل بارت.

- «ولك جزيل الشكر على هبتك السخية، سنوسع البيت بإضافة الملحق، وهكذا سنحظى بمكان واسع لو أنجبت ماجيلا ذرية من آل كيندى».

وقع حجر من الجسر فى ماء النهر، ولكن عينا «كيف» لم تجحظا قلقًا ورعبًا.

(٦) روبرت ROBERT

اشترى «روبرت» علبة من مستحلب النعناع بعد أن اعترضت «جودى» فى الأسبوع السابق قائلة: «إن أنفاسه تفوح برائحة الثوم. فهى على حبها لكل الروائح الطيبة للأعشاب، لا تحب أن تحاصر لمدة ثلاث ساعات بجانب أسفنجة مشبعة برائحة الثوم فى مينى باص صغير».

«جودى» اللاهية لو أنه التقى بها فى دبلن لما خمَّن أنها تنتمى لقرية «راثدون» صارحها بهذا مرة، وأجابت ضاحكة وأنت بالمثل تبدو أبعد ما تكون عن شباب القرية. بوجهك الشاحب، وهزالك، وميولك الفنية «والبروتستانتية» ولكنها ها هنا مخططة فهناك حفنة من «البروتستانت» موزعون فى أنحاء مدن الغرب أقلية راسخة تشكل جزءاً من المكان مثلها مثل الجبال، ومراكز التليفونات (الهاتف) والكنائس الصغيرة الجميلة الخالية من المتعبدين والتى تبدو كالأقزام إلى جانب الكنائس الكاثوليكية الضخمة الجديدة والتى تغص وتكاد تنفجر بروادها.

لا فائدة من شرح كل هذا «لجودى» أو القول بأنها أشد غرابة وشذوذًا منه بشكلها الغجرى الأسمر، وإقامتها فى سكنها المنعزل فى

الكوخ الصغير الملحق بالبيت الكبير تزرع الأعشاب الطبية لتسوقها خلال الأسبوع فى المتجر الذى تعمل به فى دبلن.

قال لها يومًا مازحًا : «لو إنها كانت تعيش فى الزمن الغابر لاعتبرت ساحرة واحرقت، حتى بدون محاكمة، وردت عليه جودى بحزن، لا تحاول الهزار فليس من المستبعد أن يحصل هذا نظرًا لتغير المفاهيم هذه الأيام.

تفوح منه رائحة الثوم لأنه تناول طعامًا شهيًا، وهذا ما يفعله كل يوم جمعة، فهى الفرصة الوحيدة لتناول وجبة معتبرة قبل سفره لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع أهله فى راثدون بالطبع هناك بقية الأسبوع ولكن العمل اليومى لا يترك فسحة للاستمتاع.

يكره عودته إلى راثدون فى الحافلة الليلكية. ويفضل البقاء فى دبلن خلال الإجازة، طوال حياته لم يحدث نزاع بينه وبين والده، ولا يذكر أنه اختلف بالرأى مع أمه أكثر من ثلاث مرات، كان هذا فى الماضى البعيد، حين كان فى المدرسة الداخلية، أرسلت أمه خلالها ثلاث رسائل لمدير المدرسة، ورد عليها المدير مؤكدًا أن أغطية ومفارش السرير تهوى باستمرار. كانت علاقته بأهله مختلفة عن علاقة الآخرين بأهلهم.

فالآخرون يتشاجرون ثم يتسامحون يحبون ويكرهون يثورون ويسخطون أو يحاطون بعناية شديدة وخانقة. أما علاقته بأهله فمختلفة عن خلق الله جميعًا. علاقة غير حميمة قائمة على

التعامل بأدب وكياسة، ومستندة على شعور عميق بالواجب والامتنان لا يمكن لمن لا يعانى منها أن يعبر عنها.

الأمر وما فيه أنهما لا يحتاجان إليه ومن جانبه كان يتمنى لهما كل خير، ولكنه أيضًا لم يكن بحاجة إليهما وهذه العلاقة الباردة والمتزمتة كانت شديدة الوطأة عليهم جميعًا كان يشعر أن حياتهما على وشك الانتهاء، وحياته لم تبدأ بعد ولن تبدأ والوضع على ما هم عليه، لم يثر والده ولم يحتد حتى عندما قرر روبرت أن يتخلى عن دراسة المحاماة فقد انتسب لكلية الحقوق وفى الوقت نفسه كان يحضر كمستمع للعلوم اللاهوتية، لم تكن الدراسة حملاً ثقيلاً يتطلب جهدًا خارقًا، كثير من الشباب ينجحون بالمجالين بسهولة.

ولكن «روبرت» لم يتحمل الضغوط. واكتشف أنه كان يفضل العمل المكتبى الوظيفى بدون دراسة، لم يستطع «روبرت» أن يكوِّن صداقات كثيرة فى مدرسة اللاهوت كالتى كونها فى المدرسة، وشعر بنفسه خارج هذا العالم بالكامل. عاد إلى البيت بعد رسوبه فى امتحان السنة الأولى بكلية الحقوق كسير القلب ومحبطًا لم يحاول أن يجد مبررًا لفشله، قدم أسفه لوالده كما لو كان يقدمه لشخص طيب وغريب، وتقبل أبوه اعتذاره كما لو إنه قدم إليه من شخص طيب وغريب. جلسا متقابلين أمام مائدة الغداء والأم بينهما توزع أنظارها متلفتة شمالاً ويمينًا.

قال «روبرت» إنه يشعر بالخجل من نفسه لأن رسوبه مضيعة لأموال أبيه وعار على اسمه ومكتبه، لم يوافقه والده على هذا الرأى، وأكد أن كثيراً من الناس تفشل فى أول الدراسة ولكنها تتفوق بعد ذلك وأنه لا داعى لكل هذا الانزعاج، ولديه العديد من الأمثلة من زملائه المحامين المشهورين يعترفون أنهم لم يكونوا يوماً تلامذة بارزين، وأنه فى السنة القادمة سيعوض الفشل الذى أصابه ببعض التركيز والدراسة الجدية، ومضى الليل وروبرت مازال مصراً على موقفه. لا يرى نفسه فى هذه المهنة ولن يفلح بالعمل فى مكتب أبيه لأنه لا يهتم أبداً بالنظريات القانونية أو فى طريق إدارتها والعمل بموجبها، ولذا فهو يشعر بالأسف الشديد لأنه خيب أمل أبيه. ولكنه يشعر بالراحة لأنه تبين هذا مبكراً قبل أن يستفحل الأمر.

وافقه والداه بعد أن لاحظا إصراره وسألاه ما البديل.

لم تكن لديه خطة معينة، كان متأكداً جداً من رغبته فى دراسة اللاهوت واكتشف بعد الممارسة أنها كدراسة القانون لا تجد عنده قبولاً. وأنه يجد فى نفسه الميل هذه الأيام لدراسة طرق وأماكن سكن الناس..

وتساءل الأب عن إمكانية قبوله لدراسة الهندسة المعمارية، ورد «روبرت» يائساً، أنه لا يقصد دراستها، بل العمل بمجالها، وأنه سيبحث عن وظيفة فى هذا المجال. وهذا فعلاً ما يود عمله. لم يفهم والداه هذا المنطق، فبرأيهما أن على الشباب أن يحصلوا على شهادة تؤهلهم للعمل الجيد، وتضمن مستقبلهم.

وعندما وجد «**روبرت**» وظيفة للعمل كمبتدئ فى وكالة لبيع العقار وتأجيره صرحًا بأنهما مسروران لأنه حصل على مبتغاه، لم يبد عليهما أى تذمر أو غضب وظلا على عادتهما نائيين عنه.

وظل الأب نائيًا أيضًا وهو يخبر روبرت عن عزمه باتخاذ شريك شاب يساعده فى مكتب المحاماة، وأنه عندما رأى أن «**روبرت**» لا يرغب فى العمل معه قبل عرض ابن «ديفيد ماكماهون» للمشاركة، وأكد له «**روبرت**» أن هذا تدبير جيد، ولكنه شعر بغصة عندما أدرك أن ابن «**مكماهون**» سيكون شريكًا بالنصف، واسم المكتب سيتغير إلى «جرين ومكماهون».

سألاه مرة أو مرتين فيما لو إنه يفكر بإقامة عمل صغير خاص فى راثدون لتجارة العقار.. ونصحاه بأن هناك العديد من الأماكن الصالحة لمثل هذا المشروع، فأهل البلدة يفضلون التعامل مع من يعرفونه ويثقون به، وأن عليه الإسراع لو كان ينوى قبل أن يأخذ الفكرة منه «بيلى بيرنز» الذى أقام كل المشاريع الجديدة فى القرية. ولكن بمنتهى الأدب والتصميم أكد روبرت أنه لا يفكر إطلاقًا بالعودة.. ولم يترك لهما أى أمل فى أنه ينوى مغادرة دبلن. ولا حتى فى المستقبل البعيد. وهذا تأكد فى اليوم الذى تساءلت فيه الأم عن رأيه فى إضافة دور جديد فوق البيت، وأجابها «**روبرت**» ببرود وعدم اهتمام كما لو إنه لم يلحظ تعمدها للغوص فى أسئلتها.

أو كما لو إنه لم يفهم أنه رجاء يائس وأخير. تحدث عن الفائدة المادية التى تزيد من ثمن البيت، وشرح لها حسنات وسيئات هذا المشروع ولكنه لم يدخل نفسه بأى شكل ضمن خططهم كما لو إن من يسأله الرأى سائح غريب أو عابر سبيل.

سألته أمه على استحياء مرة أو مرتين إن كان يتقابل مع فتاة ظريفة من دبلن، ولم تعاود تساؤلها لابد وأنه رد عليها ردًا قاسيًا ومقتضبًا وفكر بينه وبين نفسه : فهو الآن فى الخامسة والعشرين من العمر. ومن المفروض وأنه بهذا العمر أن تكون هناك فتيات فى حياته أما إذا كان الناس لا يعرفون أو أنهم يشكون فمعنى هذا أنه لم يلتق أبدًا بفتاة وأنه يتقابل مع «جيم».

شعر «روبرت» بضيق فى التنفس لمجرد التفكير «بجيم»، كانا سويًا وهما يتناولان الغداء الشهى، أصبح هذا من الطقوس المعتادة، اللقاء على الغداء يوم الجمعة، فجيم لا يقوم بالتدريس من بعد ظهر يوم الجمعة، لاحظت إدارة المدرسة أن التلامذة لا يستوعبون العلوم جيدًا فكرسوا بعد ظهر يوم الجمعة لحصص الألعاب والموسيقى وهكذا يستطيع جيمى أن يقفز من سيارته الصغيرة للقاء «روبرت».

لاحظ «روبرت» بسعادة أن المرح والصخب يعم دبلن كلها من بعد ظهر يوم الجمعة وليس المدرسة فقط، وفى المكتب أيضًا يقومون بالقليل من العمل، يبدو أن الناس جميعًا يتهيأون للعودة لبيوتهم مبكرًا.

كانت البارات تزدحم بالعمـال والموظفين ولذا استقر رأى كل من «روبرت» و «جيم» على هذا المطعم الإيطالى الذى توافق مع ذوقيهما، فهما ليسا من النوع السهل وكثيراً ما جرت بينهما مناقشات حادة حول نوع الطعام، كانا يمضيان فى هذا المطعم ساعات سعيدة وهانئة.

كان «جيمى» هو من أصر على عودة «روبرت» الأسبوعية إلى راثدون وهو الذى بحث له عن مكان فى الحافلة الليلكية لرحلته الأسبوعية.

كان « جيمى» يقول إنه يشـعر بالأسف لعدم تمكنهمـا من قضاء العطلة سـويًا، ولكـن هذا لن يسـتـمـر للأبد، وبما أن أبا «روبرت» العجـوز لم يكن يومًا متطلبًـا فمن الواجب على «روبرت» أن يذهب لزيارته فى الأشهر القليلة المتـبقية له من العمر، ولابد أن أمـه البائسة تنتظر عودته بفارغ الصبر، ولن يسـمح له جيمى بادعاء الإصابة بالبرد ليمتنع عن الذهاب حتى ولو لأسبوع واحد.

كان «جيمى» حازمًا ومصراً على قرار السـفر، وفى الحقيقة كان «جيمى» باتا فى كل أموره وهو سر من أسرار جاذبيته، لا يتحير ولا يتأنى ليزن قراراته وإن اكتشف بعـدها أن قراره خاطىء فهو بات أيضًا فى الاعتراف بخطئه وفى تبديله لـلنقيض وهكذا ظل مصراً على عودة «روبرت» الأسبوعية إلى ذويه هذا كان قراراً مطلقًا.

أما أهل « جيمى» فكانوا يسكنون دبلن ولـم يكن عليه السفر فى مساء الجمعـة، كان أصغر إخوته الستة.. مضى إخـوته الثلاثة وأختاه

فى السكة التى خططها لهم الأب، تجارة الصحف والمجلات بعضهم نجح فى إقامة مراكز جيدة على نواص مزدحمة فى دبلن، والبعض الآخر اكتفوا بأكشاك تقى رؤوسهم، وكانوا يبيعون معها المثلجات وبطاقات أعياد الميلاد لزيادة الأرباح، لم يكن الأب راضيًا عن «جيمى» وكان يعلق بحزن: «لابد وأن يظهر فى العش طائر أهبل شاذ. لا يحب أن يستمع لصوت العقل».

كان «جيمى» طفل العائلة المدلل، آخر العنقود، شجعه الجميع على التحصيل والدراسة لتميزه فى المدرسة والجامعة، والتحق بعدها بسلك التعليم فى مدارس خاصة منمقة (متميزة) كانوا يمازحونه أحيانًا ملمحين لشذوذه ولكنهم لم يواجهوه أبدًا بالنفى أو الاعتراف، كان لديهم الاعتقاد أن أى إنسان توصل إلى تعليم زائد على المعتاد لابد وأن تظهر لديه بوادر شذوذ بشكل أو بآخر، يصفونه مثلاً بالميوعة والرخاوة، يسخرون من تمايله وتراقصه فى مشيته ويضحكون من لباسه وتسريحة شعره، كما إنهم يحاولون البحث عن قرط فى أذنه.

ولكنه مع هذا كان يواظب على الذهاب إليهم مساء كل يوم أربعاء، يجتمعون فى المنزل المزدحم يتحدثون عن المنافسين وعن المجلات التى لابد ستحظر الرقابة تسويقها وتمنعها من النشر بعد أن تقع أنظار أحد المسؤولين عليها، يتبادلون وجهات النظر عن بعض الصحف اليومية وعن عدم جدوى توزيعهم لبعضها لأنها لن تستمر طويلاً.

كان «جيم» يشاركهم فقط فى توجيه أسئلة عن مواضيع يستعصى عليه فهمها . . يحضر لهم معه قالبًا كبيرًا من الكيك بالكريمة من محل الحلويات الفاخـر الذى يواظب على الذهاب إليه مع «روبرت»، لابد وأن أهله سيصعقون لو علموا بثمنه.

كانت عائلة «جيمى» من العائلات السهلة وغير المتطلبة والمكتفية بذاتها، فإن قرر «جيمى» الاختفاء من حياتهم إلى الأبد سيتفهمون الأمر بكل رحابة صدر. بينما إن تخلف «روبرت» ولو أسبوعًا عن زيارة أهله لجزع «آل جرين» كما لو إن هناك أزمة وطنية أو مصيبة قومية قد حلت.

وكان «جيـمى» يشعـر بالأسف على صديقـه المتوتر . . فـهو لا يعانى مثله هذا الإحساس بالذنب المستديم.

- قال له يوما : «إنك نبـتة حساسة ومرهفـة يا «روبو» فحتى لو إن عائلتك كانت سهلة المعشر كعائلتى ستبقى على توترك وحساسيتك إنها طبـيعتك ونفسيـتك المرهفة التى لن تتمكن من تبـديلها والتى لا حيلة لك فيها».

ورد عليه «روبرت» مستاء

- «لا تنادنى «روبو» يبـدو لى كـاسم طائر غـريب فى حـديقـة الحيوان».

- «أنت تبـدو فعـلاً كطائر نادر، يجد صـعوبة فى التـأقلم بأى مناخ». .

كان قد التقى «بجيمى» فى يوم سعيد فى مكتب العقار الذى يعمل به، كان هناك إعلان فى نافذة العرض عن كوخ لطيف صغير غير مجهز يقع فى ضاحية نائية ولا يمكن وصفها مهما بدا الوصف متفائلا أنها فى قبضة اليد.

دخل « جيمى» المكتب مقتحمًا بسترته الواقية للمطر، ونظارته الملونة وشعره الأشقر المسترسل على جبينه وكتفيه واتجه مباشرة نحو روبرت الذى استغرب هذا لأن مكتب الآنسة «كيندى» كان أقرب إليه. لم يشعر نحوه حينئذ بأى انجذاب، كل ما أراده أن يعقد معه صفقة مربحة ترضى عنه إدارة المكتب، قام جيم بتفحص صورة الكوخ، وبدت على ملامحه ابتسامة متلهفة مشرقة أخبره «روبرت» بحسنات وسيئات الكوخ المعروض، السيئات هى شقوق فى السقف يمكن إصلاحها والبعد والصخور الكبيرة التى تملأ ما يسمونه خطأ حديقة، وأما الحسنات فهو رخص ثمنه نسبيًا وأنه منفصل وخاص ولطيف وأنه إن كان يملك فائضًا من المال باستطاعته أن يشترى البيت المجاور له واستغلاله فى توسيع المساحة أو الاستفادة به اقتصاديًا فى المستقبل.

استمع «جيمى» باهتمام متزايد وطلب زيارة الكوخ فى أقرب فرصة، ذهب «روبرت» معه فى السيارة وبدون أن ينبذا بكلمة شعر كلاهما كما لو إنهما يخططان لمستقبلهما، كانا يقفان على الصخور ويتسلقان الجدران سويًا ليتأكدا من متانة السقف ويحاولان تصور ما يمكن عمله من تحسينات وإصلاح.

علق «روبرت» بعد أن علم من جيم أين يعمل.

- «ولكنه بعيد جدًا عن مكان عملك»؟

- «لا أريد أن أعيش قـريبًا من المدرسة التى أعـمل بها، أريد أن تكون لى حياتى الخاصة بعيدًا جدًا عن أعين المدرسة».

شعر «روبرت» بإحساس لا مُبرر له عن رغبة جيم بالعيش بعيدًا عن رقابة الناس.

وسأله:

- «وهل تفكر فى إيجار الملحق، أعنى لو عزمت على شرائه».

- «لربما فعلت، هذا أمر سابق لأوانه».

بدا «جيمى» مستعليًا فى رده.

واشترى « جيمى» البيتين بالتقسـيط، كان يدخر أمواله منذ أربع سنوات مضت، اعـتبروه زبونًا يُعتـمد عليه، وسُرّ مكتب العـقار من الصفـقة الرابحـة التى أتمها «روبرت» بنجاح، فـقد ظل هذا الكوخ معروضًا للبيع لفترة طويلة، بعد انتهاء الإجراءات شعر «روبرت» بوحدة مؤلمة، وشعر أنـه سيفتقد هذا الشاب المـرح الصغير « جيمى»، الذى سيـمضى لحـال سبيـله تاركًا «روبرت» فى مهب الريـح، يعانى من الفراغ والوحدة.

سيبني ولاشك هذا الجدار الذى تناقشا بشأنه كساتر ومصد للرياح، وسُينشئ بيتًا جديدًا منفصلاً عن البيت الأصلى يطليه باللون الأبيض، ولربما طلى الباب باللون الأحمر الزاهى وسيزرع نبات الخبيزة فى الحديقة ويبحث عن مستأجر ملائم يرتاح إليه، سيدفع أقساط الديون المتبقية عليه، وبعدها لن يسمع «روبرت» عنه شيئًا.

هاتفه فى يوم جمعة وقال:

- «هل يمكن أن تمد لى يد العون يا «روبرت»، فقدت كل النار المتأججة فى داخلى، ولم يعد لدىّ الحماس والدافع لإصلاح البيت، ولم أعد أرى أو أهتم بشىء، هل باستطاعتك المجىء لتذكرنى بهذا كله».

ورد «روبرت» بهدوء وبطء.

- «نعم، هذا ما أُحب أن أفعله»، وأمضى صباح يوم الجمعة منتشيًا فيما يشبه الغيبوبة، يكاد لا يستمع لمن يوجه له حديثًا.

وضحت الرؤية له الآن، الارتباك.. البلبلة.. الشعور بالذنب، الأمل الذى كان يراوده بالالتقاء يومًا بامرأة تجعله يستقر ويهدأ وينسى هذه الأحاسيس الغريبة التى تنتابه والتى كانت ترعبه أكثرمما تشعره بالراحة.

ولكنه كان يعلم أنه لن تكون هناك امرأة فى حياته لأنه لا يرغب بها، ولكن، لربما إنه أخطأ فى فهم ما يومىء إليه «جيمى»، وأن «جيمى»

ليس إلا شـابًا لطيـفًـا، لا يفكر إلا بتـبادل الحـديث مع هذا الشـاب الظريف الذى ارتاح إليـه والذى يعمل فى المكتب العـقارى. لربما إن لجيم خطـيبة أو صـديقة، حـينئذ كل مـا عليه أن يفعلـه هو أن يقود سيارته عائدًا بالطريق نفسه الذى جاء منه.

ولكن كان «جيمى» واقفًا ينتظره على الممر الخارجى للبيت، وها قد مضى عليهما زيادة على ثلاث سنوات وهما بأحسن حال.

قاما بإصلاح المنزلين الصـغيرين المتجاورين بعناية فائقة يسـتحقان عليها جـائزة لو عُرضا فى كتـاب البيوت الجميلة فى مـكتب العقار. ولكنهما لن يعرضـاهما أبدًا للبـيع، كانا بيتين منفصلين بشكل يوحى أنهما وحـدتان مستقلتان عند الحـاجة. دعا «جيمى» أهله لزيارته فى منزله الجديد، شكروه وأكـدوا له رغبتهم بالزيـارة التى لم تتم أبدًا، لم يضغط روبرت على والديه المسنين بالحضور لدبلن. ولم يذكر شيئًا عن معرفته «بجيمى».

عرض عليهما صورًا عن الجزء الذى يخصه من البيت والحديقة.

جمَّل «روبرت» و «جيم» الحديقة، وأصبح لهما خبرة بزراعة النباتات التى تنبت فى الأراضى الصخرية أكثر من أى شخص بالمنطقة.

كـان لديهمـا مطبخ واسع بحـوض وطاولة طبخ كبـيرة، تتـسع ليعـملا عليـها سويًا لو أرادا، أنفـقا كل قـرش يمتلاكانه عـلى البيت وسـرعان مـا كونَّوا صـداقات، يأتون لتناول العـشاء مـعهم ويبـدون إعجابهم بذوقهما الرفيع الممتاز.

هذا ما يجعل «روبرت» يكره السفر فى العطلة إلى راثدون، فأيام السبت من أهدأ الأيام وألطفها، يمضيـان يومهما فى التسوق والطبخ، ليس فقط من أجل «مارتين»و «جيف» الشـاذين مثلهما، بل أيضًا من أجل الزوجين اللطيفين الحديثي الزواج اللذين سكنا بجوارهما واللذين اعتنيا بحـديقتهما أثناء رحلتهـما إلى المغرب، هؤلاء هم الناس الذين يشعرون بالاسترخاء والراحة لصحبتهم، وأما فى المكتب أو المدرسة أو فى منزل أهل روبرت فلابد أن لا يعرفوا بأمرهما وأن يتظاهرا بالتباعد ويلتزما الحذر.

علّق «جيمى» أنه مما يدعو للسخرية، وهما يعيشان فى الثمانينات أن لا يستطيع البـوح بشذوذه، فلا مـانع لديه من الإعلان لو لم يكن متأكدًا أن آباء التـلامذة سيخافون أن تكون لديه مـيولٌ نحو أولادهم، وكان « جيم» يردد ساخطًا: «أنا أريدك أنت يا «روبرت»»، ياجميلى الأسـمر المحـبـوب، ويشعـر روبرت على الفـور بالغـبطة والسعـادة والإعجاب « بجيمى» الذى يبدو طبيـعيًا وغير مـحرج ولا يتوانى عن الإفصـاح عن عواطفه، حاول مـرارًا أن يحذو حذوه ويبدو تلقـائيًا، ولكن الكلمـات كانت تخـتنق فى حلقه، فـهو كمـا تصفـه «جودى هيكى» مُقفل ومنغلق، ويخجل من البوح بمشاعره.

ترى هل اكتشفت «جودى» شذوذه؟ . . لربما إنها خمنت، ولكنه لم يجد الشجاعة بعد، ولا المناسبة لإفشاء سره، ودعوتها إلى منزلهما لتستمتع برؤية نباتاته الصخرية التى ستحوذ على إعجابها.

بإمكانه طبعًا إفشاء سره «لجودى»، فهى أيضًا تسببت بفضيحة ولغو فى الماضى، ستشعر بالراحة لوجود سر آخر فى رائدون، ولكنه لن يستطيع أن يفصح لها عن سبب قلقه، وعدم رغبته بالسفر من دبلن كل أسبوع.

هل من المعقول أن يخبرها أنه يخاف أن يجد «جيمى» غريمًا يحل محله، حاول الاستفسار من جيمى، ساعة الغذاء، كيف سيمضى عطلته، وبدت الإجابات غامضة ملَّغمة، لربما سيزور بعض الأصدقاء، أو سيصلح آلة التسجيل، ويتفحص كراريس الطلاب، لم يفده بإجابة مريحة.

لنفرض أنه يريد بعض التغيير!! شعر بانقباض وبرودة شديدة فى جوفه لا.. لا.. لن يستطع أن يخبر مخلوقًا بعذابه هذا.

يشعر بالراحة وهو يستمع «لجودى»، من السهل الحديث معها، تحكى له عن أحوال العمل، وعن زراعاتها ونباتاتها ويحدثها بدوره عن عش غرام الرجل السياسى المشهور، وفى وسط الضحك والمزاح وبمنتهى البساطة أزاحت النقاب عن ماضيها المثير الذى أصابه بالدهشة.

زوجة شابة وأم تتاجر بمنتهى الجرأة بالمخدرات، وزوج يعقد صفقة مع رجال القانون كما يفعل رجال العصابات فى الغرب الأمريكى، وحالة البؤس والإحباط، والمهانة بعد أن حُرمت من

أولادها وطردت من سكنها، ونـبذت من المجتمع، سـتثور أعـصاب جيمى لسماعه ما جرى لها.

باستـطاعة «روبرت» الإنصات إليـها إلى الأبد، ولكنهـا قررت فجـأة أن قصـتهـا مملة، ودخلت بحديث عن فـوائد اليوجـا مع هذه البلهاء «نانسى موريس».

أخبرته «جودى» أن أمه لا تكف عن التفكير به طــوال يومها، هذا ليس صحيحًا، فأمه مشغولة جدًا بأبيه المريض، والأعمال المنزلية، وزراعة الخضـروات فى الحديقة الخلفية وإطعـام الدجاج ولكنها منهكة برعاية أبيـه والتخفـيف عنه، كانت تخاف أن ابن مكمـاهون الشريك الجديد، لا يُظهـَر الاحترام الواجب لشريكه الكبـير والمؤسس الأصلى لمكتب المحاماة.

لا تُبـدى الأم أى اهتمـام بحيـاة روبرت فى دبلن، وهذا شىء مريح، ولكن يعنى أن أمه ليست دائمة التفكير به كما تدعى «جودى»، لابد أن هذه أضغـاث أحلام « جودى»، وهى على الأرجح تأمل أن يفكر بها أولادها المبعدون كل يوم.

كان منزل العـائلة أبيض اللون وصغيـرًا، تزينه النباتات المتـسلقة على سـقـيـفـة باب المدخل، يـظن جـيـمى أن مـحـامى العـائلات البروتستانتى فى الريف، لابد وأن يسكن منزلاً كبيرًا واسعًا ليثير مهابة المزارعين حوله.

ورد «روبرت» أنه فى راثدون لا يوجد سـوى منزلين كبـيرين . . واحد يملكه الـطبيب «يورك» الذى يعتـنى به ويحافظ على جـماله، والآخر منزل القـسيس القديم وهو منزل مهـمل ومهجور ويبـدو أشبه بصخرة مغطاة بنبات اللبلاب المتسلق.

فالقسيس الحالى لم يعد يقـيم فى راثدون، يحضر فى صباح يوم الأحد من المدينة المجاورة ليـقيم القدّاس فى الكنيسة الصغـيرة الجميلة وينتقل بعدها لقرية مجاورة ليقيم قداسًا آخر قبل عودته إلى المدينة.

بدا «جيم» متأثرًا وراغـبًا فى زيارة القرية ولكن روبرت لم يجد الجرأة يومًا لدعوته، بينما قام جيمى بدعوته عدة مرات لزيارة أهله فى دبلن، ولم يكن على سجيته معهم أبدا.

كانت أمـه بانتظاره كـالعادة على باب البـيت، وهذا ما أزعـجه وشعر بعدها بالضيق لشعوره بالانزعاج. لِمَ لا يريدها أن تنتظره خلف الباب؟ كان سـبب انتظارها خوفها أن يقلق صـوت رنين الجرس راحة الأب ولكن وقفـتها هذه تتـرك عنده انطباعًا أنهـا بانتظاره طوال اليوم مترقبة ظهور خياله من وراء زجاج الباب. سلم عليها بصوت خافت، وخلع سترته، جلد السترة الجديدة الناعم لامس عنقه، وذكره بصديقه جيمى.

إنها هدية «جيمى» له فى عيد ميلاده.

كـان تعليق دى «يورك» سليـمًا، لابد وأن هذه السـتـرة كلفت «جيمى» ثروة، عاوده الشعور بالقلق، لِمَ أنفق «جيمى» كل هذا المبلغ عليـه؟ وحذر نفـسه بـقسـوة مؤنبًـا نفسـه: أبعـد هذه الظنون عنك يا«روبرت»، «فجيمى» شاب طيب وحميم، لِمَ تنساق وراء هذه الشكوك البلهاء؟ جيمى الآن فى المنزل يُصلِح الكراريس، ويشاهد التليفزيون.

قطعًا لم يذهب إلى أية حـانة ليبحث عن رفـيق ما، لمَ تريد أن تهدم كل شىء؟

استـقبلته أمـه وهمست: «إنه على ما يرام، يبـدو اليوم متـفتح الذهن ورائق». . صافى.

- «ماذا»؟

- «أبوك، ذهنه رائق، يترقب وصولك، سـألنى عدة مرات متى ستـصل الحافلة الليلكيـة، وكلما سـمع صوت محـرك سيـارة تساءل أليست هذه الحافلة»؟

وضع «روبرت» حقيبته فى الممر وأجاب

- «هذا شىء رائع يا أمى. . رائع فعلاً».

قـال هذا بقلب مـثقل، وصـعـد السلالم القـليلة ببطء وتوجس ليقـابل الرجل الكهل الذى كان يبدو بوجهـه الصغير الضـامر وجلده المكرمش أشبـه بالمومياء، هذا الرجل الذى لم يستطع طـوال حياته أن يجرى معه أى حديث.

كان يومًا مشـمسًا ولكن غرفة أبيه كانت مـظلمة لأن النور المبهر يؤذى حدقة عينيـه، كانت أمه تقوم بحفظ الفاكهـة، وجيمى يقول إن الكاثوليك لا يحفظـون الفاكهة، أعطاه مـعلومات أخرى خـاطئة عن الروم الكاثوليك، يعلم روبرت أن كلها من افتراءات جيم.

تربى «روبرت» على احـترام مـعتقـدات ودين الآخريـن، وكان والداه يعتقدان أن الطقوس والتزمت يعـيقان تطور الناس إلا إنهما كانا ينظران باحتـرام لحشود الناس الذاهبين للقدّاس يوم الأحـد، مع إنهما لا يذهبان.

وقد ذهبا إلى دبلن لرؤية البابا يوم أن زار أيرلندا. وعلق «جيم» على هذا الخبر أن أهله جـمعوا ثروة صغـيرة فى هذا اليوم لأن الناس حرصت على شراء كافة الصحف خوفًا أن يفوتهم خبر.

عاوده الحنين إلى بيته فى دبلن، وفكر «بجيمى»، لابد وأنه يحتسى القهوة الطازجـة الآن، ويقرأ صحيفـة التايم، لربما سيخـرج للحديقة ليقلِّم النباتات ويعـيد تنسيقهـا، فهذا هو الموسم المـلائم ولكن.. لا، «جيم» سينتظـره ليقومـا بهذا سويًا، لربما إنـه يحاول إصلاح جـهاز التسجيل.

أرجوك يا «جيمى»، لا تذهب بسيارتك إلى المـدينة لأنك تشعر بالمـلل ولا تبحث عن صديق لتأخذ معه كأسًا.

بادرته أمه فجأة، كـما لو إنها استشعرت إحـساسه بالغربة ظاهراً فى عينيه.

- «شيء جميل حضورك الأسبوعى، لكم سيسعد والدك بالحديث معك».

رجاه «جيمى» أن لا يقطع أيرلندا من أقصاها إلى أدناها ليختلف مع أهله، كيف «لجيمى» أن يتفهم أنه لم يحدث أبداً طوال حياته أى نزاع أو اختلاف بينه وبين أهله، كل ما بينهما برود وتباعد و «جيمى» ينصحه قائلاً:

«بما إنك تتحمل مشقة السفر فقم بواجبك على الوجه الأفضل، ولا تنكد على نفسك وعليهم، بما إنك تقوم بالمبادرة فقم بها على الوجه الأمثل، واظهر لهما تعاطفك ومحبتك واعرض لهما خدماتك.

حاول «روبرت» أن يكون لطيفًا فسأل أمه:

- «يبدو أنه أصبح مُحبًا للمحادثة.. ألا يرهقه هذا»؟

- «إطلاقًا، يخطط الأسبوع بطوله لما يود أن يحدثك به، فى بعض الأحيان يطلب منى أن أدوّن المواضيع الرئيسة لأن ذاكرته تخونه ولا يتذكر ما كان يود أن يحدثك به، ولكنك بباله طوال الوقت».

أومأ «روبرت» مكتئبًا.

وأضافت الأم:

- «مثلاً، كان يود أن يسألك عن المجمعات الجديدة، كان مهتمًا جدًا يريد أن يعرف منك الطريقة التى يتم بها البيع، وعن الترخيص وهو يقول إن هذا لم يكن موجودًا فى العقود القديمة التى كان يبرمها، ولكن كل ما طلب منى تدوينه هو شقق متجاورة، وكما رأيت لم يستطع أن يتذكر الأسبوع الماضى لِمَ دون هذه الجملة؟».

حاول «روبرت» أن يبدو أكثر تعاطفًا مما يشعر.

وقالت الأم برجاء:

- «ولكنه يبدو هذا الأسبوع أكثر تفتحًا ووعيًا، ألم تلحظ ذلك»؟

- «فعلاً، فهو أفضل بكثير، كان يتحدث معى عن بيتنا هذا، وما الذى سنذكره للمكتب العقارى للتعريف به وتقييمه فيما لو أردنا عرضه للبيع وأعطيته بيانا مبالغًا به يعزز من قيمته لدرجة تثير السخرية والضحك، فأفتر ثغره عن ابتسامة باهتة».

- «هذا شيء جميل، فهو قلما يبتسم خصوصًا فى الفترة الأخيرة».

- «لمّ لا تستريحى قليلاً يا أمى أثناء وجودى، خذى إجازة واذهبى إلى المدينة القريبة، لربما ستحبين ذلك، سأعتنى به فى غيابك، وألبى طلباته».

- «كلا.. كلا.. أريدك أن تستمتع بإجازتك».

- «ولكنى أود أن أفعل هذا، فأنا على أية حال لا أقوم بأى شيء وأنا أعنى هذا سأعتنى بوالدى وأعطيك فرصة للاهتمام بنفسك والترويح عنها لبضع ساعات فى الإجازة».

كان عرضه جادًا وسخيّا، ولكنه كان يعلم أنها ستخطئ فى فهم مشاعره لأنها اعترضت صارخة.

- «ولكنك لا تأتى إلا فى عطلة نهاية الأسبوع، أريد أن أستمتع بلقائك، ولا أضيع الفرصة بالذهاب إلى المدينة، بإمكانى الذهاب فى أى يوم آخر، سأستعين بالسيدة موريس أو بمارى بيرنز زوجة بيلى كى تحلا مكانى فى غيبتى، أود أن أنعم بوجودك وقربك معنا».

ورد :

- «طبعًا، بالتأكيد».

أصيب بالذهول وتكدر لشعوره بأنه جرح أحاسيس أمه، وفكر لو كان «جيمى» مكانه لما تلفظ بمثل هذا أبدًا، ولبعث الحياة والمرح والصخب فى البيت منذ الدقيقة الأولى التى يدخله، أين أنت يا«جيمى».

تناولوا غذاءهم، الصنف الوحيد الذى لا يمكن أن يقدمه أحد سوى أمه:

وهو عبارة عن ترتيبات لا نهاية لها من تقطيع شرائح الخبز، ومسحها بالجبن وتغطيتها بشرائح الطماطم المقطعة، والنتيجة لا شىء، لا طعم ولا قيمة غذائية،لو إنها تسمح له بالقيام بمهمة الطبيخ، ولكن من أين لها أن تعلم فهو لم يعرض عليها يومًا خدماته، كان يشعر بالحرج فى البوح أن باستطاعته أن يقدم لهما غذاءً شهيًا ونافعًا فى ربع الزمن كما لو إنه بفعله هذا سيتنازل لهما عن شىء من ذاته.. إذن فالخطأ فيه مثل أى شىء آخر.

جاهد الأب طوال بعد الظهر ليحافظ على وعيه، وجاهد «روبرت» من جانبه لتحمل الملل والمعاناة.

وجلست الأم بينهما تطرز مفارش صغيرة تقدمها لأختها المتزوجة من راعى الكنيسة لعرضها والاستفادة بثمنها للأعمال الخيرية.

بذل الأب مجهودًا كبيرًا ليستعيد ذكرى أيامه الجميلة ونجاحه كأول محامٍ افتتح مكتبًا فى القرية، حين كان كل شىء مختلفًا وأفضل.

فى الماضى كان يُسعد والده أن يستطرد فى ذكرى الأيام الخوالى، ولكنه فى المدة الأخيرة توقف عن هذا، وبدا مصرًا على أن يُظهر لهذا الضيف العزيز الذى يواظب على المجىء لرؤيته كل أسبوع بأنه مهتم به وبه فقط.. ماذا يفعل؟.. ماذا يريد؟.. وكانت روح «روبرت» تئن ويحدث نفسه: «كل شىء على ما يرام يا أبى، إهدأ بالاً، حياتى لا بأس بها كل ما أتمناه أن أراك ووالدتى بخير.. لِمَ إذن كل هذه الأحاديث والتساؤلات التى لا فائدة منها؟.. لم يعد هناك ما يقال.»

أوشكت الشمس على المغيب، ولم يعد بطاقته التحمل أكثر، تعلل أنه وعد جودى هيكى بمساعدتها فى زراعة حديقتها، من الأفضل له الانطلاق إليها قبل أن ينفد صبره.

وعلّق الأب بصوت قوى أثار دهشة «روبرت».

- «إنها فعلاً سيدة شجاعة «جودى هيكى» هذه، احتفظت برأسها عاليًا فى هذه القرية، لمدة عشرين سنة».

وأجاب «روبرت» مدافعًا:

- «نعم، ولمّ لا، لقد نالت عقابًا صارمًا».

- «تحملت العقاب والمهانة، ولم تهرب وتختفى، رضيَت بالتنازل عن مركزها كسيدة للبيت الكبير، وسكنت الكوخ الملحق به».

أضافت أم «روبرت»:

- «وأسوأ ما فى الأمر أنها خسرت أولادها».

- «هذا صحيح، لن أتغيب طويلاً».

شعر «روبرت» وهو يخرج من البيت أنه يسترد أنفاسه المحبوسة بعد أن استنشق الهواء الطلق، وانطلق باتجاه منزل «جودى».

كانت «جودى» تستلقى متكورة على نفسها كالقطة، لم تسرها رؤيته حتى إنها أوشكت على طرده فى الحال، كانت مثل «جيمى» جازمة وقاطعة ولكنها لا تملك جاذبيته وأسلوبه المقنع. يبدو رأى «جيمى» دائمًا منطقيًا وعقلانيًا، أما هى فتجعله أشبه ما يكون بفرض أو واجب ثقيل، وبدت مصرة وجازمة فى رغبتها بعودته لأهله.

نهضت فى الحال وتمطت، فردت نفسها وأعلنت أنها ذاهبة للسير فى غابة زوجها والتى تسميها غابة «جاك هيكى».

قالت له عليه أن يجلس مع أبيه ويتحدث معه بأى شىء عليه أن يبذل جهدًا ليبين لأبيه أنه مهتم به وبأحواله ولكن ما الذى سيفاتحه به،

لن يستطيع أن يصارحه أن أوتار قلبـه تكاد تتقطع بموس الغيرة الحاد، أو عن خوفـه من احتمـال خيانة جـيمى وهجره لـه، لا يستطيع أى إنسان مهما كان جنسه أن يخبـر والده عن محبوبه، فما بالك بوضعه الشاذ هذا؟.

لن يستطيع أن يصف حياته الخاصة، وحديقته الجميلة، والبراعم الجديدة التى تفتحت فى الحوض عن زهور زرقاء بديعة فى شهر يوليو الماضى، ولا عن الصور الفوتوغرافية التى التـقطاها لبعضهما البعض مع الزهور.

كيف له أن يتـحدث عن جمال الحـديقة والأزهار ولا يأتى على ذكر جـيمى، فـهمـا كالتوأم مـعًا فى كل شىء فـى البيتين المتـصلين والمنفصلين. فى المطبخ يجهـزان الطعام، فى رحلاتهما الاستجـمامية والترفـيهـية، فى القـراءات وفى الضحك، مـثلهما مـثل أى زوجين عاديين.

تكدر من قسوة «**جودى**» عليه، عاد يجرجر أقدامه إلى البيت مرًّ على بقالة «**كيندى**» ولاحظ وجود شابة ضخمة جميلة تمتلىء بالحيوية، ينظر إليها هذا الشاب ذو الشعر الأحمر «**ريد كيندى**» نظرة ولّه وعشق، وقد اكتسى وجهه بابتسامة بلهاء، يبدو أنهما على وشك الارتباط.

تحسر على نفسه تبدو الفتاة على درجة كبيرة من الجاذبية والإثارة ولو لم يكن شاذًا لكان لديه الآن الميل والرغـبة للارتباط بفـتاة جذابة

ومغرية، ولبدت الحياة سهلة وجميلة وغير معقدة ولأدخلت هذه الفتاة الضحك والصخب على منزل أهله الهادىء الرزين، المغلف بالصمت.

وفجأة سرح بخياله وتصور «جيمى» واقفًا على باب بيتهم وبيده باقة من زهور الحديقة يقدمها لأم روبرت ويرجوها أن تجلس وتستريح، وتمد رجليها المتعبتين، وتتيح الفرصة له ولهذا الابن الشنيع أن يحلا محلها فى تحضير وجبة الغذاء كنوع من التغيير، تصور «جيمى» وهو يقص على والده النوادر والأحداث التى تصادفه مع الأولاد فى المدرسة، وعن الارتفاع الكبير الذى طرأ على أسعار الأقساط المدرسية والمصاريف الإضافية التى يُلزم الأهل بدفعها فى المدارس الخاصة.

وعن الحفلات الموسيقية المريعة. تصور نفسه و «جيمى» يتمشيان على مهل فى شوارع القرية، يتوجهان نحو حانة رايان ليأخذا كأسًا قبل موعد العشاء، بعد أن انتهيا من تحضير وجبة العشاء للعائلة، وتركا الأكل لينضج على مهل فى الفرن.

سيدخل «جيمى» البهجة والإشراق إلى منزلهم فى راثدون أكثر من أية فتاة حادة من فتيات القرى المجاورة، وعندما استقبلته أمه ثانية على باب البيت متظاهرة أنها تقوم بتنظيف المدخل فاجأها قائلاً:

- «تدور بذهنى فكرة.. هل باستطاعتى أن أصحب صديقًا لى فى عطلة الأسبوع القادم»؟

ومضت الأمور بعدها بمنتهى اليسر، ردت الأم أنها تشعر بالغبطة لأنه أعطاها مبررًا لتنظيف وتهيئة غرفة الزوار، فأمامها أسبوع كامل للتحضير والتنظيف، كان هذا ما تنوى القيام به منذ فترة طويلة وكانت تؤجله لأنه لم يكن لديها الحافز، وعلق الوالد أنه مهتم ومتشوق لمقابلة المدرس الشاب الذى يعمل فى تلك المدرسة بالذات لأنه يعرف الكثيرين ممن تخرجوا فيها على أيامه، كانوا جميعًا من المتفوقين والناجحين فى أعمالهم وحياتهم. ولكن الغريب أنهم بدوا جميعًا كما لو أنهم تضافروا واتفقوا على ذم المدرسة ونعتها بالسوء.

شعر بالخوف عندما سألته أمه عن قبول صديقه لدعوته فهو حتى لم يسأل «جيمى» بعد، فلنفترض أن جيمى تمنع، ولم يقبل الدعوة؟. . تلعثم قليلاً ورد.

- «أرجو أن لا يكون لديه مانع، لم أحاول دعوته بعد» واقترحت الأم، التى تعتبر أن الاتصال بأية منطقة خارج راثدون كما لو كان اتصالاً بكواكب أخرى خارج الكرة الأرضية.

- «لمَ لا تتصل به هاتفيًا»؟

قدمت عرضها بحرص خشية أن يُمنى ابنها بالفشل.

أجاب «جيمى» على الهاتف وبادره قائلاً:

- «يا إلهى، جميل أن أسمع صوتك».

- «أهاتفك من البيت».

أرجو هذا، فـفى بعض الأحيان تنتابنى الهـواجس وأتساءل لربما أنك تسافر إلى أماكن بعيـدة وغريبة بدونى، ولكنى قررت أن أثق بك ثقة عمياء.

بدت ضحكة « جيـمى» وهو يقـول هذا دافئـة مـعبـرة، وابتلع «روبرت» لعابه وأجاب:

- «الجـو هنا رائع هـذا الأسـبـوع والشـمس مـشـرقـة وكنت أتساءل. . . أتساءل»؟

«نعم»؟

«كنت أتساءل؟ . . ما رأيك بالمجيء معى فى الأسبوع القادم»؟ . . رد «جيمى» على الفور.

- «سيسعدنى هذا بالطبع».

رد «روبرت» فرحًا:

- «ستأتى فعلاً، ستأتى فعلاً يا «جيمى»!!

- «بالطبع، كنت أحسب أنك لن تعرض علىَّ هذه الدعوة أبدًا».

(٧) سيليا CELIA

اعتادت «إمير» صديقة «سيليا» بأن تصفها «بالحافلة الراقصة» ففى المساء مـن كل يوم جمـعة، يعود الـشباب من كـافة أنحـاء دبلن إلى مـساقط رؤوسـهم للالتقـاء فى صـالات الرقص الواسعـة والغاصّـة بالشباب المرح، بـدت هذه العادة كظاهرة جديدة وكنوع من التغـيير. حيث يعم المرح والصخب ووجدوا أنها طريقة مثلى للتواصل، فلديهم ميزة تمضـية أيام الأسبوع فى دبلن ونـهايته فى قراهم حتـى لا يفقدوا الوصل بجذورهم الأصلية.

ضحكت «سيلـيا» وهى فى طريقـها نحو الحـافلة، إنها فـعلاً خاصة ومميزة. وهذا ما حدثت به صديقتـها إمير وهما ترتشفان الشاى فى غرفة الاستراحة بالمستشفى التى تعملان بها، حكت لها عن ركاب الحـافلة، هذه المجمـوعة التى واظبت عـلى التجـمع فى تمام الساعـة السابعة إلا الربع من مساء الجمعة من كل أسبوع.

تمنت «إمير» لو سنحت لها الفرصة للانطلاق نحو الغرب خلال عطلة الأسبوع هربًا من الغسيل والتنظيف، ومن محاولة إقناع أولادها الثلاث المراهـقين بأنهم لا يملكون المـال الكافى لإجابة كل طلـباتهم. وإقناع الزوج، العـاطل عن العمـل لثلاث سنوات مـضت، أن هناك فائضًا من المـال يكفى كل شىء.

كان «لإميـر» أخت تسكن فى المدينة الـتى تبعـد ١٧ ميـلاً عن راثدون وفكرت «إمير» أنه لمن المبهج أن تذهب لزيارتها من آن لآخر. وفعلاً، سـاعدتها «سيليا» على تحقيق أمنيتـها، وكانت تعطى مكانها مرة فى الشهر لصديقتها إمير لتذهب فى الحافلة لزيارة أختها.

وشعرت عائلة «إمير» بالامتنان «لسيليا» لأنها كانت تعود إليهم فى مساء الأحد فرحة وغير متذمرة، يقدمون لها قدحًا من القهوة وهم يعلنون عن بهجتهم بعودتها وافتقادهم لوجودها.

كانت «سيليا» ترحب بالذهاب لصالات الرقص من حين لآخر، تسعـد بالرقص وبالاستمـاع لأفضل الفـرق الموسيقـية التى تزور هذه الصالات المزدحمة بالراقصين من شباب الريف.

كانت بالسـابق ترقص مع «ريد كينيدى» أخو «كيف» وإن كان المفضل عندها أخاهما البكر «بارت» الذى يمكن الاعتماد عليه، لربما أنه غـامض بـعض الشىء ولكنه كـان دائمًـا بالخـدمـة عند اللزوم وخصـوصًا عندما تستـدعى الضرورة، علقت «إميـر» يبدو أنه الرجل المناسب لكِ، ولكن «سيلـيا» ترى أنه لا نية له بالاستـقرار والارتباط بالزواج، وهى لنَ تضع أنـظارها ثانيـة على رجل آخـر ينوى أن يظل عازبًا للأبد يكفـيها ما عـانته مع الأول ولن تعاود الخطأ مـرة أخرى. تنهدت «إميـر» مـؤيدة وتساءلت فى نفـسهـا، لِمَ تحاول أن تشـجع صديقـتها على الزواج والانضمـام إلى الفريق، فالزواج بعد التـجربة ليس كما تأملت سعادة ومرح، فهو فى الواقع ومن نواح عدة ليس به

ما يسر هذا الرأى كثيراً ما أوحت به «لسيليا» التى كانت بدورها تضحك منه ولا تأخذه مأخذ الجد فهى تعلم جيداً أن «إمير» التى تبلغ الثامنة والثلاثين من العمر، والتى تبدو قوية وساخرة تكاد تموت حبًا فى هذا الزوج الوسيم وهؤلاء الأولاد الذين يزدادون طولاً كل يوم وتزداد معهم احتياجاتهم لثياب جديدة، «وسيليا» لن تنوى الامتناع أو الإضراب عن الحب والزواج مهما ساقت «إمير» من حجج، لأنها كانت مؤمنة بالزواج، ليس بإلحاح وليس فوراً، وليس بأى ثمن، ولكنها تريده أن يتم يومًا ما مع الشخص المناسب، بالرغم مما عانت منه مع أهلها.

فهى لا يمكن أن تتذكر يومًا فى حياتهما بدون نزاع أو مشكلة. وكان يتم معظمه علنًا وعلى الملأ، كيف لا وأهل راثدون يتجمعون فى الحانة منذ الحادية عشرة صباحًا وحتى آخر الليل، فكان لابد لهم أن يستمعوا إلى الشجار والصراخ، وأن يلاحظوا احتقان نار الغضب فى وجهى السيد والسيدة «رايان» وهما يقومان على خدمتهم وتلبية كافة طلباتهم فى الحانة من طعام وشراب، ليعودا ثانية إلى الغرفة الداخلية ليستعيدا الشجار وإثبات وجهات نظرهما المختلفة، كثيراً ما سمعت «سيليا» أن الخلافات بين الأهل تؤثر بالسلب على الأطفال، وتجعلهم قلقين انطوائيين أو عدوانيين، ولكن هذا لم يحدث مع أولاد عائلة «رايان»، كل ما فعلوه أنهم وبعد أن بلغوا سن الرشد ذهبوا بعيداً. أقصى ما يمكنهم البعد، انضمت الأخت الكبرى إلى مجموعة من

الراهبات الأستراليات، كن قد وصلن لأيرلندا بحثًا عن عضوات جديدات للتبشير الدينى، كن على ما يبدو يبحثن عن عضوات صغار السن جدًا لأن أختها لم تكن قد أتمت السادسة عشرة بعد. ولكن العرض بإتاحة الفرصة لها لإكمال دراستها كان مغريًا وكانت تبعث على فترات متباعدة رسائل غير مفهومة عن أماكن وأشياء لم تهتم بإعطاء بيانات واضحة عنها.

وذهب الولدان أيضًا، ذهب «هارى» إلى «ديترويت» فى أمريكا و «دان» إلى «كادلى» فى إنجلترا، كانا نادرًا ما يكتبان وإن كتبا فهى رسائل قاسية وخالية من العاطفة، تنم عن جهل وقلة إدراك لم تكن ظاهرة عليهما فى مطلع حياتهما، فمثلا يلمحان أن بارًا (حانة) فى أيرلندا يساوى الآن منجمًا من الذهب، ويكتب «هارى» أنه قرأ فى ديترويت أن أيرلندا تمر الآن بالعصر الذهبى بعد أن انضمت للسوق الأوروبية المشتركة، ويكتب «دان» أنه سمع أن امتلاك رخصة لبار فى غرب أيرلندا هو بمثابة رخصة لصك العملة.

هذا النوع من التلميحات والرسائل كان يكدر « سيليا» ويؤذيها، فهو تقرير مباشر أن «سيليا» وأمها يكسبان جيدًا من إدارة البار، وأنهما بأحسن حال، ولكن نظرة إلى واقع الأمر وسوء الوضع المالى وحالة الأم تجعلها فى حيرة، أتضحك أم تبكى من سخرية القدر؟.

منذ خمس سنوات مضت عندما مات الأب علق الناس أن هناك على الأقل فرج ورحمة، فالسيدة «رايان» كانت فى الواقع هى التى

تشرف على إدارة الحانة بمفردها. ولاشك وأنها بعد أن تمرست لمدة طويلة ستتحمل المسئولية كعهدها كاملة بدون مشاكل، فهى ليست كغيرها من الأرامل اللاتى لا دراية لهن ولا فكرة عن أعمال أزواجهن.

كانت فى الماضى تقوم بالعمل بمفردها بينما يجلس الزوج السكير فى زاوية من البار مع شلته يمارس هوايته وينكد عليها. واستمرت المسكينة بعد موته فى إدارة العمل بجد وجدارة توظف شابًا صغيرًا لغسل الكؤوس فى الصيف لازدحام المكان، ويأتى «بارت كينيدى» طواعية ليمد لها يد المساعدة عندما تعجز عن القيام بالعمل بمفردها.

وفعلاً مضت أمورها على أحسن حال.. لم تشكُ يومًا من قلة الزبائن، فالشرب ليس كالأزياء موضة يزيد أو يخف الطلب عليه، بل هو طلب دائم فالناس لا تتوقف عن الشرب فى السراء والضراء وخصوصًا فى عطلات نهاية الأسبوع حيث يعج المكان بالزبائن.

لم يكن هناك أى مانع لنجاح العمل، فهو البار الوحيد فى راثدون فلا مجال للمنافسة، جال بذهن «بيلى برنز» أن يطلب رخصة لإنشاء بار ولكن هذا لم يتم، لا تدرى سيليا لِمَ كانت تفكر « ببيلى بيرنز» طوال يومها، نهضت من النوم وبرأسها هذه النغمة «أين أنت طوال النهار؟ يا بيلى !! يا بيلى» يجب أن تقدم هذه الأغنية لأخيه

«جيمى» فهى تتمشى فى وصف حاله مع أخيه، «فجيمى» هذا طيب وبرىء على عكس أخيـه الشديد الذكاء والطموح والمقـتنص للفرص، ليس لأنه فكر أن يفتح باراً، فهـو لو فعل هذا لكان الحل الأمثل لحل مشاكلها كلها، لا مـانع لديها أن يفلس البار ويصل إلى الحضيض من جراء منافسة شرعية. فهى طريقة مشرفة لغلقه، ولكن أن ينهار العمل ويفلس البار نتيجة لسكر أمها وإدمانها فهذا أمر آخر.

وما يؤلم «سيليا» أنها لا يمكن لها أن تواجه أمها ولو حتى بشكل غير مباشر، فهى وبحكم عملها تعلم تماماً ماذا يفعل الإدمان بالناس. والعدد الكبيـر من المصابين الذين يقعون فريـسة له هذه الأيام، فمنهم من يجعل من نفسه أضحـوكة ويغرق فى ديون لا طائل لها للخلاص منها، هناك العديد من الرجال فى راثدون تظهر المسام المتقيحة الحمراء على أنوفهم والشرايين المتفجرة الزرقاء على خدودهم من تأثير الخمر. كما إن هناك بعض النساء يذهبن إلى المدينة الكبيرة التى تبعد ١٧ ميلاً عن راثدون بحجة شراء لوازمـهن، ولكن باستطـاعة «كـات رايـان» أن تؤكد أن جلّ مشتـرياتهن زجاجات صغيرة من الخمـور مخبأة تحت ما يتظاهرن بشرائه من مفارش شاى أو غيرها، يشترين عبوات صغيرة يسهل التـخلص منها أو إخفـاؤها، وباستطاعة «كات رايان» أن تشـير إليهن أن يحضـرن ويطلبن كأساً واحدة وترقبهن وهن يفـرغن عبوات زجاجـاتهن المخبـأة فى حقـائب اليد لأنهن لا يرغبن أن يلـحظ أحد

طلبهن زيادة عن كأس واحدة، ولكن «كات رايان» لا تذكر قصة هذه السيدة التى لا تحتاج لإخفاء زجاجاتها لأنها مرصوصة هناك على الأرفف بكل الأنواع والأشكال، والتى تحيط بها من كل جانب كوسيلة لكسب العيش على مدار اليوم. .

شعرت «سيليا» بصدمة شديدة يوم أن لاحظت شرب أمها، كانت الأم التى تكره الخمر ولا تشربه، والأب الذى يشرب ويسكر، كانا متضادين كاليمين والشمال أو الأبيض والأسود، منظر الأم وهى تعاقر الخمر أخرج «سيليا» عن طورها. لم تعد تلك الممرضة الصابرة الهادئة التى تساعد المرضى فى أجنحة المستشفى وخصوصًا وبعد أن استمعت إلى أمها وهى تتفوه بكلمات بذيئة متعثرة وتحتدم بنقاش مشوش لا يصدر إلا عن السكارى.

وفى اليوم التالى قدمت الأم أعذارًا مخيفة، مدعية أنها تناولت طعامًا مسمومًا من الدجاج المهروس، وأنها ستراسل الشركة التى تصنع هذا النوع من الطعام مرفقة تاريخ الإنتاج لأنه السبب الذى أربك معدتها وأجبرها على التقيؤ عدة مرات بالليل، وأن هذا ما شوش ذاكرتها وأصابها بالغثيان، هادنتها سيليا وهى تقول، إنه لربما كان الدجاج فاسدًا، ولكن فقدان الذاكرة والنسيان سببهما على الأرجح شرب الخمر، استبد الغضب بالأم وثارت ثورة حقيقية كالتى تصيب الأب، وأصرت على أنها لم تقرب الخمر وتحدت « سيليا» أن تذكر أنها رأتها ولو مرة وهى تمسك بكأس من الخمر.

رأت «سيلـيا» أنه من الأفضل أن لا تصـعِّد الأمر لربما إنهـا مرة واحدة فقـط . . ولن تتكرر وبعد هذه الحادثة بثلاثة أسـابيع عادت إلى المنزل فى الإجـازة ووجدت أن أمهـا تخلط الجين بالفودكـا، أو تنسى استـلام ثمن المشروب، أو تترك الصـنبور مفـتوحًا لينسـاب المشروب ويغرق المكان وهى منهمكة بأمر آخر، حينذاك قررت «سيليا» أن تحجز فى الحافلة الليلكية لتعود كل أسبوع فى الإجازة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. مـضى على هذا الحال سنة كـاملة. وحـال الأم من سيئ إلى أسـوأ، وأصعب ما فى الأمـر أنها لا تريد الاعتراف بإدمانهـا، حتى ولو بينها وبين نفسها.

فى المستشفى صادفت «سيليا» عشرات من الناس الذين يحاولون مساعدة المئات من الناس الذين لا يريدون مساعدة أنفسهم.

كـانت هناك قصص لا نهـاية لهـا عن رجال مـسنين لا يريدون الالتـجاء لدور العـجزة ويصـرون على البقـاء بمفردهم فى بيـوتهم. والبعض منهم يُشعِلُ النار فى مطابخهم نتـيجة لفقدان ذاكرتهم، ومن السيـدات المسنات اللواتى أصبن بكسر فى الورك مـرات ومرات لأنهن لا يسألن العـون عند عبور الشـارع، وهناك هؤلاء المصابون بالرعـشة لامتناعـهم عن الطعام، أو هؤلاء المرضى ذوو الوجـوه الرمادية الذين يصرون على العـمل الإضافى فى جو مـشحون بالضغـوط ويحاولون نسيان همومهم بالتهام كميات رهيبة من الطعام المـلىء بالكوليسترول، أو من السيدات اللواتى أضناهن حملهن الـرابع عشر، وأمهات أولاد

المدارس المنهكات بمذاكرة الأولاد، وزوجات الرجال الذين اهترأ كبدهم من كثرة الشرب، بالرغم من آلاف الأبحاث والتقارير اليومية التى تدور حول التأثير السام للخمر، الذى يؤدى حتمًا للموت البطىء، كانت «سيليا» تبدو دائمًا متعاطفة ومتفهمة ومبدية للأعذار، ولكن فى داخلها كان هناك صوت ما يخبرها، أن كل هؤلاء كان يمكن إنقاذهم لو أنهم أحيطوا بمن يحسن الاعتناء بهم، أو يبذل جهدًا لمساعدتهم، وكانت تعلِّق: مثلاً لو كان لى ابنة غير موفقة فى دراستها وينقص وزنها باستمرار بسبب معاناتها، لما تركتها على هذا الحال. كنت تصرفت وبدلت لها المدرسة. ولو كان لى أب عاجز لما تركته يعانى الوحدة ولنقلته للإقامة معى فى بيتى وتحت رقابتى.

ولكنها الآن تدرك أن المشاكل ليست بالبساطة التى كانت تتصورها، وها هى بالتجربة تعلم أن لكل إنسان فكره الخاص الذى لا يريد أن يتزحزح عنه، فهاهى تصطدم بعقل أمها الذى هو أشبه بصندوق حديدى محكم الغلق فى خزينة بنك..

بدت «إمير» فى ذلك اليوم منشرحة الصدر ومتفائلة كسبت مئة جنيه إسترلينى فى سحب اليانصيب بالمستشفى، كانوا جميعًا مرغمين على شراء تذكرة بخمسين قرشًا إعانة خيرية، وكان هناك سحب شهرى على التذاكر بجائزة مائة جنيه. هذا المبلغ الصغير الذى يساهمون به أسبوعيًا لا يثقل كاهلهم ويضمن مبلغًا للأعمال الخيرية ويجعل الموظفين راضين ومهتمين أملاً فى كسب اليانصيب، ويعلن عن اسم

الفائز فى مساء يوم الجمعة من كل شهر. قررت «إمير» ألا تذكر شيئًا عن فوزها بالجائزة فى البيت لن تنطق بكلمة فهى تعلم أنهم سيطالبونها بشراء «جينزات» أو بالقيام برحلة - متصورين أنه يمكن القيام برحلة بمبلغ مئة جنيه فقط - سيرغبون بالذهاب لتناول الطعام فى «مطاعم ماكدونالد» كل يوم وبطول الشهر. أو عربونًا لشراء فيديو، سيقترح زوجها أن يضاف المبلغ إلى دفتر التوفير لربما ظل عاطلاً عن العمل للأبد. لا.... لا.... من الأفضل أن تحتفظ بالمبلغ لنفسها، ستدعو «سيليا» لتناول الغذاء معها فى الأسبوع القادم فى مطعم فاخر. ضحكت «سيليا» بود وهى تردد مقولة «إمير» الدائمة - «فى آخر الأمر يعمل كل شخص ما يحلو له أليس كذلك»؟

ولكن «سيليا» كانت متأكدة أنه بالرغم من الادعاءات التى ساقتها «إمير» عن حريتها بالتصرف بالجائزة كما تريد والاحتفاظ بالمبلغ لمصروفها الشخصى إلا أن ما تريده «إمير» فى الواقع سيكون مختلفًا تمامًا. ستندفع إلى بيتها هذا المساء معلنة الخبر السعيد، ولن تتهاون فى تلبية كافة طلباتهم ورغباتهم ستطلب لهم وجبة شهية وتشترى الجينز وتودع مبلغًا فى دفتر التوفير إرضاء لزوجها القلق.. وتدفع قسطًا لشراء الفيديو الموعود.. هذا ما ستفعله «إمير» فى نهاية الأمر ولو إن لسيليا زوجًا وأولادًا لفعلت الشىء ذاته وإلا فما جدوى الزواج.

شعرت «سيليا» بالتعب فيوم العمل شاق وطويل، تستغرب «سيليا» أن ساعات العمل فى المستشفيات الأخرى تصل إلى اثنتى عشرة ساعة.

وترى «سيلـيا» أنه نظام قاسٍ وظالم للمرضـى ولطاقم التمريض على السواء فلو إنهـا كانت ملزمة بمثل هذا النظام لـربما قامت بخنق بعض من المرضى والزوار وطاقم التمريض، فساعـات العمل الثمانية المـلزمة بها كافـية تمامًا للقضاء عليـها. يومها مليء بالجهـد العضلي والنفسي هناك مـثلاً تلك السـيدة الشابـة التي أصيـبت بالإحبـاط واليأس لأن القسـيس الذي جاء لزيـارتها في المستـشفى أبلغـها أنه ينوي أن يـقيم قداسًا خاصًا على روحها في بيـتها ظنًا منه أن هذا سيسرها. . ولكنها ظنت أن معنى هذا نهايتها.

خاف زوجها عليها ودخل بمشـادة مع القسيس وعلا صوتاهما مما أقلق الزوار في الجناح وجعلهم يهـملون مرضاهم ويلتفـتون للإنصات إليهما.

نودي على «سيليا» فأسرعت بارخاء الستائر حول المريضة وأعطتها مهدئًا، وشـرحت لها بصوت بارد وهادىء أن تشخيص الأطبـاء يبشر بالخير، وأنه لا مدعاة لخوفها وجزعها فهم لا يخفون عنها شيئًا، وأنها في طريقهـا للشفاء، وأقنعتـها أن القساوسـة الطيبين يقيمـون القداس للبـرهان على قـوة الإيمان ومن الطبـيعي أن يقـام القـداس في منزل المريضة للـشكر لله على تحسن حـالتها والدعـاء لاستمـرار شفـائها، وأضافت وهي تزجـر القسيس بنـظرة ثاقبة: إنه لمن المثـير للشفـقة أن بعض الناس لا يستطيعون مراعاة المشـاعر وتفسير الأمور بدون اللجوء

للوعظ والتخويف، فهم لا يملكون الحس الكافى ليدركوا أن بعض الناس يربط بين تقديم القُداس فى البيت وبين النزع الأخير، واتجهت بعدها بأنظارها نحو الزوج مؤنبة وقالت:

- «الفكرة من زيارة المرضى هى منحهم الشعور بالطمأنينة والراحة وليست الدخول فى مشادات واتهامات تزعج الجناح بكامله».

كانوا جميعًا أصغر منها سنًا باستثناء القسيس الذى كان على الأرجح تحت الثلاثين من عمره، تقبلوا عتابها عن طيب خاطر، واعتذروا لها ولبعضهم البعض، فتحت الستائر ثانية وشَغلت نفسها بالدوران ثانية حول الجناح إلى أن تأكدت أن الهدوء قد استتب، وعندما ذهب القسيس والزوج جلست مع السيدة الشابة وأمسكت بيدها ومازحتها بقولها:

- «ابتعدى عن هذا التفكير الأبله، فالقساوسة مستعدون لإقامة القُداس لأى سبب كان، هذا هو عملهم، وهذه هى حياتهم، إن لم يكونوا هم من يعتقد بأهمية القُداس فمن غيرهم سيهتم؟ . . والناس عادة لا يلجأون للقُداس إلا عندما يفشل أى شىء آخر».

ولم تترك «سيليا» مريضتها إلا عندما تأكدت من إشراقها وضحكها.

هل ستسير الأمور بمثل هذه السهولة مع أمها فى البيت؟

فى الأسبوع الماضى سمح «بارت كيندى» للسانه أن يزل وأخبر «سيليا» أنه اضطر لمد يد العون لأمها طوال أيام الأسبوع الماضى، تأثرت سيليا فهى لم تتبادل و «بارت» حديثًا صريحًا عن سبب ذهابه لمساعدة أمها، ولكنها أدركت أنه يحاول تنبيهها، لم يواجهها بسكر أمها لم يقص عليها أن أمها أهانت وتطاولت على الزبائن، عرضت «سيليا» عليه أجرة عن عمله. . ضحك وأصر على الرفض وقال إن كل ما يفعله نوع من المساعدة وأنه يأخذ أجره بدعوته لصديق أو لآخر لتناول كأس معه.

استغربت «إمير» من نزاهته، وتساءلت لربما أنه يطمع بالزواج من «سيليا» يصبح صاحب الحانة، وردت «سيليا» أن من العبث التفكير به بهذا الشكل لأنه لا ينوى الزواج، ليس لعيب فيه ولكنه فقط واحد آخر من الرجال المضربين عن الزواج، «فسيليا» أصبح لديها خبرة كافية كلفتها خمس سنوات من شبابها الغض بعد أن كانت تعرفت على حالة ميؤوس منها.

والآن بإمكانها أن تتعرف عليهم وهم على بُعد ميل منها، سترمى هذه الذكرى وراءها ولن تعيد التفكير بهذا الفتى ثانية، والمهم أن أهل راثدون لم يعرفوا بقصتها معه، والمهانة التى أحست بها بعد أن فقدت الأمل فى الارتباط به لأنها هى التى كانت تذهب إليه فى المدينة الأخرى، تذهب إليه كل عطلة نهاية الأسبوع لأنه لربما - لأنها موجودة - سيحقق أملها بالزواج منه، ولكن يبدو أنه لم تكن لديه

النية أن يُقلق نفسه ويغير من نمط معيشته بالارتباط بزوجة وأولاد، كلا.. كلا.. يود أن يعيش مع أبويه، وبعد مماتهما مع أخته على الأرجح سيكون هناك دائمًا فتيات في حياته، فتيات، ولربما سيدات، ولكن بدون رابطة زواج، لم تشعر أنها فقدته فهي لم تفقده لأنها لم تمتلكه أبدًا.

وباستطاعة «سيليا» أن تكتب بحثًا عن الرجل الأيرلندي الأعزب لو أرادت ولكنها لا تمتلك الوقت، وعليها أن تجده في هذه العطلة وإلا عليها أن تستقيل من المستشفى وتتفرغ للحانة وأمها في راثدون لأن الأمور تأزمت كثيرًا.

شعرت «سيليا» بالراحة لأن «كيف كيندى».. وصل إلى الحافلة، هذا يعني أنه سيجلس إلى جانب «ميكى»، فهذه الليلة ليست مستعدة لمزاح «ميكى» وألاعيبه، لربما استطاعت تحمله في أمسيات أخرى وأما الليلة فلديها الكثير من الهموم لتحاول حلّها، و «ميكى» من النوع الحساس الذي يسهل تكديره ولا تريد أن تُدخل نفسها في هذه المعركة المحتدمة بين الإساءة إليه بإلزامه الصمت أو التغاضي عنه وشد أعصابها، أخذت مكانها إلى جانب قائد الحافلة «توم».. الذي أقفل الأبواب وهو يقول ضاحكًا :

- «الساعة الآن السابعة إلا عشرين دقيقة، لقد أحسنت تدريبكم فعلاً» شاركوه الضحك وانطلق بالحافلة ليدخل بزحمة المواصلات ليأخذ طريقه غربًا نحو راثدون.

كان «توم» رفيق سفر مريح وممتع يمتد الحوار معه أو ينكمش تبعًا لمزاجـه، ولا يوجه أى حـديث للركاب فى الخلف، حـتى لا يصرفـه الحديث عن الـتركيـز على القيـادة، ويشرك الشخـص المجاور له فى الانتباه وتوجيه الإرشادات إليه فى المنعطفات والإشارات.

وبرأى الجمـيع كان أظرف فرد فى عائلـة فيتزجـرالد الذين كانوا يعملون فى المخزن الكبير المتخصص بالحرف اليدوية، وفكرت «سيليا» أنه من السخف الافتراض أن أفراد العائلة الواحدة متشابهون، وعندها المثل بالأخوين «بيرنز».. يستطيع «بيلى» أن يشترى ويبيع أخاه «ميكى» اثنتى عـشرة مـرة حتى قـبل أن يطلع النهار أو هذه البلـهاء «نانسى» «موريس». هناك خطأ ما فى هذه الفتـاة، تملك هذه النظرة التى تبدو وكأنها شديدة التركيز ولكن على لا شىء.

كانت « سيليا» تصادفهـا أحيانًا فى المستشـفى، لكم تختلف عن أختـها «ديردر» التى تعيش الآن فـى أمريكا، وعن أخيـها مارثـيان اللطيف وها هو ذا المسكين «كيف كـيندى»، أخو «بارث» الصغـير يجلس فى الخلف منكمشًا مترقبًا هجوم الجن والعفاريت.

وعلى الأرجح أنها هى أيضـًا تختلف تمامًا عن أختهـا وأخويها، وعلى ذكر عائلتها اصطبغت جبهتها واحتقن وجهها، لمَ لا يتحرك أى منهم للمساعدة؟.. كان باستطاعتها أن تبعث لهم برسائل تقول :

« أعزائى «مير» و «هارى» و «دان» ».

يؤسفنى أن أبلغكم أن أمنا تعاقر الخمر بشكل أخطر مما كان يفعل أبونا، هل لكم أن ترشدونى كيف أتصرف؟ أنتظر ردًا سريعًا منكم من «**نيوساوث ويلز**» فى أستراليا و «**كاولى**». . «**أكسفورد**» إنجلترا. و «**ديترويت**» أمريكا.

أختكم المحبة سيليا - «**دبلن**»

نعم دبلن فمن وجهة نظرهم فهى تقيم وتعمل فى «**دبلن**»، التى هى على مرمى حجر من «**راثدون**»، فليس هناك من مشكلة فى البعد إضافة إلى أنها غير مرتبطة بزواج أو غيره، وهذه وجهة نظر أخرى أكثر إقناعًا، فهى غير مسئولة عن زوج وأولاد، وهناك ما هو أجدر بالاعتبار فهى كممرضة مثال للرأفة، وملاك للرحمة، ومن باب أولى أن تساعد أمها وتقوم على خدمتها حتى ولو تخلت عن عملها وتفرغت لها، وهى وجهة نظر ليس باستعداد أى منهم التخلى عنها.

ستكتب لها أختها «**مير**» من آخر بقاع المعمورة، لأنها دائمة الترحال لأماكن غريبة ومهجورة قائلة : «ليباركك الرب لعطائك ومساندتك». . وهو فعلاً رد رائع ومفيد.

وسيرد عليها «**هارى**» من دترويت بما معناه: عليها أن تفعل ما تراه الأصلح بما إنها هى الوحيدة المسئولة والموجودة فى الساحة، لربما أضاف شيئًا ملمحًا أنها على الأقل تعيش حياة مستقرة آمنة فى وطنها

وفى بيئتها، وأنه فى الوقت الحاضر تنازل عن حصته من ريع (أرباح) العمل العائلى.

وأما «**دان**» فسيكتب ويقول أو لربما سيهاتفها من إنجلترا قائلاً:

«إنه يشجعها على الاستقالة من عملها والتفرغ الكامل لأمها وللحانة فى راثدون فهو لا يرى أن التمريض مهنة جيدة ومناسبة، ولربما إن ما جرى لصالحها لأنه سيتبين للجميع أنها المالكة للحانة ويأمل حينذاك أن تنهال عليها عروض الزواج».

فكرت «**سيليا**» أنها مازالت فى السادسة والعشرين من العمر فقط. ولكنها بنظر إخوتها لا مكان لها فى عوالمهم سوى أنها أختهم الصغرى التى هى بطريقها للعنوسة، أما ذكرياتها عنهم فهم بالنسبة لها كانوا الكبار والأشداء والتى كانت تجد فى صحبتهم البهجة والأمل،ولكنهم بتباعدهم وسلبيتهم فقدوا الصورة القديمة والجميلة وبدوا لها الآن أنانيين وغرباء، وأبعد ما يكونوا عن تحمل المسؤولية.

سألت «**سيليا**» «**توم**» بعد أن اجتازوا شاحنة كبيرة بدت وكأنها ستقضى على كل من سيمر بقربها أو يتعداها.

- «هل تصيبك عائلتك بالجنون؟».

وأجاب «**توم**» :

- «نعم، بالطبع يفعلون، ففى الواقع لا يتأذى الإنسان إلا من الأهل فهم الذين يصيبونك بالجنون وليس شيئًا آخر، لا الأغراب

ولا الطريق، ولا المتـفـجـرات، والاقـتصـاد، إنهم دائمًـا الأقـارب والأهل».

- «أو الحب، أو لربما الكثرة أو القلة منه».

لم تكن « سيليا» تتحدث بشكل شخـصى بل بشكل عام، مبدية آراء وأفكارًا عامـة اندمج «توم» فى المشـاركـة بها، وهذا مـا جـعل حوارهما سهـلاً وانسيابيًا، ولم يجدا فى صمتـهما الطويل تهديدًا بل استمرارًا لحوار داخلى مريح، وأردف «توم».

- «نعم الحب، ولكن الحب لا يخرج عن نطاق العائلة، فالرجل يحب فـتاة مـا، ويريدها أن تصـبح زوجة له، فـإن رفضت أصـيب بالجنون، هذه هى العائلة: أو أنه كره زوجته، ولم يعد يحبها ويود لو يقذف بها فى أول مركبة منطلقة للفضاء الخارجى. . هذه هى العائلة».

ضحكت «سيليا» وردت:

- «يا إلهى ستـبدو رائعًا لو ظهرت فى حلقـة من تلك الحلقات التليفزيونية التى يقدمون بها استشارات عائلية ونصائح زوجية وغيرها.

ورد «توم» مازحًا:

- «تعترينى الدهشـة لأنهم لم يدعونى بعد للمشاركـة»، والتزما الصمت بعدها لفترة طويلة.

شعرت «سيليا» بالسرور عندما توقفت الحافلة كالعادة لاستراحة قصيرة، شعرت أنها بحاجة لتحريك جسمها واستنشاق الهواء الطلق.

يتحكم «توم» بحافلته وركابها بمنتهى الحزم، سمعت «سيليا» عن حافلات أخرى يتوقف الركاب بما يزيد على الساعة وينحشرون فى حانة خانقة. لا يسمح لهم «توم» بزيادة على عشر دقائق تكفى لقضاء حاجاتهم ولا تتسع حتى لطلب كوب من القهوة، دعتها دى كالعادة على مشروب منعش.

لم تتغير «دى» عما كانت عليه وهى تلميذة فى المدرسة، فتاة منطلقة متفجرة بالحيوية والغطرسة، تجول بزيها المدرسى الجديد لتستعرض جمالها وأناقتها فى حانة رايان، تمر على كافة الزبائن فرحة بنفسها يقدمون لها الليمونادة أو قطعة من الشوكولاتة متمنين لابنة الطبيب الوحيد فى القرية كل النجاح والتفوق فى مدرستها الداخلية. فالطبيب «يورك» يدخل فى حياة وموت كل فرد فى القرية، ومن الطبيعى أن يسعى الجميع لإدخال البهجة على قلب ابنته الوحيدة المُدللة.

أعطت «سيليا» «لميكى» مرهمًا من أجل قرح أبيه، لا تريد «سيليا» أن تلحظ «دى» هذا حتى لا تظن أنها تأخذ دور أبيها الطبيب مع أنها تعلم تمامًا أن دى لا تراودها مثل هذه الأفكار أبدًا، فهى فتاة رائعة تتميز بهذا الوجه الصبوح الضاحك، ويبدو أن عملها قد منحها هذه القدرة

للصبر على الحوار الذى لا نهاية له، تستغرب «سيليا» من طاقة «دى» على الإنصات إلى التفاصيل المُملة لأخبار الأطباء التى تعمل «نانسى» كسكرتيرة لهم واهتمامها بتذكـر أسمائهم وأخبارهم العائلية، ولا تجد مبررًا لهذا.

لاحظت «سيليا» وجود آلة تسجيل فى الحافلة وتساءلت»؟

- «هل باستطاعتك التسجيل على هذه الآلة».

رد «توم» ضاحكًا:

- «أحمل كل مقتنياتى معى فى هذه الحافلة».

- «ولكنك لم تحاول أن تسمعنا شيـئًا من تسجيلاتك ونحن على الطريق».

- «كـلا، فكرت بالأمـر، ورأيت أن الأذواق تخـتلف، وأنا لا أُحب أن أفرض ذوقى على الناس».

ضحكت «سيليا» وأجابته مداعبة:

- «إذن، فأنت تفترض أنك من سـتـختار الموسيقى، هذا لا يدل إطلاقًا عـلى الديمقراطية التى تنـادى بها، لمَ لا يختـار كل بدوره ما يعجبه؟.. وهكذا يأتى كل واحد بشريطه المُفضل».

- «لأننى لو فُـرض علىَّ الاسـتـمـاع إلى المزيد من الموسـيـقى الصاخبة التى أضطر للاستماع إليها بالصدفة ستـجدينى أقود الحافلة لأعمق مستنقع سيصادفنى بالطريق لنغرق به جميعًا».

وردت «سيليا» مقتنعة.

- «إذن، وكما ترى، لا داعى للموسيقى أبدًا».

وسرح كل منهما ثانية مع أفكاره ومشاكله، وفكرت «سيليا» تُرى ما هو أفضل توقيت لاستدارج أمها للحديث، لابد وأن تجد وقتا تبدو فيه الأم متقبلة للخوض فى الموضوع ولا تعانى من الهذيان والسكر، لربما كان هذا في الصباح الباكر من يوم السبت، تضع «سيليا» يافطة على باب الحانة تقول : «مغلق للراحة».. حتى الأب ريلى راعى الكنيسة يضع على باب الكنيسة يافطة: «مغلق للراحة».. عندما يود أن يعطى نفسه إجازة لساعة من الزمان ولكن عليها أن تكبل أمها بالسلاسل لترغمها للجلوس والإنصات لوجهة نظرها غير المرحب بها، ستقول لها إنها أصبحت عاجزة تمامًا عن إدارة حانتها وأن عليها أن توافق على اللجوء للعلاج من الإدمان قبل أن تستعصى الحالة. فلم تعد تجدى وعودها الكاذبة بالكف عن الإدمان.

كانت «سيليا» حاضرة عندما أبلغ الطبيب الجراح مريضه الشاب أنه مصاب بسرطان منتشر وأن أيامه فى هذه الدنيا أصبحت معدودة. هذا الشعور المرعب بتحديد موعد حلول الأجل جعل فريق العلاج والتمريض مستنفرًا لمساندة المريض ومحاولة التخفيف عنه والرأفة بحالته ظنا منهم أن الصدمة ستكون بالغة القسوة ولكن ولدهشتهم جميعًا تقبل المريض الخبر بكل هدوء وسكينة وتساءل :

- «هل هو أمر قاطع»؟

وأصيبوا جميعًا بالخرس. «سيليا» والجراح الكبير والمخدر وبعد صمت طويل أضاف الرجل :

- «وأنا لم أزر أمريكا بعد، تصوروا خلال حياتى كلها لم تسنح لى الفرصة لزيارة أمريكا أليس هذا غريبًا؟ فى هذا العصر وأنا بهذا العمر» ردد هذا عدة مرات قبل أن يموت كما لو إن هذا الهاجس يقلقه أكثر من الموت ذاته. ومن تخليه عن زوجته وأطفاله الثلاث.

فلنفترض أن أمها، وعلى غير المتوقع، ستقول شيئًا من هذا السبيل. إنها لا تدرى ما أصابها وأنها عازمة على الذهاب فى الحال وباختيارها إلى واحدة من تلك المصحات التى تساعد على التخلص من الإدمان.

صحت « سيليا» من أحلام يقظتها هذه فهى تعلم جيدًا أن هذا أضغاث أوهام، وأن عليها أن لا تغلق عينيها عن واقعها الأليم، آملة بحدوث معجزة، أخرجها صوت توم من هواجسها وهو يقول :

- «انظرى هناك لهذه الخرق المربوطة على أشجار الغابة، يبدو أنها شجرة الأمنيات أو أن هناك نبعًا مقدسًا ورُبطت الخرق للإشارة إليه. .

ردت «سيليا»

- «لربما أن علينا أن نتوقف ونربط قمصاننا راجين من القديسين أن تتحقق أمانينا».

وأردفت:

- «ولكنى وبالرغم مـن كثـرة ذهابى وإيابـى فى هذا الطريق لم ألحظ هذا المكان سابقًـا» والتفتت إلى الوراء لتمعن النـظر إليه بعد أن مروا عليه، فـتهيأ لها أنهـا ترى دموعًا محبـوسة فى عينى **دى يورك** تحاول عـاجزة إخـفائهـا، فى الوقت الذى كانت فـيه **نانسى موريس** تصول وتجول فى حديث ممل عن سيـرة الأطباء وكأنها لم تلحظ تكدر «دى» وبؤسها.

ورد **توم**:

- «وأنا أيضًا لـم ألحظ هذا المقام سابـقًا، لربما إنه قديـس جديد أضافوه فهم يضـيفون ويشطبون القديسين على هواهم فمـثلاً من فترة شطبوا اسم القديسة «فيلومينا».

- «ولِمَ ألغوا اسم القديسة فيلومينا».

- «لا أدرى السبب بالضبط ولكنى أعلم أن أخـتى «فيل» انزعجت جدًا فى ذلك الحين. شَعَرتْ كما لو إنه اعتداء عليها شخصيًا».

- « أوه فعلاً **فيل** تحمل اسم القـديسة على فكـرة كـيف حال **فيل**؟ فأنا لا أراها منذ فترة، أجاب توم باقتضاب.

- «إنها على ما يرام».

وعادت «سيليا» للحديث ثانية عن الشجرة وتساءلت:

- «ما رأيك أتظن أنهم مـن المذاهب الجديدة الذين عادوا لعـبادة الأوثان أم أنهم يتبعون دينًا سماويًا»؟

وظل «توم» على تحفظه فى الحديث ورد :

- «أظن أنه مزيج من اعتقادات مختلفة».

فكرت «سيليا» بأمر الشجرة، وتمنت لو تذهب إليها لتطلب من هذا القديس المهتم بالأمهـات المدمنات أن يساعد أمها على الشفـاء ويحثها على الذهاب للمصحة لتلقى العـلاج اللازم، وتعود بعدها إلى البيت لتكتشف أن دعوتها استجيبت فأمها تهىء نفسها وتستعد للذهاب معها للعلاج، «وبارت كيندى» يحل مكانها فى خدمة الزبائن بالحانة.

قال لها «توم» وهو يودعها بابتسامة متعاطفة.

«أراك فى الحانة خلال العطلة».

هزت برأسها، لم يكن «توم» على سجـيته فـى هذا المساء وبدا متكدراً، كانت تود لو تطيل الحـديث معه. ولكنها شعرت باحتـياجها الشديد لصديقـتها « إمير» فهى من تسـتطيع أن تحدثها صراحـة بكافة همومها ومشاكلها، ولا تجد حرجًـا لو لم تأخـــذ بنصيحتها تمـــامًا، فلا يبدو أن هذا يكدر أو يزعج « إمير»، لأنها لو امتنعت على الأخذ بنصحها لرددت إمير مقولتها المعهـودة «فى نهاية الأمر ليعمل كل فرد ما بـدا له» ولكنها عـادة تحسن إعطاء النصـيحـة وتقنعك بشكل غـير مباشر بالأخذ بها.

دار بينهما نقاش طويل حول مسؤولية كل إنسان عن عمله وتحمله لنتيجة أخطائه.

وتطرق النقاش للمخدرات والخمر.. واستغربت «سيليا» لِمَ تحرم المخدرات ولا يحرم الخمر. فبرأيها أنها سم قاتل كالمخدرات. وهما كممرضتين شاهدتا ما يكفى من الأكباد المتعفنة والموت البطىء. وردت «إمير» إن كان هذا رأى «سيليا» فما الذى يجعلها تحتفظ بالحانة. والمفروض أن تتخلص من ملكيتها.

يصل النقاش بينهما إلى الذروة. وينتهى بأن تطلبا كأسين من الخمر وتنتقلان لموضوع آخر.

تشعر «سيليا» براحة نفسية كبيرة وهى بصحبة «إمير»، وليس من المستغرب أن زوجها الوسيم وأطفالها الثلاث ينتظرون عودتها بفارغ الصبر. لم تكن «إمير» امرأة خارقة بل امرأة عادية تمر بحالات من الاكتئاب والضجر كغيرها من الناس.. وهذا ما يجعل الحوار معها مريحًا، ولكن هذا لا يعنى أنها لم تسترح للحديث مع «توم» ولا تريد أن تكون غير عادلة بحكمها.

دخلت إلى الحانة وصدمها صوت أمها يصدح من وراء البار، وعلمت أن أمامها ليلة شديدة الوطأة، وضعت حقيبتها فى المطبخ وعلقت سترتها وخرجت لتقف بهدوء إلى جانب «بارت كيندى» الذى ربت على ذراعها مشجعًا عندما ابتدأت بصمت بخدمة الزبائن.

بدت الأم فى أوج هيجانها وصخبها طوال الأمسية وبعد أن خرج آخر الزبائن جلست علـى إحدى الطاولات وأفرغت ما بـجعبتـها من شتائم وألفاظ بذيئـة، بينما سيليا تفرغ وتغسل أطـباق السجائر وتمسح الطاولات وتهيء المكان لليوم التـالى، كانت الأم تصرخ بعلو صـوتها أنها المديرة والمـالكة الوحيدة للحانة ولن تقبل أى تحكم من أى شخص كان، ولذا فـهى لن تسمح «لسيليا» أن تحل مكانها فـور نزولها من الحافـلة، وتتصـرف كمـا لو إنها المـالكة الفـعليـة للمكان، لن تمتلك «سيلـيا» الحانة وعليـها أن تعلم أنها سـجلت وصيتـها وأعطتهـا لهذا الشاب الظريف «مكماهون» فى مكتب «جرين». ذكرت فيـها : أنه بعد موتها ستبـاع الحانة ويوزع المبلغ بالتعادل بين أولادها الأربعة. لم ترد «سيلـيا» بحرف واسـتمرت فى أداء عملـها بصبر واتقـان. كانت هناك زجاجة براندى بجوار أمها لم تحاول «سيليا» لمسها.

أغلقت الباب وراءهـا وازدردت ريقها وهى تفـكر بالمعـركة التى ستحـتدم فى الصباح بعد أن تعلق اليافـطة معلنة «المكان مغلق» لأول مرة بعد جنازة والدها.

صرخت الأم وهى تدخل

- «ألن تحسنى السلوك يا صاحبة الفـخامة وتتمنى لأمك المسكينة ليلة طيبة».

- «تصبحين على خير يا أمى».

صعدت «سيليا» السلم الضيق بضجر، ودخلت غرفتها الصغيرة البيضاء ذات السرير الحديدى، وظلت مستيقظة إلى أن تأكدت من خطوات أمها تتأرجح على السلالم وتصطدم بخزانة الأدراج والتى كان المفروض أن تتجنبها فهى هناك مما يزيد عن أربعين سنة، طوال حياتها الزوجية.

استيقظت «سيليا» فى اليوم التالى ونور الشمس يملأ الغرفة. كانت أمها قد أزاحت الستائر ووقفت وبيدها فنجان من الشاى.

وبادرت «سيليا».

- «لاشك أنك بحاجة لفنجان من الشاى فى السرير بعد عناء العمل طوال الأسبوع. وبعد أن أمضيت الليل تغسلين الأكواب، وتنظفين الحانة».

كان صوت الأم ناعمًا واليدان متزنتان وهى تقدم فنجان الشاى لابنتها.

جلست «سيليا» فى سريرها، فركت عيناها وقالت:

- «ولكنك كنت معى يا أمى وأنا أقوم بغسل الأطباق».

- «أعلم.. أعلم طبعًا. شكرًا لك. فأنت قمت بترتيب كل شىء».

بدا واضحًا أنها لا تذكر شيئًا مما حدث فى اليوم السابق.

لم تشتم «سيليا» أى أثر للخمر فى أنفاس أمها. ولكن يبدو أنها تعاطت علاجًا ما لربما جرعة من الفودكا لتبدو كما هى الآن متماسكة وقد سرحت شعرها ولبست ثوبًا نظيفًا بياقة بيضاء، ولكنها لم تستطع إخفاء الهالات السوداء حول عـينيها الزائغتين. أضاع الهم والزمان كل ملامح أمهـا الجميلة. فكرت «سيليا» أن الوقت أزف لفتح الموضوع، أخذت رشفة كبيرة من الشاى وهبت من السرير متأهبة لبدء العراك.

- «شكرًا لك يا أمى على الشاى، أريدك أن تنصـتى لى منذ مدة وأنا أحاول أن أنتقى الفرصة المناسبة».

- «الغلاية على النار، سأطفىء النار وأعود إليك».

سارعت الأم بالهروب لم يكن هناك أى غلاية على النار.

نهضت «سيلـيا» ولبست ثيـابها التى هى أقرب لزى التـمريض لتستمد منه إيحاء يمدها على ممارسة سلطتها كممرضة ماهرة.

لم تجد أثرًا لأمهـا فى المطبخ، وشاهدتها منكبة راكعة علـى عتبة البيت الخارجية تدعك بلاطها بالفرشة بقوة واستمرارية.

قالت دون أن تتوقف عن الدعك:

- «لاحظت البارحة هذه البقع على العـتبة علينا أن نحافظ على نظافة المكان».

كانت تلهث وتتصبب عرقًا، تركتها سيليا تمارس نشاطها ودخلت إلى المطبخ لتأتى بالمزيد من الشاى.

قالت الأم وهى تدخل مسلحة بالفرشة والدلو.

- «يبدو المدخل الآن أفضل بكثير».

- «حسنًا يا أمى»

- «مرت الآن هذه البلهاء **«نانسى موريس»** وعلى غير العادة بادرتنى بالسلام، تظاهرت بأنى لم اسمعها فهى تثير سخط أمها بتصرفاتها السخيفة وكبسها على أنفاسها بعودتها إليها كل أسبوع».

- «أنا متأكدة من إحساسك بنفس الشعور».

- «لا.. لا.. لا تخطئى الفهم فأنا أسعد بوجودك فأنت تساعديننى كثيرًا».

- «يبدو أن شعورك هذا الصباح قد اختلف عما كان عليه بالأمس!!!».

- «أوه.. لست بحاجة لأن تذكرينى كم أعانى من ليلة الجمعة هذه والزبائن تفد علينا من كل حدب وصوب لاشك أن هذا يفقدنى صبرى وأعصابى. ولكن ألم تلاحظى أنى شكرتك على غسل الأكواب؟ وأنى قدمت لك فنجانا من الشاى فى السرير»؟

اضطرب صوتهـا وبدا راجيًا ومـستسمـحًا تمامًا كـصوت طفل. أخذت «سيليا» الجردل والفرشاة من يدى أمها، وأغلقت باب المطبخ وراءها وهدهدتها حتى أوصلتها إلى طاولة المطبخ بصوت رقيق خافت وقالت:

- «طبعًا قدمت لى فنجانا من الشاى فى السرير. وأنا أعلم أنك ممتنة لعودتى ومـساعدتى ولكن لـيس هذا موضوع حـديثنـا يا أماه. فأنت لا تذكرين شيئًا مما حصل فى ليلة البارحة».

- «ما هذا الذى تلمحين إليه»؟

- «كنتِ أمعنتِ فى السكر والهذيان حـتى قبل وصولى من دبلن فى العـاشرة، كنت تهـزئين الشابـة بيدى برادى وتحـاولين منعهـا من الاحتـفال مع صديقـاتها ولحسن الحظ استـطاع بارت أن ينقذ الموقف ويتصـرف بحكمة، سكبت زجـاجة كاملة مـن المشروب على الأرض ولم تسمحى لأحد بإزالة البـقع وتنظيف الأرض، وصرخت فى وجه مجـموعة الأغـراب من لاعبى الجولف، الذين جـاءوا لراثدون للمرة الأولى بأنك لن تقومى بخـدمتهم لأن رائحـتهم تعبق فى الجو كـبراز الأطفال، نعم يا أمى هذا ما نطقتِ به».

نظرت الأم إليهـا من خلال الطاولة، لم تحاول الهروب وقـبعت فى مكانها متسمرة تنظر لسيليا باستسلام وردت:

- «لا أعلم لِمَ تخبرينى بهذا كله»؟

وردت «سيليا» برجاء

- «صدقينى يا أمى، لأن كل هذا حصل فعلاً ولا أبالغ بل حصل أكثر منه أيضًا فى ليلة البارحة».

- «ولمَ لم تحاولى تنبيهى؟».

- «لم أفعل، لأنى فقدت الأمل، ولن ينصلح الحال، وستعودين لنفس الأفعال هذا المساء وكل مساء، خرج الأمر من يدك، ولم تعودى قادرة على التصرف السليم، وها قد بدأت يومك بالشرب، هذا واضح وأنا أنبهك وأصارحك من أجل مصلحتك».

- «كفاكِ استهزاء ومبالغة يا سيليا». . وحاولت الأم النهوض، أمسكتها «سيلَيا» وأجلستها ثانية فى مكانها، وأمسكت بها هناك بقوة من معصمها.

- «لم أكتب للآخرين بعد، لا أُريد أن أزعجهم، ظننت أن الحالة ستنصلح وأنك تزيدين المشروب فقط فى عطلة الأسبوع عندما يزداد ضغط العمل، لابد وأن توافقى على عمل شيء، وترضخى للأمر الواقع».

- «الآخرون»؟

- «مورا، هارى، دان».

- «وهل فى نيتك أن تنشرى فى أرجاء المعمورة كل هذه الحكايات».

- «كلا، لو وعدتنى أولاً، إنك ستساعدين نفسك يا أماه فأنتِ تشربين أكثر بكثير من المفروض، ولم يعد باستطاعتك التحكم، خرج الأمر من يدك، وكل ما عليك أن توافقى». . .

- «لن أوافق على شيء، شكراً جزيلاً على صراحتك، لربما إنى أكثر من الشرب أحيانًا، سألاحظ هذا، وأخفف من الكمية. . هل ارتحتِ الآن؟. . هل بإمكاننا العودة لعملنا اليومى»؟

«أرجوك يا أمى، أنصتى لى، سيخبرك أى فرد من الحاضرين البارحة بما حدث. . هل أُنادى على «**بارت**»؟. . مسز «**كازى**» اشتكت وغيرها وغيرها، كلهم تحدثوا وقالوا إن الحمل أصبح ثقيلاً عليك ولم يعد بطاقتك تحمله».

- «طوال عمرك وأنت تخافين من المشروب يا «**سيليا**»، منذ أن كان والدك على قيد الحياة، عليكِ أن تدركى أننا نملك هذه الحانة وعلينا أن نجامل الزبائن ونشاركهم الشرب لنكسب ودهم، ويزدهر العمل، فأنت غير مؤهلة للعمل فى حانة مثلى، فأنتِ وقورة جدًا، وغير اجتماعية كان هذا دائمًا عيبًا فيكِ».

لم يعد هناك داع لوضع يافطة (مغلق). . على باب البار فلن تعترف الأم بإدمانها، ولن تقفل الحانة، ولن تذهب للعلاج، كل ما اعترفت به هو مسايرتها للزبائن بكأس بين حين وآخر، أنكرت كل الفصول المخجلة التى حدثت البارحة، ولم تعد تذكر أى شيء.

ابتدأ الزبائن بالحضور حوالى الظهر، لاحظت سيليا شرب أمها مع الطبيب «يورك». . الذى جاء ليحتفل بخطبة ابنه، تمنت سيليا لو أنه نصح أمها بعد أن لاحظ أحمرار عينيها بالكف عن الشرب من أجل صحتها بدلاً من أن يدعوها على كأس، تمنت أيضًا لو أن الأب «أورلى». . نزل من على منبره وزارهم فى البيت وأقنع الأم واعظًا إياها بالذهاب للمصحة للعلاج مما هى فيه من أجل سلامة روحها، وأن تعاهد الله بعدم العودة لهذه العادة السيئة، ولكن يبدو أن القسس والأطباء لا يتدخلون كثيراً هذه الأيام.

كانت علبة التليفونات فى ركن هادىء وبعيد، لا عجب أن نصف أهالى راثدون يستعملونها بدلاً من الآذان المنصتة لموظفى مكاتب البريد، هاتفت صديقتها إمير، التى أخبرتها أنهم سيتناولون طعامهم فى مطعم، وسيذهبون إلى السينما، وسيصرفون النظر عن الفيديو حتى الأطفال أدركوا أن الفيديو اختراع عفا عليه الزمن. وسألت «سيليا» صديقتها مقاطعة:

- «ماذا سأفعل بها»؟

- «ألم تعترف بالأمر الواقع حتى لنفسها»؟

- «كلا، حدثتها بالتفصيل بكل ما فعلت، كل ما تفوهت به، كل ما أراقته، كل من أهانتهم، وكل ما كسرته، ولكنها أنكرت كل هذا».

- «ألا يمكنك الاعتماد على مساندة الناس الحاضرين لتأكيد كلامك»؟ .

- «فى الواقع لا. . «فبارت» سيمنعه أدبه من ذكر أى شىء، والباقون سيشعرون بالحرج ويمتنعون عن التدخل فى أمور عائلية وحساسة».

- «لابد لكِ من الانتظار».

- «لا أستطيع الانتظار، الحالة مرعبة، وستسوء، لابد وأن هناك مخرجًا من هذه المصيبة، كيف لى أن أشعرها بالخطر المحدق بها؟».

- «سمعت عن رجل مضى إلى المصحـة للعلاج طواعية بعد أن شاهد نفسه وتصرفه فى فيلم الفيديو الذى صوّر حفلة زواج ابنته».

- «وجدته. . هذا هو الحال، شكرًا يا إمير».

- «مـاذا؟. . هل ستـصورين أمـك بالفيـديو؟. . وفى راثدون؟ كونى عاقلة يا سيليا».

سأحكى لك كل شىء يوم الاثنين القادم. أنهت سيليا المخابرة.

دعت السيدة «فيتزجرالد سيليا» للدخول قائلة:

- «نعم، «توم موجود». . كانا يتبادلان فنجانًا من القهوة، دعتها الأم لمشاركتهـا، أحست سيليا أنهما كانا يتناقـشان بأمر هام وكان من الأجدر بها أن لا تقطعه، أبدت أسفها وبأنهـا لن تأخذ أكثر من دقيقة من وقتهما، طلبت منه آلة التسجيل وشريط فارغ.

لم يحاول «توم». . أن يعرف ما الذى تود تسجيله، وأشار إليها فقط بطريقة تشـغيله، شعر بالحيـرة وأن هناك لغزًا، ولكنه لـم يسأل، أخذت سيليا المسجلة ومضت نحو الحانة.

كانت طاولـة الخزنة مزدحـمة ولم يلحظ أحـدًا أن آلة التسـجيل الصغيـرة مدفوسة تحت فوضى الأشـياء، شغّلته سيـليا عندما وصلت الأم لحالة السكر والهـذيان لمدة نصف ساعة على كل وجه، وحـركته ليكون قريبًا من صوت أمها عندمـا ابتدأت بالغناء المنفرد النشاذ بأغنية تكاد لا تذكر كلماتها ولا نغمتها المـوسيقية، سجلت إهاناتها وبذاءاتها التى وجهتها «**لبارت كيندى**»، ولغتها السوقية الواضحة.

جاء «**توم فيتزجرالد**» إلى الحانة، ولاحظ أن «**سيليا**» تسجل صوت أمها، وعرف لماذا استعارت آلة تسجيله، اقترب من «**سيليا**» غاضبًا وقال:

- «هل من العدل أن تسجلى صورها خفية وبدون علمها»؟

وردت «**سيليا**» بعصبية:

- «لكَ معاييركَ، ولى معاييرى».

وأردفت بسآمة وملل:

- «هل ترى؟ فهى لا تدرى بنفسها، ولا تدرى ماذا تفعل».

- «ولكن لن يعجبها فعلك هذا».

- «كلا، أعرف هذا».

- «ومتى ستُسمعينها الشريط»؟

- «أظن فى صباح الغد».

- «سأمر عليكم ظهرًا لاسترجاعه».

وابتسم ابتسامته اللطيفة المشرقة.

جلست الأم متحجرة خلال الدقائق الأولى، شَعرت بالخزى والمهانة لدى سماعها الألفاظ البذيئة التى كانت تنطقها، والجدل السقيم وبعدها قررت أن كل هذا زيف وتلفيق، ولكن عندما سمعت حديثها المخبول عن عظمة زوجها الراحل امتلأت عيناها بدموع الخجل.

ضمت يديها ووضعتهما على حجرها، وجلست كموظف فاشل ينتظر الأمر بالرفت، انطلق من المسجل صوتها وهى تأمر جميع الفتيات فى حفلة بيدى باردى بالتزام الصمت ليستمعوا لغنائها، وصوتها المهزوز النشاذ يعلو ويصدح، عند هذا الحد أقفلت سيليا آلة التسجيل، ولكن أمها بادرتها: «شغليه ثانية».

وبعد صمت طويل قطعته السيدة رايان.

- «نعم، لقد فهمت».

- «إن أردت، يمكننا القول أنك تعانى من نزلة صدرية أو أنك سافرتِ لزيارة دان فى كاولى، يمكننا تغطية الأمر».

- «لا داعى لتغطية أى شىء، أعنى، لم يعد يجدى المزيد من الكذب، بإمكانك أن تذكرى الحقيقة».

وبدا وجهها تعيسًا.

- «هل تعلمين أنك تجاوزت منتصف المسافة يا أماه بتفكيرك السليم هذا، ولمَ يعد أمامنا إلا القليل، فحالتكِ ابتدأت بالتحسن فعلاً».

قالت سيليا هذا وهى تنحنى لتأخذ يدىّ أمها بين يديها.

(٨) تـوم TOM

يتـذكر «توم» ذلك اليـوم الذى قرر فـيه أن يطلى الحـافلة باللون الليلكى، كان لونهـا رماديًا كالحًا شـعر بالبهجة وهو يـوجه علبة رش الدهان، ويشاهد تحول اللون أمام عـينيه إلى هذا اللون الزاهى الفرح، الذى روَّع أمه.

فاللون برأيها سوقى ملعلع، ولافت للنظر بطريقـة مقززة، وطبقًا لمعتقداتها، جذب الانتبـاه من أكبر الرذائل، فالأخيار المحافظون يمرون بهدوء ولا يحاولـون شد الأنظار بأى شكل، وأما الأراذل المستـهترون يرغـبون بالبـريق والصخب، ويطلـون مركـباتهم بهـذا اللون الزاهى الأخرق.

يكتفى الأب بهز كتفيه مستاءً، فيعلق مثلاً : «يعتقد هذا الولد أن المـال يثمر على الأشجـار، وما علينا إلا أن نمد يدنا لاقتطافه من على أشجار حديقتنا» أو يعلق ساخطًا: «يـتعالى هذا الولد على العمل كما لو إن لديه شعورًا أنه بممارسته للعـمل يحقر نفسه» كان «توم» يرد فى بعض الأحيان على اتهامات أبيه، ويتغاضى فى الرد عن معظمها.

وكأنما الأمر سيان لديه، فرأى أبيه فيه ثابت ولن يتغير : «هذا الولد ذو الميول اليسارية والشعر الطويل المسترسل ضائع لا محالة» ويتساءل بلهجة من لا ينتظر ردًا : «لِمَ تستغربين حافلة قرمزية؟؟ هذا أقل ما أنتظر منه!! وما الذى تتوقعينه من أمثاله؟؟».

امتنع الأب عن توجيه أى كلام أو لوم مباشر إلى «توم» واكتفى بأن يتحدث عنه مع الآخرين ليسمعه رأيه به.

خطرت له فكرة طلى الحافلة فجأة، وعن غير سابق تخطيط، لاحظ أن غسلها وتنظيفها لا يحسن من حالتها، لم يكن يتوقع هذا اللون الصارخ، ولكنه وبعد أن زهت بهذا اللون الليلكى اقتنع به وأعجبه، ووجد أنه يعطى للحافلة شخصية متفردة هذا ما تم عندما قرر أن يعمل فى النقل بالأجرة، لم يكن عملاً جائزًا تمامًا قانونيًا، فمثلاً لو تعرضت الحافلة لحادثة كان من الصعب على شركة التأمين أن تثبت أن الركاب ليسوا سوى سبعة من أصدقائه، من أبناء قريته راثدون يقوم باصطحابهم حبيًا وبشكل غير رسمى ولا يتقاضى أجرة عن عمله هذا، فهو غير مصرَّح له بالعمل لأنه يأخذ معاشًا من الحكومة باعتباره عاطلاً عن العمل، وكان يحرص على أن لا يستلم منهم أجرته فى دبلن فهو لا يقف على باب الحافلة ليبيع التذاكر كما يفعلون فى الحافلات الرسمية الكبيرة، كان الركاب ذاتهم طوال الوقت، لربما نقص أحدهم مرة فى الشهر ولم تكن العملية مربحة فهى تكاد تكفيه لدفع ثمن الوقود (البنزين) وثمن السجائر، ولكنها تضمن له التدخين على هواه، والعودة الأسبوعية إلى راثدون وقد أعانته الحافلة الليلكية على تحقيق هاتين الرغبتين.

كان «توم» يعلم كل شيء عن أحـوال الركاب فى راثدون ولكن لا علم له بما يفعلونه فى دبلن، حاول أن يكتشـف أماكن إقامتهم فى دبلن لينقلهم إليـها بدلاً من نزولهم فى مـركز المدينة فى العـاشرة من مساء يوم الأحد، ولكن حدسًا داخليًا أنبأه أنهم لربما يفضلون أن تبقى أخـبـارهم وأمـاكن سكنهم مـجـهـولة، وأن لا ينقب الآخـرين عن أسرارهم وطرق معيشـتهم فى دبلن، أكثر من مرة لاحظ «توم» وجود شاب قصـير أشقر الشعر بنظارات ملونـة يجلس فى سيارة تقف على مقـربة من موقف انطلاق وعـودة الحافلة الأسـبوعى منتظرًا ومـلوحًا بحـماس «لروبرت جـرين» من الواضح أن «روبرت» لا يريد أبدًا أن يكتشف أحد من ركاب الحافلة أو أهل راثدون هذا الأمر. . لم يلحظ توم هذا إلا لأن نظرة عينيه ثاقبة ومخـترقة كأشعة «إكس» هذه النظرة ذاتها تابعت خطوات «دى يورك» وهى تنسل نحو سيارة فخمة وذراعا رجل فى متـوسط العمر تسـتقبـلانها. لم تأت «دى» يومًا على ذكر وجود مـثل هذا الرجل فى حياتهـا، ولا يعلم أى شخص فى راثدون بوجـوده، ولذا كان من دواعى الأمن الافـتراض أن هناك سـرًا يجب مداراته فى علاقتها به، وأن العلاقة غير شرعية.

فشلت كل محاولات «توم» فى المراقبة والتخمين لمعرفة ما الذى يسبب هذا الرعب الشديد للشاب «كيف كيندى» لم يكن دائمًا بهذا الحال، كان شابًا لطيـفًا وطبيعيًا جدًا بل إنه الشـاب الوحيد بين إخوته

الذى استطاع الاعتماد على نفسه ولم يظل عالة على أبيه وعلى متجره، كما استغنى عن شرائح العيش واللحم المفروضة عليهم من متجر الأب، وعن الاستماع الجبرى إلى صوت مذياع الأب يصدح منذ بدء النشرة الصباحية حتى انتهاء الإرسال آخر الليل، ولكنه ولسنة مضت بدا مضطربًا مهزوزًا.

وهناك «سيليا رايان» التى تعيش فى منزل للممرضات فى دبلن، تتشارك ست منهن فى شقة على ما يبدو مريحة جدًا، فلديهن جهازان للتلفاز وغسالة ثياب، وطاولة مكوى فى الغرفة الخلفية للبيت، وحدثته سيليا أن العلاقة بينهن طيبة للغاية، وأنهن حريصات على التعايش والتعاون وعدم إزعاج بعضهن البعض وترى «سيليا» أنها طريقة مثالية لمن هى فى مثل ظروفها كممرضة عازبة فى دبلن، إلى أن تتزوج وتنتقل للعيش فى منزل يضمها وزوجها.

وأما «نانسى موريس» فكانت تتشارك فى شقة مع الفتاة الظريفة والمنطلقة «ميرياد» ومما يثير دهشة توم واستغرابه التقاء «ميرياد بنانسى» ورضائها عن هذا الالتصاق الغريب والسكوت على هذا الحال، التقى منذ مدة بميرياد فى حفل وحدثته أن آخر حيل «نانسى موريس» لاشباع نهمها للتقتير والادخار هو متابعة جميع «السوبر ماركات» للبحث عن أصناف الطعام الذى يعرض مجانًا كإعلان ليتذوقها العميل قبل شرائها، تدخل المخزن قبل الإعلان وتأكل مجانًا ما يشبعها من عبوات الحساء أو قطع الجبن.

وتعود إلى البيت وقد امتلأت معدتها بالطعام مزهوة بما تفتق عليه ذهنها من حيل لاقتناص الفرص وتعلن منتصرة: «لقد تناولت طعامى هذا المساء بالمجان» كان هذا منذ ثلاثة أشهر مضت، وذكرت «**ميرياد**» حينها أنها تستجمع شجاعتها لتطلب من نانسى أن تخلى الشقة، ولكن يبدو أنها لم تستجمع كامل قوتها بعد.

ويرى **توم** أن «**ميكى بيرنز**» المسكين طيب وودود. ويرغب «**توم**» فى توصيله إلى مسكنه بطيب خاطر، ولكنه كان ينزل من الحافلة ضاحكًا كعادته ويتوجه مباشرة إلى موقف الحافلات العمومية، دون أن يستغنى أبدًا عن مرحه ومزاحه الذى يصعب تقبله دائمًا، تأخذ «**جودى هيكى**» الحافلة ذاتها مع «**ميكى**»، وكثيراً ما رآهما «**توم**» وهما يسيران سويًا يتبادلان الحديث ويمضى هو بحافلته متجهًا نحو بيته فى دبلن.

وبالمقابل لم يعلم أى فرد من ركاب الحافلة مكان سكن «**توم**»، استطاع منذ مدة طويلة أن يطور مهارته فى التهرب عن الإجابة عن الأسئلة المباشرة، لدرجة أن الناس باتت تظن أنها تلقت إجابة ما ولكنهم لا يجسرون على إعادة التساؤل، فعندما سألته «نانسى» عن إيجار شقته الأسبوعى إجابها: «أنه يجد صعوبة فى تذكر الأرقام» وهكذا حسم أمره معها، وانتهى من أسئلتها.

سأله روبرت مرة بأية منطقة فى المدينة يقيم، وأجابه «**توم**»: لابد وأنك بحكم عملك أصبحت قادرًا على التخمين ومعرفة أين يرغب

كل فرد أن يقيم على حسب مزاجــه وشخصيتــه وأنه شخصيًا كثيرًا ما خطر على باله أن يراقب الناس فى طابور للسينما مثلاً ويتساءل أين يسكن كل منهم. فهو يفترض لو إنه كـان يعمل فى مكتب عقار مثل روبرت لكان هذا أمر مسليًا جدًا.

وافقه «روبرت» بالرأى وتحدث بحماس عن طموح الناس بسكن جميل حتى لمن ليس لديه المقــدرة المـادية، ولكنه لم يعــد أبدًا لسؤال «توم» عن مكان سكنه، كما إنه فى أى حضور يضم ثــلاثة أشخاص، إذا ما ورد ذكر اسم «توم» لظهرت على الفور ثلاث نظريات متعارضة ومختــلفة عن طبيعــة عمله فى دبلن، وهذا كان يعطى مــجالاً لإذكاء تسلط عادة الثرثرة والنميمة الموجودة أصلاً فى القري الصغيرة.

هذه العادة المتسلــطة لم تستطع أن تطول ركاب الحافلة لتــسترهم وتكتمهم عن إشاعة أخبارهم.

فهناك مثلاً دى مع هذا الرجل المتصابى و «روبرت» مع صديقه الشاذ، كما إن هناك «كيف» ومشكلته مع ديون القمار أو غيرها، كل هذا لم يصل لعلم أهــل راثدون والأهم من هذا جهلــهم بالكامل لما يقوم به «توم» فى دبلن.

ففى راثدون هناك شخص واحد فقط يعلم كيف يعيش توم ولمـاذا يعيش هناك، وهذا الشــخص هو أمه، ولا يمكن أن يخــمن هذا حتى ولو بعــد مليون سنة فـأمه من النوع الذى يغض الطرف عن حــسناته ويطلق زفرات قــهر ورفض على طريقة لبــاسه، ولون حافلته ورفــضه

للعمل مع العائلة فهى تفضل حافلة جميلة ولكن غير مميزة، وثيابًا رصينة ذات ألوان محايدة كسروال بنى بلون الحجر مع سترة بنية، أو كإخوته بدل محترمة، قمصان بيضاء، رباط عنق محتشم لحضور القداس يوم الأحد.

وعندما أبدى الأب سخطه على الجيل الجديد بوجه عام وعلى هذا الولد بشكل خاص بدت الأم رقيقة فى تأنيبها، وكان واضحًا لأى شخص حاضر أنها توافق زوجها تمامًا فى رأيه «بتوم» ومن كان له أن يحدس أن «توم» وفى هذه الآونة بالذات كان كحلقة الوصل وخيط الحياة لهذه الأم فى محنتها أو كحبل النجاة والمنقذ للعائلة بأكملها.

كانت «بيج فيتزجزالد» امرأة جميلة حقًا، فى الثانية والخمسين من العمر، تحسن الاعتناء بهندامها وبتسريحة شعرها، فلا يمكن أن تجد شعرة فى غير موضعها ترتدى بدلاً جيدة الحياكة بلون أخضر كامد أو ليلكى فى الشتاء تزينه بدبوس صدر (بروش) يتلاءم مع لون البدلة، وتلبس فى الصيف بدلة من الكتان (التيل) الخفيف مع المحافظة على الألوان نفسها والشكل، وهكذا بدت السيدة « **فيتزجرالد**» بشكلها التقليدى ذاته لسنين عديدة، تذهب إلى المدينة المجاورة، ثلاث مرات فى السنة إلى المزين لصنع لفائف تساعد على الاحتفاظ بالتسريحة طوال الأسبوع، بينما تقوم بغسل وتنسيق شعرها فى صباح كل يوم جمعة مع مصففة الشعر فى القرية «شيرلى أورلى» لم يكن عمل «شيرلى» رائجًا فى راثدون ولكنها كانت دائمًا مرحة ومتفائلة،

وتمضى أوقات فراغها الطويلة فى الحياكة لكسب العيش، كانت تتمنى لو إن لديها الكثيرات من الزبائن مثل السيدة فيتزجرالد المنتظمة فى غسل وتسريح شعرها كل أسبوع بالموعد وبالشكل نفسه.

كما تواظب السيدة «**فيتزجرالد**» على العمل فى المخزن كل يوم بنفس التوقيت، مركز الحرف اليدوية المجاور للمخزن كان فكرتها وكانت فكرة ناجحة جدًا، ما إن تتوقف الحافلات السياحية فى الساحة المجاورة للمخزن حتى تبتدأ صناديق جمع النقود الإلكترونية فى الطنين معلنة عن المبالغ الطائلة من جراء البيع فى مركز «**فيتزجرالد**» للحرف اليدوية. كانوا يبيعون الشالات، قماش التويد الأيرلندى، الخزف والفخار، وغيره. تشكيلات كبيرة ونوعيات مختلفة لتوافق كافة الأذواق والإمكانات، إضافة إلى أنه المتجر الوحيد الذى يلجأ إليه أهل راثدون لشراء هداياهم فى مناسباتهم المختلفة، وجدت «بيج» صعوبة شديدة فى الماضى لإقناع العائلة بجدوى فكرتها ولكنهم الآن وبعد النجاح الساحق باتوا يكنون لها نظرة احترام وتقدير. كان لديها أيضًا الاعتقاد الصارم أن المصلحة العائلية فوق الجميع وأنه من الواجب أن يبقى العمل داخل نطاق العائلة بدون أى دخيل. وكان أمر بديهى أنه عندما سيتزوج الشباب ستعمل الزوجات معهم فى المخزن، ونتيجة لهذا القرار الإلزامى فسخت إحدى الفتيات المرشحات للزواج من أحد الأبناء ارتباطها به قائلة: «إن كل ما ستجنيه من عقد الزواج هذا أن تصبح عاملة بدون أجر فى هذا المخزن، بدلاً من عملها الحالى كموظفة رسمية فى البنك الذى تعمل به حاليًا».

وكان برأى «توم» أن تصرفها هذا ينم عن جرأة وعقلانية، ولكن بقية العائلة بمن فيهم الأخ المهجور اتفقوا على الرأى أن هربها هذا كان من حسن الحظ، إن كان هذا ما سيكون عليه سلوكها فى المستقبل.

منذ البداية أعلن «توم» صراحة أنه لن يشارك فى العمل فى المتجر، ولم يتسبب هذا القرارفى معارك أو تشاجر وخصام، لم يتعد الأمر بعض التأنيب والزجر، أفصح عن وجهة نظره بشكل منطقى موضحًا أنه أراد أن يبين لأخوته وأخواته عدم رغبته فى الانضمام للعمل العائلى منذ البداية، وهكذا سيمضون فى تنفيذ خططهم ومشاريعهم دون أية علامات استفهام معلقة عنه، وإنه اتخذ قراره هذا منذ أن كان تلميذًا فى المدرسة ولكنهم لم يأخذوا كلامه على محمل الجد، واعتبروه كقائد لقاطرة مسرعة لا يرغب بالتوقف عند الإشارات وأن هدفه الذهاب لدبلن ليعيش وحيدًا وبعيدًا، أن يعيش فقط ليس بالضرورة أن يقوم بأى عمل، إلى أن يوفق فعلاً ويعمل ما يحب، لربما راودته فكرة السفر لأمريكا أو باريس أو اليونان، فبرأى «توم» إن لم يكن هدفك فى الحياة أن تعيش بمستوى عال كالعيش بمنزل واسع رحب ومريح، وتستغنى عن الكثير من المقتنيات الثمينة وعن الطعام الفاخر فبإمكانك إذن أن تكتفى بالقليل من الربح وتعيش بالكفاف وبثمن زهيد، ظنوا جميعًا أن هذا طور من الجنون وسرعان ما يعود للعقل.

وفى الحقيقة نال «توم» العديد من درجات الشرف والتقدير فى بعده وتخليه عن العمل العائلى أكثر بكثير مما ناله أخوته الذين كانوا فى

طريقهم ليصبحوا من أمراء التجـارة، فهم يتوسعون بسرعة وينتشرون إلى مدن وأقاليم أخرى ويفتتـحون فروعًا جديدة، يطورون فكرة أمهم التى كانوا يـسخرون منهـا فى المـاضى من مجـرد محل لبـيع الحرف اليدوية إلى مراكز كبيرة منتشرة فى كل مناطق الغرب.

كان «توم» هو الأذكى بين إخـوته جمـيـعًا كـان هذا باعتـراف الأساتذة الذين علموا أولاد فيتزجرالد جميعًا، كان شديد الصلابة وذا عزيمة لا تلين بالنسبة لشاب فى الثامنة عشرة من العمر، كان لديه كل هذه الرقع من الأوراق التى تثبت تفوقه العلمي، ولكن السؤال : هل باستطاعتـه أن يشق طريقه بالحياة وحـده؟ أبدى شكره الجزيل والقلبى لأبيه على عـرضه السخى لاستـعداده بدفع كافة مـصاريفه الجامـعية، ولكنه أصر على رفض الدراسـة الجامعية، كل مـا يريده أن يبقى حرًا ويُترك لشـأنه دون تدخل بحيـاته، لن يمشى فى طريق الرذيلة سيـعود إليهم بشكل منتظم إن كانت هذه رغبتهم للاطمئنان عليه، سيبرم عقدًا أنه عـاطل عن العمل ويوقـع باستـلام المنحة الشـهـرية التى تعطيهـا الحكومة للعاطلين عن العمل.

وبرأيه أن هذا ليس عملاً مشينًا لا يرضى عنه الله القدير فمن ذا الذى يراه أو يعرفه أو يـعرف عائلته هناك فى دبلن؟ رغـبته هذه ليس فيهـا جحود أو تمرد كمـا يتصورون فهذا مـا يفعله الناس هذه الأيام، يدفع الأغنياء الضرائب مـن أموالهم، وهكذا يتيسر للفـقراء والمعدمين

والعاطلين المأوى وسد الرمق، لم نعد نسمح للفقراء والمحتاجين بالموت فى الطرقات جوعًا ومرضًا هذه الأيام ولم نعد نسمح أن ندوسهم بالأرجل ونحن نقول : «أليس من المثير للشفقة أنهم لا يحاولون الوقوف للبحث عن عمل يسترزقون منه ويكسبون عيشهم بأيديهم»؟

كلا ثم كلا. . فهو لا ينوى أن يبقى عالة على الحكومة مستندًا على الإعانة الوطنية إلى الأبد. ونعم ثم نعم فهو شاكر وممتن لهم جميعًا لعرضهم المشاركة فى العمل مع العائلة. ولكننا لا نملك سوى حياة واحدة، ولنا الحق أن نعيشها على هوانا وليس بنيته أن يبددها كما يريدون وألم يكن من حسن حظهم جميعًا أنه اتخذ هذا القرار؟

ما الذى كان يمكن أن يجرى لو لم يكن هناك ليمد يد المساعدة؟

كان من السهل جدًا أن يعيش بثمن زهيد. ظل لفترة يعيش مع زوجين شابين أمداه بسرير وبعض الطعام فهمًا أيضًا لم يكونا يملكان الكثير. كان يدرِّس لأولادهما كل مساء.

طفلان رائعان فى منتهى الذكاء، كان يستعيد معهما كل ما تلقياه طوال يومهما الدراسى، ويساعدهما فى أداء الواجب المنزلى رغمًا عنه لأنه كان يفضل أن ينطلقا للعب بدلاً من مواصلة تلقى العلم فى المدرسة والبيت بشكل مستديم.

«إنهما يعرفان بما فيــه الكفاية» استمر فى ترديد هذه الجملة بدون هوادة للوالدين القلقين «ولداكما ممتازان، لا تحشرا رأسيهما الصغيرين بأمور واقــعية أكثــر وأكثر» ولم يســتطع الوالدان تفهم منطقة ووجــهة نظره، وكان برأيهم أن أفضل ما يقدمانه لولديهما بداية جيدة تعطيهما دفعة لحظ أفضل من الآخرين، أما برأى توم فكان يــرى أنهما مازالا فى التاسعة والعاشرة من العمر وأمامهما سنوات إلى أن يصلا إلى سن المصارعة والســباق لنيل أفضل العلامات والمراكز والفــرص فى الحياة، لم يرض هذا الرأى الوالدين الشــاحبين، فهمــا لم ينجحا ويوفـقا فى الحياة لأنه لم يكن هناك من حاول توجيههما وتعليمهما، ولن يسمحا بإعادة الكرة وتجــدد المعاناة مع ولديهــما. ابتــعد توم عن هذه العائلة محتــفظًا بحبهم وصداقــتهم، وانتقل للعــمل فى حديقة سيــدة عجوز كبستانى، ظل ينام فى ركن على أوراق حديقتها الواسعة ما يقرب من السنة دون أن تدرى أنــه ينام هناك إلى أن مــاتت واســتــطاع أن ينقل سريــره المتنقل وموقــد طعامــه قبل مــوعد الجنازة، وهكذا لم يــدر أحد بوجوده أو بانتقاله.

عمل أيضًا فى ملهى ليلى كموظف للدفاع وفض النزاع (فتوات) كان مــخيــفًا لم تكن لديه المواصــفات اللازمــة من عضــلات مفــتولة وضخامة جسم ولكنه كان يملك تلك النظرة فى عينيه، لها من السبات والسطوة أكثــر بكثيــر من أقوى عضلة، وكــان رئيســه، الذى يعد من أحذق الرجــال فى دبلن شديد الإعجاب به ووعــده بترقيتــه ولكنها لم تكن

الحياة التى يريدها توم لنفسه ابتعد عنهم أيضًا محتفظًا بحبهم وصداقتهم سأل رئيسه قبل أن يمضى عنهم: «ما الميزة التى تجعله متمسكًا بتوظيفه»؟ لأنه يريد أن يضيف المعلومة إلى سجل أوراقه وأجابه الرئيس أنه لا يدين له بأى تفسير طالما أنه مصر على الذهاب ولكن مع هذا صرح له أن سبب إعجابه هذه النظرة التى توحى بأنه مصر على المضى للنهاية فلا يتجاسر أحد على التورط معه.

أعجب «توم» بهذا المرجع، كما أعجب بشهادة السيدة العجوز التى ذكرت أنه كبستانى شاب نادر وجدى ومحبوب، وبرأى الولد ذى التاسعة فيه حين قال إنه جعل مادة اللاتينى مسلية ولذيذة كحل الألغاز على عكس الأستاذ فى المدرسة التى يلقنها لهم كلغة غريبة سقيمة.

ولكن هذه الشهادات والمراجع لم تكن مدونة وموقعة ومعترفًا بها ففى كل عمل جديد عليه الاعتماد على جاذبيته ومجهوده كان عليه أن يبدأ من جديد ليثبت جدارته ويذيب الجليد.

أمضى صيفًا فى اليونان يقود حافلة صغيرة تشبه الحافلة الليلكية على الطرق الجبلية تنقل الوفود السياحية من وإلى الفنادق والمطار، كذلك أمضى صيفًا آخر فى أمريكا يعمل فى مخيم للأولاد يساعد فى مراقبة سبعين مراهقًا متذمرين من كل شىء ومفضلين العودة السريعة إلى بيوتهم، أمضى شتاء فى أمستردام يعمل فى متجر لبيع البضائع التذكارية، وقضى ثلاثة أشهر مفعمة بالمرح فى لندن، يشارك مع فريق فى دراسة للسوق وللقوة الشرائية، يقابل الناس فى الطريق ومعه

جدول وقصاصة يسألهم أسئلة ويدون معلومات ثم انتقل للعمل كممرض فى المستشفيات بلندن ووجده عملاً مؤلما وزادت هذه التجربة من احترامه وتقديره للممرضات أضعافًا مضاعفة، كان من عادته أن لا يقص أخباره على الآخرين، حتى لا يفسح لهم الفرصة لسؤاله بالمقابل فالسؤال يحتاج دائمًا إلى جواب.

لم يقيم نفسه كمنحرف ولكن ها هو ذا ولتسع سنوات مضت منذ أن أنهى دراسته الثانوية لم يقم بأى عمل هادف ومستمر، لم يشعر بأنه أضاع فرصة بتخليه عن تلك الأعمال الواحد بعد الآخر، حتى ولا العمل فى المستشفى وهو يدفع الكراسى المتحركة للعجائز من المرضى المرتجفين جزعًا بين الزحام فى مستشفيات غاصة بالمرضى، كان طاقم التمريض من جنسيات متعددة تختلط لغات كل من وجد تحت الشمس من بقاع العالم كافة ،ولكن هذا العمل أفاده فها هو الآن متفرغ لرعاية أخته «فيل». من لطف القدر أنه غير مرتبط بعمل رسمى ولا بطريقة ومستوى معيشة مرفهة سيعانى من حرمانه منها.

لاشك أن «**فيل**» ألطف فرد من أفراد عائلته، هذا رأيهم جميعًا كإجماعهم على أن «**توم**» أكثرهم غرابة، كانت «**فيل**» الأقرب إليه فى السن وفى القلب، تكبره بعام واحد، فأولاد «**فيتزجرالد**» الستة جاءوا إلى هذا العالم خلال سبع سنوات فقط. توقفت بعدها الشابة «بيج» عن إنجاب طفل جديد كل موسم، هناك صور لهم عندما كانوا أطفالاً أشبه ما يكونوا بأطفال حضانة من أخوة وأخوات لعائلة واحدة.

كانت الأم تصـرح دائمًا أنه شيء جمـيل مجيـئهم دفعـة واحدة لربما عانت بعض الصـعوبة فى رعايتـهم أول الأمر ولكنهم كبـروا جميـعًا فجأة وانتهى الأمر، كانت ومازالت «فيل» صديقته المفضلة وعندما بلغا السادسة عشرة والسابعة عشـر من العمر؛ عمر النقاش والتحدى حين رفض «توم» الانضمام للعمل العائلى ساندته «فيل» بكل قوتها، كانت فى ذلك الحين تقيم فى المدينة الكبيرة التى تـبعد ١٧ ميلاً عن راثدون لتتعلم الاخـتزال والآلة الكاتبة، كانوا قـد قرروا لها أنها سـتعمل فى المكتب وليس فى المتجـر، تعود فى عطلة نهـاية الأسبوع خلال فـترة تدريبهـا على الأعمـال التجاريـة وتُشجعُ توم على أن يسلك طريقه الخاص فى الحياة تبدو دائمًا مبتسمـة بوجهها المستدير الصبوح، يتذكر «توم» ذهابهـا للمـرقص منذ عـدة سنوات مـضت مع الشـاب «ريد كيندى» والمحاضـرة التى كانت بانتظارها فى البيت بأنه شـاب لا غبار عليه وليس بعائلته ما يشين ولكن عليها أن ترفع من مستوى علاقاتها، ردت «فـيل» أنهـا لا تضع أنظارها على ريد ولا على غـيره، كل مـا هنالك أنها تريد من يذهب معها إلى المرقص، ومع هذا ظلت رؤوس البعض تهتز بالرفض، كانت «فيل» من زينة بنات راثدون وتعلق السيدة «فيتزجرالد» أن وزنها لابد سينقص حين يحين الوقت كما نقص وزن أختها البكر «آنا» التى كانت ممتلئة قبل الزواج، فهناك نوع من الاعتقاد لدى السيدة « فيتزجرالد» يلزم الفتيات المقدمات على الزواج بأن يكن على درجة عاليـة من الجمال والرشاقة والجاذبية وإن هـذا التحول أمر طبيـعى ولكن الطبيـعة لم تمنح «فيل» هذا السحر وظلت فيل ممتلئة

الجسم مستديرة الوجه، ولم تتبدل كأختها لخدود مجوفة وخصر نحيف.

وافق الجميع أن هذا التحول هو ما جذب الشاب المناسب «دومينيك» ابن صاحب مصانع قماش التويد للزواج من أختها آنا. لم يلحظ «توم» يومًا أن أخته ممتلئة وكثيرًا ما أكد لها هذا وكان يردد أنها ستفقد رونقها وحيويتها لو اعتقدت أنها ممتلئة وحاولت إنزال وزنها فعلاً وأنه من البلاهة والحماقة الاعتقاد أن امتلاءها هو السبب الذى يبعد عنها الأصدقاء، وكانت تبكى بحرقة وتسأله: «إذن قل لى من هم أصدقائى»؟.

لم يتذكر «توم» أن لأخته أى صديق ولكن هذا حال كل أفراد العائلة ولكنه أجاب أنه لا يستطيع أن يحصر قائمة بأسماء أصدقائها لأنه لم يعد يقيم معهم منذ فترة ولكن يجب أن يكون لها أصدقاؤها. حاول أن يكون متعاونًا واقترح أن تنضم لرحلة لربما التقت خلال الرحلة بأصدقاء يتوافقون معها، ليس من الضرورى أن تسافر برفقة أحد ولكنها عندما تعود تحظى بحفنة من المعجبين والأصدقاء.

قرأت «فيل» برنامج الرحلة بعناية فائقة وقررت الاشتراك، نصحتها أمها: «لا تخبرى أحدًا أنك تذهبين بمفردك بدون صديق، فهذا يعنى أنك لست مرغوبة ويدعو للشفقة، قولى إنك تذهبين مع أصدقاء لقضاء عطلة فى أسبانيا» لم يعرف «توم» ما الذى حدث بالتفصيل ولكنه شعر أنها لم تكن رحلة موفقة قالت «فيل» إنها أعجبت بأسبانيا، وأن

الطقس كان جميلاً، ولم تذكر شيئًا آخر. بعد عوتها بفترة أسرت له «فيل» أن الفتيات جميعًا باستثنائها استمتعن بعلاقات غير شرعية ومقززة وأنها لم تستطع حتى الاندماج فى الرقص والرحلات أو حتى مجرد التعرف إليها لأنها اكتشفت أن الفكرة من هذه الرحلات ليست التعرف بل إقامة علاقات مع أفراد غرباء تمامًا عن بعضهم البعض.

انزعج «توم» من نفسه لأنه عندما نصحها بالاشتراك بهذه الرحلات لم يكن لديه الدراية الكافية بها.

عادت «فيل» من هذه الرحلة هادئة ورافضة للتحدث عنها، لاحظ «توم» بعدها بفترة أنها بدأت تفقد وزنها، ولكنه لم يعلق لأنه الوحيد الذى نصحها ألا تهتم بوزنها الزائد، فلو إنه أبدى إعجابه الآن لظنت أنه كان يجاملها فيما مضى، امتنعت فيل عن الذهاب إلى المراقص أو إلى شاطئ البحر مع مجموعة من الفتيات كما كانت تفعل فى الماضى، ولكن وليكن صادقًا مع نفسه لم يلحظ أيا من هذه الأمور إلا بعد أن استفحل الأمر.

كان هذا يوم أن جاءت «فيل» لتمضى يومًا فى دبلن أخذت القطار من المدينة المجاورة لراثدون. كانت رحلة قاتلة يترك القطار المدينة فى التاسعة صباحًا ليصل دبلن ظهراً لتعود منها فى السادسة مساء بعد أن تمضى الوقت فى شراء لوازم ضرورية للمخزن وقبل أن تقع إعياء وقد تورمت قدماها لتعود محملة بالرزم والبضائع إلى راثدون فى المساء وكان من عادة فيل مهاتفة «توم» لمقابلتها فى محطة القطار بدبلن.

جاءت فى واحدة من هذه الرحلات الجنونية، وجاء لاستقبالها بحافلته التى كانت حينذاك باللون الرمادى الكالح، بدت «فيل» شاحبة جداً وأخبرته أنها تعانى من أوجاع مؤلمة لازمتها طوال الطريق حتى إن المسافرين معها نصحوها بسرعة الذهاب لأقرب مستشفى يبدو أنها كانت تئن وتتلوى من شدة الألم.

تأثر «توم» عندما لاحظ شدة ألمها وشحوبها وقرر أن يتصرف فى الحال، نقلها بحافلته إلى العيادة الخارجية للمستشفى، كان يتصرف بهدوء وحزم أجبرهم على وضعها فى أول القائمة لأن حالتها مستعجلة وطارئة، وكأخ لها وقع على تعهد بقبوله لإجراء جراحة فورية نتيجة انفجار فى المصران.

كان بجوارها عندما أفاقت من المخدر ليخبرها أنها بأحسن حال وأن عليها أن ترقد وتستريح - اعتصر وجهها ابتسامة شكر - حضرت أمهم فى اليوم التالى ومعها حقيبة باحتياجات فيل وتأكيدات وتنهيدات وشكر لله على وجود «توم» معهم ساعة الأزمة ليسارع بأخذ المبادرة، ورسائل حب من أفراد العائلة، وعلب شيكولاتة وزجاجات عطور، ظن «توم» أنها تتماثل للشفاء وأنها استعادت قوتها وشعر بالدهشة عندما أسرت له إحدى الممرضات بأنها تريد أن تحدثه بخصوص أخته وأنها بالفعل كتبت التقرير وأرسلته للمسئولين الذين يجب أن يكونوا على دراية بالأمر مثل رئيس القسم والطبيب الجراح الذى أجرى العملية، كما إن هناك إجراءات أخرى سيقوم بها الطبيب المسئول عن الآنسة «**فيتزجرالد**».

شعر توم بأن هناك ثمة خطرًا يحوط بأخته حملت لهجة الممرضة صيغة التـأنيب والاتهام، لاحظت الممرضة أن **فيل** تمضى أوقاتًا طويلة فى الحمام وعندما استفسرت منها إن كانت تعانى من إمساك أو إسهال نفت «**فيل**» الحالتين، ولكنها ظلت على حالها تمضى أوقاتا طويلة فى الحمام. ولذا تنصتت الممرضة - شعر «**توم**» بخفقات قلبه تتسارع وأنه على وشك الاستماع لسـر خطير - كانت توقعات الممرضة صـحيحة «**فيل**» تعانى من نوبات من التـجشؤ والتـقيؤ الشديد عـدة مرات فى اليوم الواحد.

- وصاح «**توم**» : «وما السبب»؟

لم تكن لديه أدنى فكرة لِمَ كانت نبرة الممرضة تحمل صيغة الاتهام.

وردت الممرضة:

- «لأنهـا هى التى تجبـر نفسـها علـى التقـيؤ تأكل الشـيكولاتة والبسكوت والموز وشرائح العـيش مع الزبد بكميات كبيـرة جدًا، كان عليك أن تشاهد العلب والأكياس الفارغة ثم تجـبر نفسها على تقيؤ كل ما أكلت.

- «ولكن لِمَ تفعل هذا»؟

- «هذه الحالة تسمى «بوليما» وهى رد فعل لمرض عصبى تذهب معه الشـهية للطعام بالتـدريج يحاول المريض أن يقتل نفسـه جوعًا لو أمكن، وهو على أنـواع ودرجات وفـى حالـة أخـتك يلتـهم المريض

كميات هائلة من الطعام بدون وعى، ثم يجبر نفسه على التقيؤ للتخلص من الطعام قبل أن يهضم».

- «وهل تفعل «فيل» هذا»؟

- «نعم، وتفعله منذ مدة طويلة».

«وهل هذا ما سبَّب الانفجار فى مصرانها».

- «لا . . لا أبدًا لا علاقة بتاتا بالحالتين، ولكن لربما أنه من حسن حظها لبدء علاجها، فها أنت تعلم ولابد أنك ستخبر العائلة لتساندها فى صراعها للتخلص من هذا المرض».

- «أليس باستطاعتك أن تنصحيها بالامتناع؟ ألا يمكن أن نبين لها أن ما تفعله مضر جدًا؟ وأنه غير مجد».

قاطعته الممرضة:

- «لا . . لا طبعًا ليس هذا هو الأسلوب الصحيح للعلاج ليس بعد أن وصلت حالتها إلى هذا المدى سيتبعون معها طرقًا أخرى عندما ستعرض عليهم».

- «ستعرض على من»؟

- «على الأطباء النفسيين لأنها ستدخل إلى المستشفى لاتباع العلاج النفسى وقد خرج الأمر من يدنا».

لم يكن رأى الممـرضة كله صـحـيحًـا فلم يخرج الأمـر من يد المستشـفى بالكامل، لأنهم أدخلو «فيل» إلى قسم العـلاج النفسى فى المستشـفى ذاتها ، وكان هناك متـابعة طبية إلى جانب الـعلاج النفسى شعرت «فيل» ببعض الراحة عندما علمت أن هناك آخرين مصابين بالحالة نفسها وانزاح حمل عن كاهلهـا، خفف عنها الشعور بالذنب لا لأنها تتقيأ فهى تقول إن هذا أسهل أمـر فى الوجود يكفى أن تضع إصبعها فى المكان الصـحيح فى حلقـها، لتـتم العـملية بشكل تلقـائى ولكن شعورها بالذنب لأنها تحشر كميات هائلة من الطعام فى فمها والأقبح أنها تأكل فى السـر وفى الحمام. كان هـذا يسبب لها شعـوراً بالمهانة والخجل، لم تكن مستـعدة بعد لتتحدث عما يدعـوها لهذا التصرف. وشرحوا «لتوم» أنها سـتواظب على هذه الحالة إلى أن يتم شـفاؤها تدريجيًا، حين ترضى عن نفسـها وشكلها الذى هى عليه وبينوا له أن المساندة من العـائلة حتمية وضـرورية وتساعد على استـعادتها لثقـتها بنفسها وتحسين صورتها، وخصوصا إحاطتها بمشاعر الحب والاهتمام، والمساندة العائلية نعم لا شك مـهمة ولكن بحق الله العلى القدير من عائلة فيتزجرالد؟ وفى هذه الآونة بالذات؟.

وكأن المسكينة «فيل» لم تستطع أن تنـتقى أسوأ من هذه الفـترة لتطلب معونتهم وتحتاج إليهم، هذا ما تبادر إلى ذهن «توم» الحزين فهو أعلم الناس أن العائلة تمر بفترة حـرجة للغاية فى هذه الأيام فالصحف تمتلئ بأخبار الهـجوم المسلح على مكتب البريد فى «كورك» ومـا تبعه

من قضيــة واتهام لرجال العصــابة ومنهم «تيدى فيتــزجرالد» ابن العم الذى اشتغل لفترة مع العائلة، ولم يكن ينقصهم إلا أن يأتى ذكر اسم العائلة فى قـضيــة سرقة فى الصـحف، كانت بالنســبة إليهم وصــمة استنكرتها السيدة «**فيتزجرالد**» وتبرأت منه، وتبعها قصة خيانة «**دومينيك**» زوج أختــهم آنا والذى كانوا يـعتبــرونه الزوج المثالى والمنــاسب، كان هناك العــديد من الروايات عن عــلاقة آثمــة أثمرت عن مــولد طفل، اعتــرف به «دومينيك» بحقــد وضغينــة دون أن يراعى مشاعــر العائلة وصورتهــا أمام الناس. فالطفل لــم يكن من زوجته الجـميلة «**آنا**»، بل نتيجة لعلاقة آثمة مع ابنة السباك والتى هى فى عرف السيدة «**بيج فيتزجرالد**» من أحط وأحــقــر الطبقــات فى الغــرب الأيرلندى، كــان هناك هاتان الفضيحــتان إضافة إلى مشاكل أخرى، وبدا أن التــوقيت غير مناسب إطلاقًا لإعلان أن عــضوًا جديدًا فى العائلة دخل إلى مصــحة للعلاج النفسى.

أوضحت السيدة «**فيتــزجرالد**» وجهة نظرها هذه بتــصميم: «لن يعــرف مخلوق مــا حدث «**لفيل**» وأين هى. هذا قرار بــات ونهائى» سيزعمون أن «**فيل**» تعافت بعد العملية وأنــها تمضى الآن فترة النقاهة فى زيارة الأصدقاء، سيستعيضون عنها فى غيابها بفتاة تحل مكانها فى الأعمال المكتبية، وستزورها السيدة «**فيتزجرالد**» مرة واحدة فى الشهر لتمدها بالمساندة والتــعاطف الذى قال الأطباء إنها بحاجة إليــهما بينما سيزورها «**توم**» كلما سنحت له الفرصة، لم تعط الــسيدة مجالاً لأى

نقاش أو اعتراض، لديهم ما يكفيهم من الأزمات والمشاكل، وليست على استعداد لإضافة وتقبل واحدة أخرى والأدهى والأهم فى هذا كله كيف «لفيل» أن توفق بزوج فى المستقبل إذا ما انتشر خبر دخولها لمصحة للأمراض العقلية؟.

كان «توم» متأكدًا أن هذا السلوك ليس ما عناه الأطباء بالتعاطف والمساندة، هذا التستر سيعزز عند فيل الإيحاء والشعور أن حالتها مخزية، ويزيد من إحساسها بالمهانة والخجل ويبعد عنها فرص الشفاء، وحرص الأم على زيارتها مرة واحدة منعًا لتقول الناس وشكهم سيزيد الطين بلة وكانت فيل تستمع لحرص الأم وتأكيدها على تهربها من كشف حالة ابنتها بوجه مشدود ومتقلص من شدة الخوف والألم، وتقدم الاعتذار تلو الاعتذار عن الإزعاج والارتباك الذى تسببه للعائلة.

فى بعض الأحيان كانت الأم تمسك بيد «فيل» بتردد وارتباك وتقول لها «نحن كلنا نحبك... كثيرًا يا «فيل» بكلمات جوفاء تسارع بعدها فى سحب يدها كمن أنهت المهمة المطلوبة منها فقد أكد الطبيب المعالج أن هذه الجملة مهمة ومفيدة جدًا فى علاج ابنتها. فعائلة «فيتزجرالد» ليست من العائلات التى تحسن التعبير أو إظهار المشاعر. فهم لا يتبادلون القبلات والعناق أبدًا، وكان من الصعب على الأم التفوه بهذه الجملة ومن المحرج للابنة سماعها والتفاعل معها، كان من الواضح أنه وضع مفروض وليس صادقًا.

وأما «توم» فكان يذهب يوميًا لزيارة أختـه مادام فى دبلن ويهاتفها من راثدون فى يومى السبت والأحد، أبدت الأم رغبتها فى مكالمة ابنتها ولكنها لم تفعل لأنها لا تجد ما تقوله لها، ولكن «توم» بجعبته الكثير، ربما لأنه أشد معرفة، ولا يشعر معها أنه يحادث شخصًا غير سليم، أو أنه يتكلف الحديث مجاملة، لا يقدم أعذارًا إذا ما انشغل عن زيارتها أو مهاتفتها، لم يُشعر فيل يومًا أنه مرغم أو مضطر لزيارتها ويعاملها كما لو إنها بكامل صحتها النفسية مثله تمامًا، يتحدثان عن طفولتهما، بالنسبة «لتوم» كانت طفولته سعيدة بشكل عام يتخللها أحاديث كثيرة تدور حول عمل العائلة وعن ضرورة الالتزام بالسرية فى العمل وفى قضاء أمورهم وعدم السماح بتسرب أى خبر عن العائلة للأصدقاء والجيران سواء جيدة أو سيئة.

ولكن ذكريات «فيل» بدت مختلفة فهى تذكر جلوسهم جميعًا حول المائدة يتبادلون الأحاديث والأخبار والضحك واعترض «توم» محتجًا أنه لا يذكر حدوث هذا أبدًا لأنه كان من الضرورى تغيب إما الأم أو الأب فى المتجر، تذكر «فيل» رحلاتهم العائلية العديدة إلى شاطئ البحر وينفى «توم» تعددها فهى رحلة وحيدة لا غير، وتذكر فيل الألعاب الجماعية التى كانوا يشتركون فيها جميعًا فى فراغهم ويؤكد «توم» أن هذا نادرًا ما كان يحصل إلا فى الحفلات السنوية، ولكنهما سعدا بالذكريات، وتحدثا عنها كما لو إنها فيلم سينمائى شاهداه منذ زمن بعيد، وكان كل واحد يتذكر جزءًا منه ولكنهما

لا يستطيعان تذكره بالكامل، تحدثا عن الأصدقاء والصديقات، لم يستغرب «توم» حين أسرت له فيل أنها عذراء وهى بدورها لم تستغرب أنه على العكس منها، كانا يتبادلان الحوار بيسر وسهولة ودون إحساس بالذنب، يطول الحديث بينهما لساعات طويلة داخل المبنى أو فى الخارج فى الهواء الطلق وأحيانا أخرى لا يمضيان سويًا سوى فترة قصيرة إما لأن «فيل» صامتة ومتباعدة وإما لأن «توم» مشغول عنها بعمل ما، فهذه الأيام يعمل توم فى صالة عرض بالمزاد، يساعد فى حمل وترتيب الأثاث من المعرض وإليه ويلصق الأرقام على القطع ويدونها فى كتاب البيانات الذى سيوزع على الزبائن، كان ينوى البحث عن عمل آخر، ولكنه وجد أن ساعات العمل مريحة له، والصالة قريبة من المستشفى.

سألت إحدى المريضات «فيل» عن علاقة توم بها وهل هو صديق؟ وضحكت «فيل» بمرارة وردت أنها لم تحظ يومًا بأى صديق، وهزت الأخرى كتفيها وعلقت لربما إن هذا فى صالحها ومن حسن حظها، فباعتقادها أن الرجال ليسوا سوى براميل مليئة بالمشاكل، وأنها لم تستغرب أبدًا عدم وجود رجل فى حياة «فيل»، هذا الرأى رفع من الحالة النفسية لفيل وجعلها أكثر إشراقًا وبهجة، سألت أخاها عن نوع الفتيات اللاتى يحب الارتباط بهن، وأجابها أنه لا يرغب بالفتاة العادية التى يتمحور اهتمامها وحديثها عن البيت، وخاتم الخطوبة، والأثاث. وقص عليها قصة الفتاة الظريفة التى ارتبط بها يومًا

ولكن لسوء الحظ قـابلت هذا الشاب البليد الذى عرض عليـها كل ما يشعرهـا بالأمان والاستقرار والاحـترام، اتصلت بعدها بتوم وأبـلغته صراحة أنها ستتركه وتمضى مع الآخر تعاطفت فيل مع أخيها وردت :

- «ولكنك لم تذكر لنا شيئًا عن معاناتك هذه».

ورد عليها ضاحكًا:

- «هذا صـحـيح ولكنك كـذلك لم تذكـرى لنا أبدًا أنك كنت معجبة «ببيلى بيرنز» وكنت نصف مرتبطة به مع أنه كان متزوجًا».

وضحكت بدورها قائلة:

- «لم تكتشف هذا بنفسك وقد سربت لك هذه الأخبار بنفسى».

ردها هذا أدخل شيئًـا من الطمأنينة على تفكير «توم» وشعر بأن أخته فى طريقـها إلى الشفاء، ذكر كل هذا إلى الـطبيب النفسى الذى رد أنه مازال يرى أن «فيل» تعانى من التعاسـة واليأس، وهذا ما كدر «توم» كثـيرًا، وأكد الطبـيب أنها لن تتـماثل للشفـاء طالما أنها غـير منسجمة مع ذاتها، ولا تشعر أن لها أهمية ومكانة فى هذا الوجود.

شعر أفراد العائلة جمـيعًا بقيمة «توم»، وأظهروا له كل الامتنان والشكر وأكـدوا أن أفعـاله لا تقدر بثـمن، ليس فقط بسـبب زياراته الدائمة وحنانه وتواصله مع أخـته، بل للحيوية والتـواصل الذى خيم على الجـو العائلى فى راثدون فـهو وللحق أصـبح بالنسبـة للجمـيع كحلقة الوصل وخط الحياة.

لم تتـذمر « فيل» من رحلتـه الأسبوعـية إلى راثدون، بـل إنها رحبت بها لأنها تمدها بأخبار العـائلـة، يعـود معبأً بأخبارهم وبمـا هـو أهم برسائل مـرحة من والدتها ففى كل صبـاح من يوم السبت يحض «توم» أمه على كـتابة رسالة طويلة إلى فـيل بل إنه فى الواقع يملى عليهـا ما تخط حرفيًـا، ويرفض تهربها وتمنعـها من التعبـير عن مدى حبها وتعاطفها مع ابنتها، ويصرخ مهددًا:

- «هل تظنينى أننى أرغـمك على الجلوس والكتـابة لو لم يكن الأمر فى غاية الأهمية، ومعينًا كبيرًا فى شفائها؟ لقد وصل الحال معها أنها فقدت الأمل فى الحياة، وهى بحـاجة أن تعلم أن هناك من يحبها ومن يهتم، وأننا نفتقدها ونرحب بوجـودها كفرد من العائلة وأنها لن تتمكن من العودة إلينا، ما لم تتأكد وتشعر بكل هذا».

- «ولكنه أمـر بديهى ومـفـروغ منه أننا نحـبـها ونـريدها بيننا، ونرغب فى عودتهـا إلينا، بالله عليك يا«توم» فأنت تضـخم الأمور وتختلق مأساة من لا شىء، وتحملها أكثر مما تحتمل».

- «إنها لمـأساة، ومأساة مروعة، ألا تدركين أن «فيل» تعالج فى مستشفى للأمراض النفسيـة؟ والسبب الأساسى لمرضها أننا لم نعبر لها كما يجب عن مدى أهميتها لنا وترحيبنا لوجودها بيننا».

بالنسبة لى ولأبيك، فإننا نرى أن كل هذا لغو لا طائل منه وليس صحيـحًا أننا لم نشعرها بأهـميتها، عـاملناها دائمًا باحترام كـبيـر، وكما ترى كل العاملين فى المكتب يحبـونها ويفتقدون وجودها بينهم،

ففيل كانت دائمًا الروح والحياة فى البيت وفى العمل»؟ ولا يضيع «توم» الفرصة. ويسارع بحضها قائلاً: «اكتبى. اكتبى هذا كله على الورق».

- «ولكنى سأبدو كالمعتوهة والحمقاء لو كتبت هذا «لفيل»، سأبدو كما لو إننى أظنها على النقيض من هذا، وأننى أتظاهر وأتكلف».

- «هذا ليس صحيحًا: فأنت ومن برهة فقط ذكرت كل ما هو جميل عنها وكنت صادقة حقًا فى ما تقولين».

- «طبعًا كنت صادقة فيما ذكرت، ولكنها أمور لا نعبر عنها عادة. وعلى الأخص لا نخطها على الورق».

- «بما إنك لست هناك بجانبها لتقولى كل هذا صراحة، إذن فعليك أن تكتبى وترسلى لها بمشاعرك الحقيقية، بما إنك لن تسمحى لها بالعودة إلينا لتعالج بالمدينة القريبة من رائدون حيث ستتمكنين من زيارتها كل يوم، إذن فأنت مضطرة للكتابة وإلا فكيف لها أن تعلم كم نفتقدها ومدى أهمية وجودها بيننا»؟

- «ليس صحيحًا أننى لا أرغب فى وجودها قريبة منا، ولكنى أرى أن هذا البعد من مصلحتها، لتبقى الأمور هادئة ونحتفظ بأسرارنا وخصوصياتنا فيما بيننا»؟.

- «كثيرًا ما أستمع لهذه الجملة تتردد ويبدو أنها ستستمر إلى الأبد ولربما هى السبب فى فقدان الأمل من تحسن حالة «فيل».

كان مازال فى خضم واحدة من هذه المشـاحنات التى يتبادلها مع أمه فى صـباح كل يوم سبت، عندما جـاءت إليهم «سيليا»، أصـابته الدهشة لرؤيتـها، ولكنه لسبب ما شـعر بالراحة والخلاص، فـقد كان الصراع على أشده مع أمه، هربت منه فى الصبـاح الباكر مدعية أنهم بحاجة إليـها فى المتجر، ولم يستطع أن يجبـرها على الإنصات إليه، إلا بعد أن أحـضر لها فنجـانًا من القهـوة ودفتر الرسـائل، كانت تمر بواحدة من هذه الأطوار حين تأخذ فى ترديد أن على «فيل» أن تتماسك وتستجـمع قواها وتكف عن هذه الحماقـة، شعر «توم» بدافع مجنون يدعوه للطلب من «سيليا» أن تجلس معهم وتشرح لأمه، ما تعرفه من معلومات أولية عن «البوليميـا» أو التقيؤ الجبرى، ذاكرًا بشكل عابر أن فيل تعالج من هذا المرض فى جناح الأمراض العصبية فى المستشفى.

فكر «توم» لابد وأن أمه ستقع مغشيًا عليها لو إنه حاول أن يُلمح بما يشين عائلة «فيتزجرالد» لابنة السيدة «رايان». كان الإغراء بالحديث فى حد ذاته يسبب له الرعشة. حضرت «سيليا» لأنها تريد استعارة آلة التسـجيل وشريط فـارغ. كانت تريد أن تسـجل عليه شـيئًـا، بدت مضطربة ولم تخبره بسـبب حاجتها إليه، ولكنه لم يستـغرب هذا فهو بالمقابل لا يخبر أحدًا سواء سألوه أم لا، إذن فليس باستطاعته لومها، قالت إنها ستعيـدها إليه يوم الأحد فى الحافلة. علقت أمه بعد ذهاب سيليا:

- «تمر المسكينة بأوقات عصيبة مع أمها هذه» هز توم رأسه صامتًا فهـو أيضًـا لا يمر بأيام بهيـجة مع أمـه، ولكن لم يكن من طبـعه أن ينغص عليها، كل ما يريده منها الرسالة ليسلمها «**الفيل**» صباح الاثنين.

وعلق «**توم**».

- «على الأرجح ستـتزوج « **سيلـيا**» من «بارت كيندى» وهكذا سيتمكنا سويًا من إدارة الحانة».

ردت السيدة «**فيتزجرالد**» مندهشة.

- «**بارت كيندى**؟ طبعًا لا. . هذا مستحيل، بالتأكيد «**بارت كيندى**» لن يتزوج أحدًا، فهو من الطراز الذى لا يتزوج».

- «هل تعنين أن «**بارت**» شاذ؟ ابعدى أفكارك عن هذا تمامًا».

- «كلا. . أنا لا أعنى هذا إطلاقًا ولم يتطرق هذا إلى ذهنى أبدًا. ولكنه من هذا النوع من الرجـال الذين لا يتـزوجون، كـان عليك أن تكتـشف هذا، لربما إن الرجـال لا يلحظون مـثل هذه الأمـور ولكن النساء تعرف، فمـثلاً «ريد كيندى» سيتزوج فى غـضون السنة سمعت أنه ارتبط فعلاً بفتاة فى الجوار. ولكن **بارت** بالتأكيد لا. . .».

ورد «**توم**»:

- «كنت أظـن أن هـذا هو سـبب عـودة «سيليا» الأسبوعية إلى راثدون».

- «تعود «سيلـيا» لتوقف استنزاف هذا المـكان، خوفًا أن تفلس الحانة هذا هو كل ما فى الأمر».

- «حقيقة»؟

سر «توم» لسماعه هذه الحقيقـة، لم يعرف سبب بهجته، ولكنه شعر براحة واطمئنان.

وفى تلك الليلة مـضى نحو الحانة كـالعادة واكـتشف لِمَ أرادت «سيليا» آلة التسجيل، وبدا له الأمر كحيلة دنيئة وانتهاز للمرأة المسكينة، التى بدت زائغة العينين يسيل لعابهـا وهى تتهافت على الغناء بصوتها النشاذ، لتقع متراخية وراء البار، استشاط غيظًا لإدراكه أن ابنتها «سيليا» تتعمد تسجيل صوتهـا وهزيانها على المسجلة، جعله هذا يتعاطف مع الأرملة ويشعـر بمدى المهانة والإذلال الذى وصلت إليه، اتجـه ساخطًا نحو «سيليا» مبديًا تكدره وحنقه من استغلالها لضعف أمها أجابته.

- «لا تُدرك ما تفعل. لا تدرى إطلاقًا بحالتها».

تخيل «توم» «سيليا» وهى تحاول فى اليوم التالى أن تصارح أمها عمـا بدر منها فى الليلة السـابقة، وإنكار الأم وتهـربها بافتـعال المرح وأنها تسلك هذا السلـوك للهرب من أحزانها وبـؤسها كأرملة وسـيدة عاملة، فلن يتجرأ أى شـخص آخر غير سيليا أن يكشف لها ما آلت إليه تصرفاتهـا فى الفترة الأخيرة وكان مهربها الـوحيد إدعاء القول إن «سيليا» تبالغ وتضخم المشكلة. بدا «توم» متفهمًا وقال قبل أن يمضى:

- «سأحضر غدًا لأساعدك فى لـلمة الأمر». ابتسمت له «سيليا» ابتسامة مليئـة بالشكر والدفء. نظر نحو «بارت كيندى» كان «بارت» يقدم

الكؤوس ويضحك مع الشباب، لم يبد أن هناك أية علاقة أو ارتباط بينه وبين «سيليا»، كان هذا تفكير أحمق من «توم».

ولم يكن هناك من داع للمساعدة فى الموضوع تقبلت أم «سيليا» الحقيقة بتفهم ووعى، كانت تجلس فى الغرفة الخلفية بينما «سيليا» و «بارت» يقومان بخدمة زبائن الفترة الصباحية من يوم الأحد، دخل «توم» وبادرته «سيليا» قائلة.

سأصحبها معى إلى «دبلن»، رأيت أن هذا سيسهل علىّ الأمر لأزورها فى المصحة هناك أكبر وقت ممكن».

- «متى»؟

- «غداً ولن أسافر معكم هذا المساء فى الحافلة، سأنتظرها وأسافر معها، لدى صديقة رائعة فى دبلن ستحل مكانى فى العمل بالمستشفى بالرغم من أنه يوم إجازتها».

- «هل تقطن معكم فى بيت الحريم الذى تقيمين فيه»؟

- «إمير» كلا أبداً فهى زوجة وأم وتعيش فى بيتها».

- «وهل ستحافظين على عملك لو تزوجت»؟

- «بالتأكيد سأفعل هل تظننى سأتخلى عن عملى لأطبخ طعامًا وأنظف بيتًا لرجل؟ بشكل عام هذا ما يفعله الناس هذه الأيام وكيف سيتمكنون من العيش لو لم يفعلوا هذا؟ والتمريض عمل جميل وشريف، سأكره نفسى لو تخليت عنه».

- «وما المدة التى. . ؟» وأشار إلى الغرفة الخلفية حيث جلست السيدة «رايان» منتظرة على كرسيها.

- «لا علم لى بتاتًا هذا يعتمد على تقبلها للعلاج إن كانت متجاوبة».

- «ألا يتوقف أيضًا على المساندة العائلية»؟

«فى الواقع لا يوجد هنا غيرى، فلن أستطيع أن اعتمد أبدًا على الحلوين المقيمين فى أستراليا ودترويت وإنجلترا ولذا فلن يكون لديها غيرى لترتكز عليه».

وقال فجأة:

- «هل تعلمين. أختى «فيل» ليست بحالة جيدة فهى تعانى أيضًا من حالة مشابهة».

- «لم أعلم أبدًا أن فيل تعانى من حالة إدمان للخمر».

ردت «سيليا» دون أن يبدو فى نبرة صوتها أى نقد أو صدمة.

«كلا . . ليس هذا فأنا أعنى بالحالة أنه ليس لديها سواى لتعتمد عليه فى دبلن، فهى تعانى من «بوليميا» مرض ذهاب الشهية لابد وأنك على دراية بهذا المرض، فهى تأكل بشراهة وكثرة وتتقيأ كل ما أكلته».

- «حظها أفضل من غيرها، فهى تعانى من كثرة الأكل، وليس من الامتناع عنه. فكثير من المصابين بهذه الحالات تصل بهم الحالة للموت من الجوع، ويصيبك اليأس وأنت تحاول إقناعهم دون جدوى فهم يظنون أنهم يفعلون ما هو بصالحهم، إنها حالة ضاغطة ومتعبة للأعصاب جدًا. البوليميا هذه وهذا فعلاً من سوء حظ المسكينة «فيل»».

نظر نحوها شاكرًا تعاطفها وسألها:

- «هل سيقدمون لك أية مساعدة؟ أعنى هؤلاء الغائبين الذين لا يريدون تحمل أية مسئولية».

- «لا وعلى أن لا أعتمد على أية مساعدة أو مساندة، وأهلك هل يتعاونون ويسندون»؟

«كلا، وظهر لى هذا جليا الآن كنت أظن أن باستطاعتى تغييرهم، ولكنى أبدو كمن يبحث فى الرمال، مجرد أضغاث أحلام. يتظاهرون بأن كل شىء على ما يرام. المهم أن يبقى الخبر مكتومًا».

وردت عليه بكياسة ولطف:

- «لربما إنها الطريقة المثلى فى زمانهم ولكنها ليست بالقطع فى زماننا».

- «إذن فعليهما أن يكتفيا بنا ويعتمدا علينا فقط، أمك النصف مجنونة، وأختى النصف مجنونة».

وصدح صوت «سيليا» ضاحكًا كرنين الأجراس وقالت: «ألا تجد أنهما محظوظتان هاتان المسكينتان أننا ها هنا».

- «سأفتقدك فى الحافلة فى رحلة هذا المساء».

- «لربما ستمر على لتواسينى حينما أدخل أمى إلى المصحة، وإن كان هناك أية مساعدة من زيارتى سأصحبك لزيارة فيل إن كان هذا يروق لك وأجابها «توم فيتزجرالد» «بل سيسعدنى جدًا».

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز — ت . س . إليوت — ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ — چين . ب . توميكنز — ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر — ل . ا . سيمينوڤا — ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية — أندريه موروا — ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي — مجموعة من الكتاب — ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣ — رينيه ويليك — ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية — رونالد روبرتسون — ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف — بوريس أوسبنسكي — ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع» — ألكسندر بوشكين — ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة — بندكت أندرسن — ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل — ميجيل دي أونامونو — ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات — غوتفريد بن — ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد — مجموعة من الكتاب — ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية) — صلاح زكي أقطاي — ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل — جمال مير صادقي — ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم — جلال آل أحمد — ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب — جلال آل أحمد — ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث — أنتوني جيدنز — ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص) — نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية — ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق — باربر الاسوستكا — ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر — كارلوس ميجل — ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة — مايك فيذرستون وسكوت لاش — ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة — صمويل بيكيت — ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني — أنطونيو بويرو باييخو — ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة — قصص مختارة — ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١) — فرنان برودل — ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني — نماذج ومقالات — ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية — ديڤيد روبنسون — ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة — بول هيرست وجراهام تومبسون — ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج) — بيرنار فاليط — ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح — عبد الكريم الخطيبي — ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء — عبد الوهاب المؤدب — ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني — برتولت بريشت — ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع — چيرارچينيت — ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي — د. ماريا خيسوس روبييرامثي — ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر — نخبة — ت : محمد عبد الله الجعيدي

العنوان	المؤلف	المترجم
١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فرديناك دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربي | روجر آلان | ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر | بوالو | ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة | جوزيف كامبل | ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث | وليم شكسبير | ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية | ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى | ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد | أبو بكر تفاوابليوه | ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين | جون هيتون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا | جين هوب وبورن فان لون | ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس | ريـوس | ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد | كروزيو مالاباراته | ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ | چان – فرانسوا ليوتار | ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور | ديفيد بابينو | ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة | ستيف جونز | ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ | انجوس چيلاتى | ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج | ناجى هيد | ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى | كولنجوود | ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود | وليم دى بويز | ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية | خابير بيان | ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم | جينس مينيك | ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى | ميشيل بروندينو | ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط | آ. ف. ستون | ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد | شير لايموفا – زنيكين | ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | نخبة | ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا | جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس | ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج | مؤلف مجهول | ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى برو فنسال | ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى | دبليو. إيوجين كليناور | ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا | تراث يونانى قديم | ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار | فيليب بوسان | ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد | تد هيوز | ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٣٣ – الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحي العشري
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوي
٣٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣	علي أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخري لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمي
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدي	ت : جمال الجزيري
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون في الأدب التركي جـ١	محمد فؤاد كوبريلي	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامي في الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٤ – الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٥ – التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوي
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعي
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازي السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشاروني
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربيني
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقي	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٢٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٢٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٢٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٢٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٢٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٢٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٢٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٢٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٢٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٢٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٢٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٢٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٢٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٢٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٢٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٢٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٦٢٥ / ٢٠٠٢